

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الثامن

السيد جعفر مرتضى العاملي

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنيّاً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إنشاء الله تعالى.

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الثامن

السيد جعفر مرتضى العاملي

الفصل الثاني:
علم.. وقضاء..

قضاء علي .. وقضاء الشيخين:

روى جمع من العامة، عن مصعب بن سلام التميمي، ومن طرق الخاصة بسندهم عن الصادق (عليه السلام) وغيره، أنه قال: ثور قتل حماراً على عهد النبي (صلى الله عليه وآله)، فرفع ذلك إليه، وهو في أناس من أصحابه، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا أبا بكر، إقض بينهما.

فقال: يا رسول الله، بهيمة قتلت بهيمة، ما عليها شيء.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لعمر: اقض بينهما.

فقال كقول أبي بكر صاحبه.

فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله) إلى علي (عليه السلام) وقال له: يا علي، اقض بينهما.

فقال: حباً وكرامة، إن كان الثور دخل على الحمار فقتله في مستراحه ضمن أصحاب الثور دية الحمار، وإن كان

الحمار دخل على الثور في مستراحه فلا ضمان على صاحب الثور.

فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده إلى السماء وقال: الحمد لله

الذي منَّ على العباد بمن يقضي قضاء النبيين^(١).

ونقول:

في هذه الرواية إشارات عديدة، نجملها في ما يلي:

- ١ . إنه (ﷺ) اكتفى بقضاء أبي بكر وعمر، ولم يطلب ذلك من عثمان، ربما لأنهما هما الأساس في الخلاف على أمير المؤمنين، فإذا ظهر حالهما في القضاء، وسقط اعتبارهما فيه، لم تصل النوبة إلى الآخرين.
- ٢ . يلاحظ: أنه (ﷺ) قد انتدب أبا بكر للقضاء أولاً، وسماه باسمه، ليظهر أنه هو المقصود في هذا الأمر، فلم يعد له مناص منه.

ثم نص على عمر، فكان الأمر كذلك.

١ - الأربعين لأبي الفوارس ص ١٣ وينايبع المودة ص ٧٦ وراجع الفصول المهمة ص ٣٤ وإرشاد المفيد ص ١٨٥ الفصل ٧٥ من الباب ٢، وكذا في مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٥٤ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٤٦ وشرح إحقاق الحق ج ٨ ص ٤٨ وراجع: الكافي ج ٧ ص ٣٥٢ وخصائص الأئمة ص ٨١ وتهذيب الأحكام ج ١٠ ص ٢٢٩ و الفضائل لشاذان ص ١٦٧ وعوالي اللآلي ج ٣ ص ٦٢٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٦ ص ٣٥٤ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص ٤٦ وغاية المرام ج ٥ ص ٢٥٥ وينايبع المودة ج ١ ص ٢٢٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٩ ص ٢٥٦ و (ط دار الإسلامية) ج ١٩ ص ١٩١ ومستدرک الوسائل ج ١٨ ص ٣٢١ والروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان ص ٢٠٨ .

ولم يطلب من الحاضرين أن يقضوا في القضية، بأن يقول: اقضوا في هذه القضية، فيتقدم كل واحد منهم فيدلي بدلوه، إذ قد لا يتقدم هذان الرجلان لذلك، ليصونا بذلك أنفسهما عن التعرض للمزالمق..

٣ . يلاحظ: أنه (ﷺ) لم يعلق على قضاء أبي بكر ولا على قضاء عمر بنفي أو إثبات، إذ لو صوّب أو خطأ قضاء أبي بكر، أو قضاء عمر، لاتخذ الذي يأتي بعد هذا أو ذاك منحى آخر، يفرضه عليه ما يقوله النبي (ﷺ). ولأجل ذلك أبقى (ﷺ) الأمر في دائرة الاتهام والإحتمال.

٤ . والغريب في الأمر ذلك التعليل الذي انقده في ذهن أبي بكر، فبنى عليه حكمه في المورد، حيث قال: (بهيمة قتلت بهيمة، ما عليها من شيء..). ثم وافقه عمر على ذلك.

وكأنهما ظنا: أن المطلوب هو مجازاة البهيمة القاتلة بالقتل، أو بالسجن، أو بتغريمها ثمن البهيمة المقتولة مع أن الكلام إنما هو في تغريم صاحب البهيمة القاتلة ثمن البهيمة المقتولة لصاحبها.

والنزاع لم يكن بين الثور وأقارب الحمارة.. بل كان بين صاحب الثور وصاحب الحمارة، الذي يطالبه بثمان حمارة، أو تهيئة مثله له.

وكان على عمر وأبي بكر أن يفهما مرجع الضمير في قوله (ﷺ): اقض بينهما، وأنه يرجع إلى الرجلين، لا إلى الثور والحمارة!!.

٥ . والأغرب من هذا وذاك هو هذه العفوية التي ساقها أبو بكر وعمر للتدليل على بدهة حكم المسألة، ووضوحه الذي لا يقاوم، والذي

يغني المتخاصمين عن الترافع، بل وعن التنازع.

٦ . وعلينا أن نتأمل كثيراً، ونتوقف طويلاً عند قول رسول الله (ﷺ)، فإنه وإن كان قد أعرض عن الحديث عن قضاء عمر وأبي بكر، ولكنه ذكر قضاء علي (عليه السلام) بصورة اهتز لها الطامحون والطامعون والمناوئون له من الأعماق.. حيث إنه جعل قضاءه (عليه السلام) قضاء النبيين، ليدلل على أنه (عليه السلام) هو وارثهم، والأحق بمقامهم، والقادر على مواصلة نهجهم، وتحقيق أهدافهم.

٧ . إنه (ﷺ) جعل نفس وجود علي (عليه السلام) من منن الله تعالى على العباد التي لا بد أن يحمد عليها.. وهذا يشير إلى أن على العباد أن يتعاملوا مع علي (عليه السلام) بما يتوافق مع هذا العطاء الإلهي لهم.. وهو يعني: أن وجود علي (عليه السلام) له أعظم الأثر على العباد، وليس كوجود أي كان من الناس. فكيف ولماذا يقاس بغيره.

فأين الثريا من الثرى؟! وأين معاوية من علي؟!

٨ . ونعود إلى التذكير بأنه (ﷺ) قد جسد للناس عدم أهلية غير علي (عليه السلام) للمقامات التي يطمحون إليها، وأن وجودهم بالنسبة للعباد لا يختلف عن وجود غيرهم من سائر الناس، فقد يكون نافعاً لهم، وقد لا يكون، بل قد يكون بالغ الضرر لهم.

وجسد لهم أيضاً أهلية علي (عليه السلام) بصورة عملية في فعل علي (عليه السلام)، وفي رفع يديه (ﷺ) لحمد الله، والثناء عليه.

وجسده أيضاً: بالكلمة القوية التي أطلقها في حق علي (عليه السلام)، لتضمنها تصويب قضائه. والإرتفاع بهذا القضاء إلى مستوى قضاء النبيين، ثم اعتبار نفس وجود علي (عليه السلام) من المنن الإلهية التي لا بد أن يحمد على عليها. القرعة لكل أمر مشكل:

عن حريز، عن أحدهما (عليه السلام) قال: قضى أمير المؤمنين (عليه السلام) باليمن في قوم انهدمت عليهم دار لهم، فبقي صبيان: أحدهما مملوك، والآخر حر، فأسهم بينهما، فخرج السهم على أحدهما، فجعل المال له وأعتق الآخر^(١). ونقول:

إن القرعة لكل أمر مشكل، وهي هنا وإن كانت قد حلت مشكلة المال، فصار لأحدهما دون الآخر. لكن موضوع الرقية والعبودية لا يستخرج بالقرعة، لأن الإنسان يمكن أن يُعطى المال وأن يؤخذ منه، وقد يعطيه الإنسان لغيره، وقد يحتفظ به لنفسه. لكن ليس لأحد الحق في أن

١ - قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) " ص ١٦٣ عن الكافي، وتهذيب الأحكام، وعن الإرشاد للمفيد. والكافي ج ٧ ص ١٣٧ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٣٩ و ج ٩ ص ٣٦٢ و ٣٦٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٦ ص ٣١١ و ج ٢٧ ص ٢٥٩ و (ط دار الإسلامية) ج ١٧ ص ٥٩٢ و ج ١٨ ص ١٧٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ٨٥.

يتنازل عن حرته، ويجعل نفسه مملوكاً، كما أنه ليس من حق أحد أن يستعبد من جعله الله حراً، لا بواسطة القرعة، ولا غيرها.

وإعطاء المال لمن خرجت القرعة باسمه لا يجعله حراً، ولا الطفل الآخر عبداً. ولكن احتمال أن يكون الطرف الآخر عبداً يبقى قائماً. وقد يقوى في ذهن العوام، بل في ذهن الذي أخذ المال أن الشخص الآخر عبد. وقد حصل التخلص من هذا المحذور كان بمبادرته (عليه السلام) إلى إعتاق الطفل الآخر لإزالة أي احتمال في حقه. حدث في الجاهلية وقضاء في الإسلام:

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قضى علي (عليه السلام) في ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر واحد، وذلك في الجاهلية قبل أن يظهر الإسلام، فأقرع بينهم، فجعل الولد لمن (للذي - ثل) قرع له، وجعل عليه ثلثي الدية للآخرين.

فضحك رسول الله (ﷺ) حتى بدت نواجذه.

قال: وقال: ما أعلم فيها شيئاً إلا ما قضى علي (عليه السلام) ^(١).

١ - قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) "ص ١٦٢ عن الشيخ، وعن المفيد، والكليني مع اختلاف. وعن مناقب آل أبي طالب عن أبي داود، وابن ماجه في سننهما، وابن بطة، وابن حنبل في فضائله، وابن مردويه بطرق كثيرة عن زيد بن أرقم. والحدائق الناضرة ج ٢٥ ص ٢٥ ورياض المسائل ج ١٠ ص ٤٩٩ = = وعوائد الأيام ص ٦٤٩ وجواهر الكلام ج ٢٩ ص ٢٦٢ ونيل الأوطار ج ٧ ص ٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ٢٦٦ وغاية المرام ج ٥ ص ٢٥٦ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٧٨٦ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٠٦ وسنن النسائي ج ٦ ص ١٨٢ والمستدرك للحاكم ج ٢ ص ٢٠٧ وج ٣ ص ١٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ٢٦٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٣٨٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٣٧٩ و ٤٩٦ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ٣٨٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ١٧٣ ونصب الراية ج ٤ ص ٤٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٥ ص ٨٤١ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ٢ ص ٨٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٥ ص ١٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وينايع المودة ج ١ ص ٢٢٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ١٥ ومعرفة السنن والآثار ج ٧ ص ٤٧٥ والإستبصار للطوسي ج ٣ ص ٣٦٨ وتهذيب الأحكام ج ٨ ص ١٦٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢١ ص ١٧١ و (ط دار الإسلامية) ج ١٤ ص ٥٦٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢١ ص ١١٦ وج ٢٥ ص ٩٠.

ونقول:

١ - إن القرعة قد عينت من يأخذ الولد, ويكون له.. ويبدو أن الثلاثة قد وافعوا جارية كان يملك كل منهم ثلثها. فأعطاه (عائشة) الولد وأسقط عنه حصته وهي الثلث, وضمَّنه الثلثين لرفيقه المشاركين له في ملكية الجارية, فإن

لكل واحد منهما ثلثها

أيضاً.

٢ . لعله (عليه السلام) قد أسقط الحد عنهم، لأنهم إنما فعلوا ذلك، وحملت بالولد في أيام جاهليتهم وكفرهم، ثم ولدته بعد إسلامهم.. والإسلام يجب ما قبله، فلا يقام الحد بعد الإسلام على من زنى قبل الإسلام.

٣ . لقد ضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بدت نواجذه، إعجاباً وفرحاً بقضاء علي (عليه السلام) المصيب للواقع..

القارصة والقامصة والواقصة:

روي: أن جارية حملت جارية أخرى على عاتقها عبثاً ولعباً، فجاءت جارية ثالثة، أخرى فقرصت الحاملة، فقفزت لقرصتها، فوقعت الراكبة، فاندقت عنقها وهلكت.

فقضى (عليه السلام) على القارصة بثلث الدية، وعلى القامصة بثلثها، وأسقط الثلث الباقي بقموص الراكبة لركوب الواقصة عبثاً القامصة.

وبلغ الخبر بذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فأمضاه وشهد له بالصواب به^(١).

١ - قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) " ص ٣٧ والإرشاد للمفيد ص ١٠٥ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٩٦ والمقنعة ص ١١٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٩ ص ٢٤٠ و ٢٤١ و (ط دار الإسلامية) ج ١٩ ص ١٧٩ = = وجواهر الكلام ج ٤٣ ص ٧٥ وجامع المدارك ج ٦ ص ١٩٦ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٤٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٦ ص ٣٦٠ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص ٤٠ .

قال التستري:

وأما ما رواه الصدوق والشيخ عن الأصبغ قال: قضى أمير المؤمنين (عليه السلام) في جارية ركبت جارية، فنخستها جارية أخرى، فقمصت المركوبة، فصرعت الراكبة فماتت، ففضى بديتها نصفين بين الناخسة والمنخوسة^(١).. فمن روايات محمد بن أحمد بن يحيى عن أبي عبد الله، عن محمد بن عبد الله بن مهران، وقد استثنى ابن الوليد وابن بابويه وابن نوح روايته عنهما. وقرره على ذلك الشيخ والنجاشي. وفي طريقه أيضاً: أبو جميلة، وهو المفضل بن صالح، وحكم النجاشي بضعفه، وصرح ابن الغضائري بوضعه الحديث.

ورواية المفيد وإن كانت مرسلة إلا أن إرسال مثله معتبر، وقد ذكره في

١ - قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) "ص ٣٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٩ ص ٢٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج ١٩ ص ١٧٩ و تهذيب الأحكام ج ١٠ ص ٢٤١ ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٢٥ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج ٤ ص ١٧٠ والنهاية للطوسي ص ٧٦٣ والسرائر لابن إدريس ج ٣ ص ٣٧٣ ومختلف الشيعة ج ٩ ص ٣٣٧ ومستدرک الوسائل ج ١٨ ص ٣١٦ و ٣١٧.

الإرشاد والمقنعة.

فإن قيل: خبر التنصيف من روايات الخاصة، والأصل في التثليث العامة، بدليل أن صاحب المناقب رواه عن أبي عبيدة في غريب الحديث، وابن مهدي في نزهة الأبصار، عن الأصمغري هكذا: قضى (عائلاً) في القارصة والقامصة والواقصة، وهن ثلاث جوار كن يلعبن، فركبت إحداهن صاحبتهما، ففرصتها الثالثة، فقمصت المركوبة، فوقعت الراكبة فوقصت عنقها، فقضى بالدية أثلاثاً، وأسقط حصة الراكبة لما أعانت على نفسها، فبلغ ذلك النبي (ﷺ)، فاستصوبه.

قلنا: على تسليم استناد المفيد إلى تلك الرواية، يكون هي أولى بموافقته للإعتبار الصحيح، مع ضعف سند الأول بمن تقدم، ويسعد بن طريف عند الأكثر^(١).

ملاحظة:

قرص لحمه: أخذه ولوى عليه بإصبعه فألمه.

قمصت الدابة: أي وثبت ونفرت.

وقص عنقه: كسرهما ودقها.

والمراد بالواقصة هنا: (التي هي اسم فاعل) معنى اسم المفعول.

١ - قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عائلاً) " ص ٣٨.

الرسول (ﷺ) يمتحن أصحابه:

وروي: جابر وابن عباس: أن أبي بن كعب قرأ عند النبي: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)^(١). فقال النبي (ﷺ) لقوم عنده، وفيهم: أبو بكر، وأبو عبيدة، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن: قولوا الآن: ما أول نعمة غرسكم الله بها، وبلاكم بها.

فخاضوا في المعاش والرياش، والذرية والأزواج، فلما أمسكوا قال: يا أبا الحسن، قل. فقال (عليه السلام): إن الله خلقني ولم أك شيئاً مذكوراً، وأن أحسن بي فجعلني حياً لا مواتاً، وأن أنشأني - فله الحمد - في أحسن صورة، وأعدل تركيب، وأن جعلني متفكراً واعياً لا أبله ساهياً، وأن جعل لي شواعر أدرك بها ما ابتغيت، وجعل فيّ سراجاً منيراً، وأن هداني لدينه، ولن يضلني عن سبيله، وأن جعل لي مراداً في حياة لا انقطاع لها، وأن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً، وأن سخر لي سمائه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه، وأن جعلنا ذكراً قواماً على حلائلنا لا إناثاً.

وكان رسول الله (ﷺ) يقول في كل كلمة: صدقت.

ثم قال: فما بعد هذا؟!

فقال علي (عليه السلام): (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)^(٢).

سورة لقمان.

٢ - الآية ٢٠ من سورة لقمان.

فتبسم رسول الله (ﷺ) وقال: ليهنئك الحكمة، ليهنئك العلم يا أبا الحسن، أنت وارث علمي، والمبين لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي، الخبر^(١).

وتقول:

لا بأس بالإشارة هنا إلى ما يلي:

قولوا الآن:

إنه (ﷺ) حين سأل القوم الذين عنده، حدّد لهم وقتاً معيناً للإجابة، وزمناً خاصاً، فقال لهم: (قولوا الآن). فلم يعطهم مهلة، يمكنهم فيها البحث عن إجابة لدى غيرهم. كما أنه ألزمهم بالبقاء في أمكنتهم.. لأن حصر زمان الإجابة بأن تكون (الآن) يجعل الانتقال إلى مكان آخر، إما غير ذي جدوى، وإما غير مسموح به.. وارث علمي، والمبين لأمتي:

وقد أنتج هذا الإمتحان إعلان حقيقة: أن علم النبي (ﷺ) موجود عند علي (عليه السلام) أيضاً، وأن غيره ممن سوف يسعى لاستلاب مقامه (عليه السلام) فاقد لهذا العلم، الذي يحتاج إليه من يخلفه

١- قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) "ص ٩٨ و ٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٥ وعجائب أحكام أمير المؤمنين ص ١٧٣.

(ﷺ) في المرجعية للأمة، حين الإختلاف، وفي كل حين.. لا سيما حين تهجم عليها اللوالبس..
ثم إنه (ﷺ) حصر المرجعية للأمة كلها بعلي (عليه السلام). في كل موارد الإختلاف.
وأعظم مورد إختلاف وخلاف حصل في الأمة هو مقام الخلافة بعده (ﷺ).. وهم ليس فقط لم يرجعوا إلى علي
(عليه السلام) فيه، بل قهروه على التخلي عنه..

لماذا يمتحنهم؟!:

لا شك في أنه (ﷺ) كان عالماً بحال أصحابه، وبما عندهم من العلم، ولا يحتاج إلى أن يمتحنهم بهذا السؤال
الذي وجهه إليهم، ويكلفهم الخوض في أمور لم يكن لهم أن يخوضوا فيها، لعدم أهليتهم لذلك.
ولكنه (ﷺ) أراد بامتحانهم هذا: أن يعرفوا هم، ويعرف الناس عنهم الأمور التالية:
١. إن الذين خاضوا فيما خاضوا فيه بمحضر رسول الله (ﷺ)، إنما اقتحموا أموراً لم يكن ينبغي لهم أن
يقتحموها. بل كان يجب عليهم الإقرار بعدم المعرفة، والتنوع عن القول بغير علم، فإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً..
لا سيما وأن السؤال هو عن معنى آية قرآنية.. وقد نهي رسول الله (ﷺ) عن تفسير القرآن بالرأي..

فمن لا يتورع أن يقول بغير علم بحضرة الرسول، وفي مورد صرح النبي (ﷺ) بالنهاي عن القول فيه بغير علم.. لا بد أن يكون بعد رحيله (ﷺ) عن الدنيا أكثر جرأة على هذا الأمر، ولن يردعه رادع، ويمنعه مانع (إيماني أو وجداني) عن اقتحام جرائم جهنم، إلا إن رأى أن أموره ستختل، وأن مصلحته الدنيوية تقضي عليه بالتريث أو الإنسحاب..

٢ - إن هذا الإمتحان قد هدف إلى كشف حال رواد التمرد على شرع الله، ونقض التدبير الإلهي والنبوي، حين اتلعوا أعناقهم إلى أخطر وأجل وأعظم مقام بعد رسول الله (ﷺ)، مدّعين لأنفسهم الأهلية له، ويعدون العدة للإستيلاء عليه.

ولم يكن صاحب الحق قادراً على مواجهتهم بأكثر من الحججة والدليل، لأن في التعدي عن هذا الأسلوب تفريطاً بأمن الناس، وقد يفسح المجال لاختلال الأمور، وحصول الردة.

أما سائر الناس، فلعل الكثيرين منهم لا يملكون الحججة التي تفي بدفع ادعاءات أولئك الطامحين.. أو أنهم يخشون من مواجهتهم. ولو بالحجة. على مصالحهم أو أمنهم. ولعل بعضهم بغض الطرف عما يجري، لأنه يرى نفسه منتفعاً من هذا الجو الذي أثاروه وأوجدوه..

ليهنتك الحكمة والعلم:

وقد هنا النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) بالحكمة أولاً، ثم بالعلم ثانياً. والحكمة تحتاج إلى توفيق وتعليم، وهي هبة إلهية، لا ينالها

إلا الأوحدي من الناس عن جدارة واستحقاق. وليست مجرد تقديرات وإدراكات عقلية، كما ربما يتوهمه المتوهمون.

ولذلك يقول تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) ^(١).

ويقول: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) ^(٢).

وقال: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) ^(٣). والآيات المصروفة بتوقيفية الحكمة

كثيرة.

وقدم النبي (ﷺ) التهنية بالحكمة، لأنها محض عطاء إلهي..

أما العلم، فقد ينال البشر شيئاً منه مهما كان ضئيلاً بوسائلهم التي منحهم الله إياها مما اقتضته خلقتهم، مثل:

العقل والفطرة، وغير ذلك..

ولعل التهنية بالحكمة هنا يشير: إلى أن الإجابة على السؤال هنا مرهونة بالحكمة بالدرجة الأولى، ثم بالعلم..

وهذا ما لم يكن يملكه سوى أمير المؤمنين (عليه السلام). كما أظهرته هذه الواقعة وسواها..

١ - الآية ٢ من سورة الجمعة.

٢ - الآية ١٢ من سورة لقمان.

٣ - الآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

الفصل الثالث:

بذل علي (عليه السلام) والإمامة..

ويؤثرون على أنفسهم:

١ . قال ابن شهر آشوب (رحمته الله): تفسير أبي يوسف: يعقوب بن سفيان، وعلي بن حرب الطائي، ومجاهد بأسانيدهم، عن ابن عباس وأبي هريرة، وروى جماعة عن عاصم بن كليب عن أبيه . واللفظ له . عن أبي هريرة: أنه جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من هذا الرجل الليلة؟!

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا يا رسول الله، فأتى فاطمة وسألها: ما عندك يا بنت رسول الله؟!

فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، لكننا نؤثر ضيفنا به .

فقال علي (عليه السلام): يا بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نومي الصبية واطفئي المصباح . وجعلا يمزغان بألستهما .

فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج، فوجد الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلما سلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) . وبكى بكاء شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد

عجب

الرب من فعلكم البارحة، اقرأ: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) أي جماعة. (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ). يعني: علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليه السلام) (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١) (٢).

قال الحميري:

قائل للنبي إني غريب جايع قد أتيتكم مستجيراً
فبكى المصطفى وقال: غريب لا يكن للغريب عندي ذكورا
من يضيف الغريب قال علي: أنا للضيف فانطلق مأجورا
ابنة العم هل من الزاد شيء فأجابت أراه شيئاً يسيراً
كف بر قال: اصنعيه فإن الله قد يجعل القليل كثيراً
ثم أطفئ المصباح كي لا يراني فأخلى طعامه موفوراً
جاهد يلمظ الأصابع والضيف يراه إلى الطعام مشيراً
عجبت منكم ملائكة الله وأرضيتم اللطيف الخبيراً
ولهم قال: يؤثرون على أنفسهم، قال: ذاك فضلاً كبيراً (٣)

١ - الآية ٩ من سورة الحشر.

٢ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٨ و ص ٣٤ و ج ٣٦ ص ٥٩ و مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٨٧ والأملاني للطوسي ص ١١٦ وعن
كنز جامع الفوائد، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٤٦ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠.

٣ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٨٧ و ٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٤٧ و ٣٤٨.

٢ . روت الخاصة والعامه، منهم: ابن شاهين المروي، وابن شيرويه الديلمي، عن الخدري وأبي هريرة: أن علياً أصبح ساغباً، فسأل فاطمة طعاماً.

فقال: ما كانت إلا ما أطعمتك منذ يومين، آثرت به علي نفسي، وعلى الحسن، والحسين.

فقال: ألا أعلمني، فأتيكم بشيء؟!

فقال: يا أبا الحسين، إني لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه.

فخرج واستقرض من النبي ديناراً، فخرج يشتري به شيئاً.

فاستقبله المقداد قائلاً ما شاء الله.

فناوله علي الدينار، ثم دخل المسجد، فوضع رأسه، فنام، فخرج النبي، فإذا هو به، فحركه وقال: ما صنعت؟!

فأخبره، فقام وصلى معه فما قضى النبي صلاته، قال: يا أبا الحسن، هل عندك شيء نفطر عليه، فنميل معك؟!

فأطرق لا يجيب جواباً حياء منه. وكان الله أوحى إليه أن يتعشى تلك الليلة عند علي.

فانطلقا حتى دخلا على فاطمة، وهي في مصلاها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فأخرجت فاطمة الجفنة، فوضعتها

بين أيديهما.

فسأل علي (عليه السلام): أنى لك هذا؟!

قالت: هو من فضل الله ورزقه، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.
قال: فوضع النبي كفه المبارك بين كتفي علي، ثم قال: يا علي، هذا بدل دينارك. ثم استعبر النبي باكياً وقال:
الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت في ابنتي ما رأى زكريا لمريم.
وفي رواية الصادق (عليه السلام): أنه أنزل الله فيهم: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) (١).
قال الحميري:

وحدثنا عن حادث الأعور الذي تصدقه في القول منه وما يروي
بأن رسول الله نفسي فداؤه وأهلي ومالي طاوي الحشا يطوي
لجوع أصاب المصطفى فاغتندى إلى كريمته والناس لاهون في سهو
فصادفها وابني علي وبعلها وقد أطرقوا من شدة الجوع كالنضو
فقال لها: يا فطم قومي تناولي ولم يك فيما قال ينطق بالهزو
هدية ربي إنه مترحم فقامت إلى ما قال تسرع بالخطو
فجاءت عليها الله صلى بجنفة مكرمة باللحم جزواً على جزو
فسموا وظلوا يطعمون جميعهم فَبَحَّ بِحَ لهم نفسي الفداء وما أحوي
فقال لها: ذاك الطعام هدية من الله جبريل أتاني به يهوى
ولم يك منه طاعماً غير مرسل وغير وصي خصه الله بالصفو

١ - الآية ٩ من سورة الحشر.

٣ - وفي رواية حذيفة: أن جعفرًا أعطى النبي (ﷺ) الفرع من العالية، والقטיפفة، فقال النبي: لأدفعن هذه القטיפفة إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله.
وأعطاهما علياً (عليه السلام)، ففصل على القטיפفة سلكاً، فباع بالذهب، فكان ألف مثقال، ففرقه في فقراء المهاجرين كلها.

فلقيه النبي ومعه حذيفة، وعمار، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، فسأله النبي الغداء.
فقال حياء منه: نعم.

فدخلوا عليه، فوجدوا الجفنة^(١).

٤ - عن مُجَّد بن العباس، عن مُجَّد بن أحمد بن ثابت، عن القاسم بن إسماعيل، عن مُجَّد بن سنان، عن سماعة بن مهران، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:
أتى رسول الله (ﷺ) بمال وحلل وأصحابه حوله جلوس، فقسمه عليهم حتى لم تبق منه حلة ولا دينار، فلما فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين، وكان غائباً. فلما رآه رسول الله (ﷺ) قال: أيكم يعطي هذا نصيبه، ويؤثره على نفسه؟!

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٩٠ و ١٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٠ و بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٠ و ٣١ وراجع ج ٣٦ ص ٦٠ عن كنز جامع الفوائد، وتأويل الآيات الظاهرة.

فسمعه علي (عليه السلام)، فقال: نصيبي.

فأعطاه إياه، فأخذه رسول الله (ﷺ) وأعطاه الرجل، ثم قال: يا علي، إن الله جعلك سباقاً للخير، سحّاء بنفسك عن المال. أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة. والظلمة هم الذين يحسدونك، ويبغون عليك، ويمنعونك حقلك بعدي^(١).

قالوا: الفرع: المال الطائل. والعالية: مكان بأعلى أراضي المدينة، ويبدو أن القطيفة كانت مطرزة بأسلاك الذهب^(٢).

ونقول:

١ - إن الفقر ليس عيباً، إلا حين يكون سببه الكسل، والإتكال على جهد الآخرين، أو غير ذلك من أسباب تشير إلى خلل في المزايا الروحية والإنسانية.. ولم يكن النبي (ﷺ) ولا علي (عليه السلام) إلا القمة في الفضل والكمال، والأخلاق الفاضلة، والمزايا النبيلة..

والأسباب التي اقتضت نزول الآية المباركة مرة أو أكثر تبين أن هذا الفقر قد كشف لنا عن أفضل المزايا، وأعظم الفضائل في هؤلاء الذين نأوا بأنفسهم عن الدنيا وزخارفها، ولم يهتموا لها إلا بالمقدار الذي فرضه الله تعالى عليهم..

٢ - إن النبي (ﷺ) حين أراد مساعدة ذلك الجائع لم

١ - بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٦٠ عن كنز جامع الفوائد.

٢ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣١ و ٣٢.

يبادر إلى دق أبواب الأغنياء، وطلب المساعدة منهم، بل بدأ بنفسه، وبيوته..

٣ - إنه (ﷺ) لم يذهب بنفسه إلى تلك البيوت لسؤال أزواجه عن شيء من الطعام، بل أرسل إليهن من يسألهن عن ذلك.. فلم يعد هناك أية فرصة لتوهم أي نوع من أنواع حب الإستئثار بشيء، مهما كان الدافع إلى ذلك معقولاً ومقبولاً، وكافياً لتبرير المنع..

٤ - وبعد أن ظهر أن بيوت رسول الله (ﷺ) خالية إلا من الماء، لم يخاطب النبي (ﷺ) في أمره للناس شخصاً بخصوصه، فلم يطلب من علي (عليه السلام) مثلاً أن يتولى سد حاجته، بل أطلق الخطاب لكل من حضر، وقال: من لهذا الرجل الليلة؟!

ولعل سبب ذلك: أنه (ﷺ) أراد أن ينيل علياً (عليه السلام) ثواب المبادرة والإختيار، وثواب البذل والعطاء، والإيثار، ولكي لا يتوهم أحد أنه (عليه السلام) قد رضي بما فرض عليه حياء، أو اتباعاً وطاعة. ولا يعلم إن كان وراءها حرص واندفاع، أو ليس وارهها شيء من ذلك.

٥ - واللافت هنا: أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي التي اقترحت إيثار ذلك الجائع بقوت ولديها، مع أن الأم تكون عادة أحرص على طعام أبنائها وتوفيره لهم.

٦ - ربما يسأل سائل عن أنه كيف جاز للزهراء وعلي (عليه السلام) أن يجيعا ولديهما، ويتصرفا بحقهما تصرفاً يعرضهما للأذى أو الضرر. أو

يوقعهما في تعب ومشقة؟!!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأن الحسنين (عليهما السلام) كانا منسجمين مع تصرف أبويهما، ولا يرضيان بالإحتفاظ بالطعام لنفسيهما، وإبقاء ذلك الرجل جائعاً.

وصغر سنهما لا يعني أنهما يريان أنفسهما في منأى عن التكليف الإلهية، فإن التكليف الذي هو منوط بالسن، إنما لوحظ السن فيه بالنسبة لنا نحن. أما الأنبياء وأوصيائهم، فلعل الأمر ليس منوطاً بالسن، بل بالقدرة والعلم والإدراك. وهذا متحقق فيهم (عليهم السلام) بأقصى الدرجات، كما يدل عليه قول عيسى (عليه السلام) حين ولادته: **(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)**^(١)، كما تدل عليه أجوبتهم على أدق المسائل في حال صغرهم، بالإضافة إلى شواهد أخرى..

ولأجل ذلك تقول الرواية: إن الآية المباركة نزلت في الأربعة: علي وفاطمة والحسنين (عليهم السلام)، فراجع..

ثانياً: إننا وإن لم نعرف الوجه في هذا التصرف، فلا نشك في صحة ومشروعية، فإننا إنما نأخذ التشريع منهم (عليهم السلام)، وتكفيينا عصمتهم الثابتة بنص القرآن للإجابة على أي سؤال، وإزالة أية شبهة..

٧ - إن تعدد الوقائع المروية في بيان شأن نزول قوله تعالى: **(وَيُؤْتِرُونَ)**

١ - الآيتان ٣٠ و ٣١ من سورة مريم.

عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ^(١) في علي (عليه السلام) لا يوجب خلافاً في الروايات، لإمكان صحة جميعها، وتكرر نزول الآية في هذه الواقعة وتلك.. وهذا معروف ومألوف..

فلا عجب إذا كانت آية الإيثار قد نزلت في قضية الرجل الجائع، وإيثارهم إياه بطعام الإمامين: الحسن والحسين (عليهما السلام).. ثم نزلت في مناسبة إيثار علي (عليه السلام) بالحللة التي كساه إياها الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك الذي جاءه يشكو عريته وعري أهل بيته..

ثم نزلت في إيثاره (عليه السلام) المقداد بالدينار الذي استقرضه.

وهذا يفسر التعبير في الآية بالفعل المضارع الدال على الدوام والإستمرار، وأن هو خلقهم (عليهم السلام).

٨ - وعن قول الراوي: إنهما جعلاً يعضغان بألستهما نقول:

هل أرادا (عليهما السلام) الإيحاء لذلك الضيف بأثما يأكلان ما يأكل؟!!

ولماذا يريدان إفهامه ذلك؟! وهل كان هو مهتماً لهذا الأمر؟!!

وإذا كان علي (عليه السلام) يريد أن يفهمه ذلك، فما شأن الزهراء (عليها السلام) في هذا الأمر؟! وهل تجلس مع رجل غريب

لتأكل معه، وتسمعه صوت مضغها للطعام؟!!

وإن كان المقصود هو الإيحاء للصبية بذلك، فهو لا معنى له، لأن ذلك يزيد في رغبتهما بالطعام!!

١ - الآية ٩ من سورة الحشر.

فالأنسب القول: بأن علياً وفاطمة (عليهما السلام) جعلتا يفعلان ذلك من دون أن يكون الهدف إسماع الضيف، بل كان ذلك هو ما اقتضته شدة حاجتهما إلى الطعام.

أو يقال: إن الصبية - والمقصود هو الحسنان (عليهما السلام) - باتتا يمضغان بألستهما، استجابة لدواعي الحاجة إلى الطعام..

ولكن أين كانت زينب وأم كلثوم عن هذه الحادثة؟! هل كان ذلك قبل ولادتهما؟! أم أن الإيثار كان بخصوص طعام الحسن والحسين (عليهما السلام)؟! لأنهما اللذان يمكنهما المبادرة الإختيارية إلى أمر من هذا القبيل، لخصوصية فيهما أشرنا إليها فيما قدمناه آنفاً برقم (٦) .

٩ . وقد أظهر الله سبحانه الكرامة لهما حين وجدا الجفنة مملوءة طعاماً، ليعلم الناس أن التجارة مع الله رابحة دائماً..

١٠ . وحديث الدينار الذي أعطاه (عليه السلام) للمقداد دل أن علياً (عليه السلام) أصبح ساغباً، ويبدو أنه كان قد مضى عليه يومان بلا طعام.. وأن الزهراء (عليها السلام) آثرت بالطعام على نفسها وعلى الحسين (عليه السلام) ..

ومن المعلوم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان أيضاً يطوي بعض أيامه بلا طعام، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع.. مع أن الكثيرين من الناس كانوا على استعداد لبذل أموالهم له، وكثير منهم يبذل نفسه في سبيله ومن أجله..

وكان علي والزهراء والحسنان (عليه السلام) أقرب الناس إليه، وأحبهم إليه، ولكنهم جميعاً يعرضون عن هذه الدنيا، ويسوون أنفسهم بأضعف الناس فيها.. على قاعدة: (ولعل بالحجاز أو اليمامة، من لا عهد له بالشيعة)، وعلى قاعدة: (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن عيشه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد)^(١).

١١ . وقد ذكرت الزهراء (عليها السلام) لعلي (عليه السلام): أنها آثرت بالطعام غيرها على نفسها، وعلى ولديها، مصرحة باسمهما: (الحسن والحسين)، فهما اللذان يمكن التصرف بحصتهما، لخصوصيتهما في التكليف، والإدراك وسائر الكمالات، بملاحظة ما لهما من مقام في الإمامة للأمة.

وربما كان هذا التصرف بطلب منهما، كما أشرنا إليه حين الحديث عن سورة هل أتى.

١ - نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٧٠ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٥٤ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٥٤ وج ١٦ ص ٣٠٠ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٤٢ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٧٤ وج ٤٠ ص ٣١٨ و ٣٤٠ وج ٦٧ ص ٣٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٣٤ وج ٢٣ ص ٢٧٢ ونهج السعادة ج ٤ ص ٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٠٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١٣٩ وينايع المودة ج ١ ص ٤٣٩.

١٢ . وقد صرحت الزهراء (عليها السلام): بأنها تستحي من الله أن تكلف علياً (عليه السلام) ما لا يقدر عليه.. مع أن علياً (عليه السلام) ألمح إلى أنه كان قادراً على أن يأتيهم بشيء، حيث قال لها: (ألا أعلمتني، فأتيتكم بشيء)؟! فهل علمت (عليها السلام) ما لم يعلمه علي (صلوات الله عليه)؟! بمعنى أنها تحدثت عن علمها بالواقع، فأخبرته: أنه (عليه السلام) حتى لو سعى للحصول على شيء فإنه لن يحصل عليه..

أما علي (عليه السلام) فكلمها وفق الأحوال الظاهرة، والمتوقعة، بحسب العادة عند سائر الناس، بغض النظر عما ينكشف له بعلم الإمامة..

وبذلك تكون هذه الرواية قد تضمنت إشارة إلى أن لدى الزهراء (عليها السلام) معرفة أرقى من المعرفة الظاهرية المتوفرة لدى سائر الناس. وذلك لبيان عظمتها، وتأكيد تميزها عن سائر النساء بهذا المقام الذي لا يناله إلا صفوة الخلق.. وعلى رأسهم أبوها (صلى الله عليه وآله)، وزوجها (عليه السلام).

١٣ . وقد لفت نظرنا: أنه (عليه السلام) قد (استقرض) من النبي (صلى الله عليه وآله) ديناراً. مع أن الأمور كانت تجري بينهما على أساس أنهما عائلة واحدة.. والإستقراض معناه: أن ثمة قيوداً وحدوداً لم نعهدها!! فكيف نفسر ذلك؟! ونجيب:

أولاً: لعل النبي (صلى الله عليه وآله) كان قد ادخر هذا الدينار

للإنفاق على أزواجه. ولم يكن يمكنه التفريط به، مع حاجة من تجب نفقته عليه..

ثانياً: لعل المقصود: هو أن ينال النبي (ﷺ) ثواب القرض بثمانية عشر، والصدقة بعشرة^(١). وأن ينال علي (عليه السلام) ثواب الكاد على عياله، فإنه كالمجاهد في سبيل الله^(٢)، حيث لا بد أن يكسب في تحصيل الدينار ليرده إلى صاحبه..

١٤. وقد أعطى علي (عليه السلام) الدينار كله للمقداد، وكان بإمكانه أن يتقاسمه معه. فيكون قد نال ثواب الصدقة من جهة، وحل مشكلة العيال من جهة أخرى.

١- الكافي ج ٤ ص ٣٤ وبحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٣٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٩ ص ٣٠٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٦ ص ٢٠٩ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ١٢٢ و ج ١٨ ص ٢٨٦ و ٢٨٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٠١ وألف حديث في المؤمن للشيخ هادي النجفي ص ١٠٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٩ و ٣٥٠ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ١٩٠ و ج ٥ ص ٢٣٩.

٢- الكافي ج ٥ ص ٨٨ وراجع: تحف العقول ص ٤٤٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٧ ص ٦٧ و (ط دار الإسلامية) ج ١٢ ص ٤٢ وبحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٧ ص ١٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٧ ص ٣٨١.

ولكنه (عليه السلام) أراد:

أولاً: أن ينال ثواب الإيثار على النفس حتى مع الخصاصة الظاهرة..

ثانياً: إذا نظرنا إلى مجموع الروايات وجمعنا بينها، فقد نستفيد: أنه (عليه السلام) أراد أن يعطى المقداد ما يغنيه عن

العودة إلى معاناة شدائد الحاجة في الجهات المختلفة، وربما كان منها كسوة عياله (عليه السلام) أيضاً.

بل لعله رأى أن حاجة المقداد وعياله كانت غير قابلة للتجزئة، فقد كانوا بحاجة إلى الكسوة أكثر من أي شيء

آخر. والكسوة قد تكون أكثر أهمية وحساسية حتى من معاناة الجوع. فأعطاه الحلة ليكتسي هو بها، ثم أعطاه

الدينار ليكسو به عياله.

١٥. ورغم أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد سأل علياً (عليه السلام) عما صنع، فأخبره. فإنه (صلى الله عليه وآله) طلب منه بعد انقضاء صلاته

أن يتعشى عنده، لأن الله تعالى قد أوحى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله) بذلك، ليظهر الكرامة الإلهية للزهراء وعلي (عليه السلام)، كما

أظهرها لمريم (عليها السلام) من قبل.

ولكن هناك فرق جوهري بينهما، وهو: أن علياً (عليه السلام) قد نام بعد تصدقه بالدينار، فكان نومه كيقظته عبادة

يستحق معها الكرامة.

أما مريم (عليها السلام)، فإن استحقاقها لإظهار هذه الكرامة لها مرهون باشتغالها بالعبادة بالفعل، فأناها الله تعالى تلك

الكرامة نتيجة لذلك.

إذ لم يكن نومها مثل نوم علي (عليه السلام).

كما أن فاطمة (عليها السلام) كانت حياتها كحياة علي (عليه السلام) كلها عبادة، وكان نومها ويقظتها وشغلها وفراغها على حد سواء في ذلك.. فهي تستحق الكرامة في كل حال، وعلى كل حال.

النيبي (صلى الله عليه وآله) في ضيافة علي (عليه السلام):

عبد الله بن علي بن الحسين، يرفعه: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أتى مع جماعة من أصحابه إلى علي (عليه السلام)، فلم يجد علي شيئاً يقربه إليهم، فخرج ليحصل لهم شيئاً، فإذا هو بدينار على الأرض، فتناوله وعرف به، فلم يجد له طالباً، فقومه على نفسه، واشترى به طعاماً، وأتى به إليهم.

وأصاب [به] عوضه، وجعل ينشد صاحبه، فلم يجده، فأتى به النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبره.

فقال: يا علي، إنه شيء أعطاكه الله لما اطلع على نيتك وما أردته، وليس هو شيء للناس، ودعا له بخير^(١).
ونقول:

لا نرى حاجة إلى التعليق على هذه الحادثة، غير أننا نعيد على مسامع القارئ الكريم ما صرحت به الرواية من أنه

(عليه السلام):

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٠ عن مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٨٩ و ٩٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٩٤ وشرح الأخبار ج ٢ ص ١٨٣.

١ . قوم الدينار على نفسه قبل أن يتصرف فيه .

٢ . إنه (عليه السلام) عرّف الدينار مرتين:

إحدهما: قبل التصرف فيه .

والثانية: بعد أن أصاب عوضه، وأصبح قادراً على الوفاء به لصاحبه .

٣ . إن قول النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قد تضمن أن للنوايا الحسنة آثارها على صعيد استدعاء الهبات والمنح

الإلهية .

٤ . إن النبي (صلى الله عليه وآله) أسقط عن علي (عليه السلام) مسؤولية البحث عن صاحب الدينار حين أخبره أنه عطاء إلهي،

وليس له صاحب بعينه في الناس .

صدقات (عليه السلام) علي وصدقات غيره:

جاء في تفسير الإمام العسكري: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصبح يوماً وقد غص مجلسه بأهله، فقال: أيكم اليوم

أنفق من ماله ابتغاء وجه الله؟! فسكتوا .

فقال علي (عليه السلام): أنا، خرجت ومعني دينار أريد أشتري به دقيقاً، فرأيت المقداد بن أسود، وتبينت في وجهه أثر

الجوع، فناولته الدينار .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وجبت .

ثم قام آخر، فقال: قد أنفقت اليوم أكثر مما أنفق علي، جهزت رجلاً وامرأة يريدان طريقاً ولا نفقة لهما،

فأعطيتهما ألف درهم . فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فقالوا: يا رسول الله، مالك قلت لعلي: (وجبت)، ولم تقل لهذا وهو أكثر صدقة؟! فقال رسول الله (ﷺ): أما رأيتم ملكاً يهدي خادمه إليه هدية خفيفة فيحسن موقعها، ويرفع محل صاحبها. ويحمل إليه من عند خادم آخر هدية عظيمة، فيردها ويستخف بباعثها؟! قالوا: بلى.

قال: فكذلك صاحبكم علي، دفع ديناراً منقاداً لله، ساداً خلة فقير مؤمن، وصاحبكم الآخر أعطى ما أعطى معاندة لأخي رسول الله، يريد به العلو على علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأحبط الله عمله، وصيره وبالاً عليه. أما لو تصدق بهذه النية من الثرى إلى العرش ذهباً أو لؤلؤاً لم يزد بذلك من رحمة الله إلا بعداً، ولسخط الله تعالى إلا قرباً، وفيه ولو جأ واقتحاماً. الحديث^(١).
ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: يستوقفنا هنا: أنه (ﷺ) استخدم أسلوباً استدرجياً أراد أن يظهر به إخلاص علي (عليه السلام)، وفضله.. وأنه لا يظهر الزهد والعبادة بالدنيا تصنعاً، كما سيأتي بيانه في خلافة عمر بن

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٨ والتفسير المنسوب للإمام العسكري (ط مدرسة الإمام المهدي) ص ٨٣ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٦٣١.

الخطاب، حيث زعموا أن عمر قد اتهمه بذلك.

ثانياً: إنه (ﷺ) يريد أن يعطي للناس درساً في الإخلاص، ولكن لا بأسلوب الوعظ الكلامي، بل بتقديم الأمثلة العملية، وتجسيد المعنى بصورة واقعية وحيّة، تشد الأنظار إليه، وتحنو القلوب عليه، فإنه أوقع في النفس، وأرضى للوجدان..

ثالثاً: إن البعض توهم أمرين:

أحدهما: توهم: أن الميزان في الفضل، وفي قبول الأعمال هو الكثرات والأحجام. وتوهم أن النبي (ﷺ) منح علياً (عليه السلام) وسام القبول لأجل ذلك، فقد كانت صدقته ديناراً في وقت حاجة وعوز، يقل التصدق فيها بالذهب..
الثاني: توهم: أنه (ﷺ) إنما تكلم مع علي (عليه السلام) بمقتضى المجاملة، أو على الطريقة القانونية، التي تلاحظ الأحوال في مظاهرها وتجلياتها الخارجية، وتصدر الحكم على هذا الأساس.
ونقول:

لقد غاب عن ذهن هذا البعض أمران آخران هما:

الأول: أنه (ﷺ) له طريق إلى الباطن، ويستطيع باستشرافه إليه، وإطلاعه عليه أن يعرف المخلص في عمله من غيره.

وأنه (ﷺ) لو لم يطلع على إخلاص علي (عليه السلام)، وأنه قد ابتغى وجه الله بالفعل، لم يقل له: (وجبت)، لأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولا يمكن أن يخطف الوحي في كشفه للحقائق.

وقد كان سؤاله (ﷺ) عن الذي ابتغى وجه الله في صدقته، وهذا أمر باطني لا يقف عليه إلا علام الغيوب، ومن أعطاه الله تعالى معرفة ذلك بوسائل يهيؤها له ..

الثاني: إن المعيار في الأعمال: هو الكيف. وليس الكم والمقدار، وذلك الرجل إنما أراد أن يتباهى بالكم والحجم، حين قال: (أنفقت اليوم أكثر مما أنفق علي) ..

والأريب اللبيب لا بد أن يسأل عن سبب هذه المقايسة بين مقدار ما أنفقه ذلك الرجل، وما أنفقه علي (عليه السلام)، وسيشتم رائحة اعتماد الأحجام والمقادير في مقاييس هذا الرجل، ومعايير الرد والقبول عنده.

رابعاً: إن اعتراض الجماعة على رسول الله (ﷺ) قد بين أنهم كانوا على شاكلة ذلك الرجل في فهمهم للأمور وتعاطيهم معها، فكانوا بحاجة إلى التوضيح والتصحيح، كصاحبهم ..

خامساً: إنه (ﷺ) قد بين الفرق بين الرجلين، فعلي (عليه السلام) دعاه إلى الأخطاء أمران: أحدهما: رضا الله.

والآخر: شعوره الإنساني، وإحساسه بالآلام الآخرين، ووجهه للتخفيف عنهم ..

أما الرجل الآخر، فأعطى إرضاء لمن يراه سلطاناً يضر وينفع، ويعطي ويمنع، وهو رسول الله (ﷺ)، وكان يريد بذلك منافسة علي (عليه السلام) والإستعلاء عليه .. فأحبط الله عمله إلى آخر ما قال.

سادساً: إن هذه الحادثة رغم أهميتها وحساسيتها لم تستطع أن تفصح لنا عن اسم ذلك الشخص الذي أراد منافسة علي (عليه السلام)، ولعله من ذلك الفريق الذي جرت عادتهم بالذب عنه، والتستر عليه في أمثال هذه الحالات، وما أكثرها!!

بيعه درعه ليطعم المقداد:

وفي حديث ابن عباس: أن المقداد قال له: أنا منذ ثلاثة أيام ما طعمت شيئاً. فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) وباع درعه بخمس مائة، ودفع إليه بعضها، وانصرف متحيراً. فناداه أعرابي: اشتر مني هذه الناقة مؤجلاً. فاشتراها بمائة، ومضى الأعرابي. فاستقبله آخر، وقال: بعني هذه بمائة وخمسين درهماً. فباع.

وصاح: يا حسن ويا حسين، إمضيا في طلب الأعرابي وهو على الباب. فرآه النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يتبسم ويقول: يا علي، الأعرابي صاحب الناقة جبرئيل، والمشتري ميكائيل. يا علي، المائة عن الناقة، والخمسين بالخمسة التي دفعتها إلى المقداد، ثم

تلا: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) (١) الآية (٢).

ونقول:

- ١ . إن حديث المقداد هذا هو واقعة أخرى غير ما تقدم من إعطائه الحلة حين احتاج إلى الكسوة، وإعطائه الدينار حين احتاج إليه.
- ٢ . إن لهذه الحادثة رمزية خاصة، من حيث إنها إيثار. ثم من حيث نوع ما أثره به، وهي درعه التي يفترض أن تحميه من سيوف ونصول وسهام أعدائه، التي يراد لها أن تفتك فيه، وتزهق روحه. فكأنه (عليه السلام) جاد له بنفسه. (والجود بالنفس أقصى غاية الجود).
- ٣ . إن هذا الإخلاص والإيثار استحق أن يجد (عليه السلام) التعويض عما أنفقه مادياً ومعنوياً إلى الحد الذي تولت الملائكة فيه التجارة له، ومعه.
- ٤ . إن ما فعله جبرئيل وميكائيل لم يأت في سياق المكافأة. لأن ما يستحقه من ذلك لا يقدر بثمن. بل جاء في سياق إيجاد المخرج من الحيرة. وهذا ينبىء عن أن المكافأة الحقيقية لا مجال لتصورها في أهميتها وعظمتها.

١ - الآية ٢ من سورة الطلاق.

٢ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣١ عن مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٩١ و ٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٠.

رجال لا تلهيهم تجارة:

قال ابن شهر آشوب:

كتاب أبي بكر الشيرازي بإسناده عن مقاتل، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) إلى قوله: (بِغَيْرِ حِسَابٍ)^(١).

قال: هو والله أمير المؤمنين.

ثم قال بعد كلام: وذلك أن النبي (ﷺ) أعطى علياً يوماً ثلاثمائة دينار أهديت إليه، قال علي: فأخذتها وقلت: والله لأتصدقن الليلة من هذه الدنانير صدقة يقبلها الله مني، فلما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله (ﷺ) أخذت مائة دينار، وخرجت من المسجد، فاستقبلتني امرأة، فأعطيتها الدنانير.

فأصبح الناس بالغد يقولون: تصدق علي الليلة بمائة دينار على امرأة فاجرة.

فاغتممت غماً شديداً، فلما صليت الليلة القابلة صلاة العتمة أخذت مائة دينار وخرجت من المسجد وقلت: والله لأتصدقن الليلة بصدقة يتقبلها ربي مني، فلقيت رجلاً، فتصدقت عليه بالدنانير.

فأصبح أهل المدينة يقولون: تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل سارق.

١ - الآيتان ٣٧ و ٣٨ من سورة النور.

فاغتممت غماً شديداً وقلت: والله لأتصدقن الليلة صدقة يتقبلها الله مني، فصليت العشاء الآخرة مع رسول الله (ﷺ)، ثم خرجت من المسجد ومعني مائة دينار، فلقيت رجلاً، فأعطيته إياها. فلما أصبحت قال أهل المدينة: تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل غني. فاغتممت غماً شديداً، فأتيت رسول الله (ﷺ) فخبرتة. فقال لي: يا علي، هذا جبرئيل يقول لك: إن الله عز وجل قد قبل صدقاتك، وركى عملك. إن المائة دينار التي تصدقت بها أول ليلة وقعت في يدي امرأة فاسدة، فرجعت إلى منزلها وتابت إلى الله عز وجل من الفساد، وجعلت تلك الدنانير رأس مالها، وهي في طلب بعل تتزوج به. وإن الصدقة الثانية وقعت في يدي سارق، فرجع إلى منزله وتاب إلى الله من سرقة، وجعل الدنانير رأس ماله يتجر بها.

وإن الصدقة الثالثة وقعت في يدي رجل غني لم يرك ماله منذ سنين، فرجع إلى منزله، ووبخ نفسه، وقال: شحاً عليك يا نفس، هذا علي بن أبي طالب تصدق علي بمائة دينار ولا مال له، وأنا فقد أوجب الله علي مالي الزكاة لأعوام كثيرة لم أركه؟! فحسب ماله وركاه، وأخرج زكاة ماله كذا وكذا ديناراً، فأنزل الله

فيك: (رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ) ^(١) الآية ^(٢).

ونقول:

في هذه الرواية أمور يحسن الوقوف عندها، والتأمل فيها، وهي التالية:

ثلاث مئة دينار لماذا؟!:

قد يسأل سائل عن المبرر لإعطاء هذه المبالغ الطائلة لرجل واحد، وكان بالإمكان تفريقها على مئات الفقراء. مع علمنا بانتشار الفقر، وشيوع الحاجة بين الناس.

ونجيب:

إنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم يعطها لمن يدخرها، ويقفل عليها في خزائنه، بل هو يعطيها لمن ينفقها وفق ما يرضي الله تعالى ويرضيه على أتم وجه، ويقول للدنيا: غري غيري.. أبي تعرضت؟! أم إني تشوفت؟! ^(٣).

١ - الآية ٣٧ من سورة النور.

٢ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٨ و ٢٩ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٨٨ و ٨٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٤٨ ومستدرک الوسائل ج ٧ ص ٢٦٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٣٢٧.

٣ - نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٤ ص ١٦ وخصائص الأئمة ص ٧١ وروضة الواعظين ص ٤٤١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكويتي ج ٢ ص ٥٢ وكنز الفوائد ص ٢٧٠ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص ٨٦ ومناقب آل أبي طالب (المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٧٠ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي = = ص ٥٥٧ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص ٣٢ وشرح مئة كلمة لأمر المؤمنين لابن ميثم البحراني ص ٢٢٦ وذخائر العقبى ص ١٠٠ والعقد النضيد والدر الفريد ص ١٠٢ ومشكاة الأنوار لعلي الطبرسي ص ٤٦٧ وعدة الداعي لابن فهد الحلبي ص ١٩٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢١٢ و ٢١٤ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٧٩ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٥١ و ٢٥٧ و ٣٤ ص ٢٨٤ وج ٤٠ ص ٣٢٨ و ٣٤٥ وج ٤١ ص ١٢١ وج ٧٠ ص ١٢٨ وج ٧٥ ص ٢٣ وج ٨٤ ص ١٥٦ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٢٢١ وشجرة طوبى ج ١ ص ١١١ والغدير ج ٢ ص ٣١٩ وج ٧ ص ١١٤ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٣٣٣ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٦٠٩ و ٧٦٥.

ومن يقول فيه أعداؤه: (لو كان له بيتان: بيت من تين، وبيت من تير، لأنفق تيره قبل تينه)^(١).
ثانياً: إن الإعطاء لا يجب أن يكون دائماً لسد الخلة، ودفع الحاجة، بل قد يكون سببه نشر الدين، أو التألف
على الإسلام، أو إفهام الآخرين معانٍ يحسن بهم أن يعرفوها ويفهموها، وأن يتلمسوها.
من أجل ذلك نقول:

إنه (ﷺ) حين أعطى مئة دينار لرجل واحد في الليلة الأولى،

١ - شرح الأخبار ج ٢ ص ٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣١ ص ٥٣٩ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٥٤ وكشف الغمة ج ٢ ص ٤٨ وكشف اليقين ص ٤٧٥.

ومثلها في الليلة الثانية والثالثة، لعله قد توخى أموراً أخرى غير الحاجة، تستحق أن تبذل في سبيلها هذه المقادير من الأموال ..

هل هذا تدخل إلهي؟!:

قد يقال: إن الله تعالى قد يتدخل لتغيير مسار الأحداث، حين لا يكون هذا التدخل مخالفاً بالضوابط التي رضىها الله تعالى أساساً للتعامل مع عباده، وفيما بينهم ..

ونستطيع أن نلمح هذا التدخل في هذه الواقعة بالذات، حيث رأينا أنه تعالى قد حجب عن علي (عليه السلام) المعرفة بماهية السائلين في الليالي الثلاث، لتقع الصدقة الأولى والثانية والثالثة في يد غير أهلها، لكي تنتج عنها هذه التوبة، ومراجعة الحسابات، التي انتهت بإنقاذ هؤلاء مما هم فيه من انحراف ..

ولكننا حين نتأمل في نص الرواية، لا نجد فيها ما يدل على عدم معرفة علي (عليه السلام) بواقع حال من تصدق عليهم في الليالي الثلاث .. بل غاية ما ذكرته هو قوله: إن الناس يقولون كذا وكذا، ويقول (عليه السلام): (فاغتممت غمماً شديداً) ..

ثم خبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما جرى ..

فقال: يا علي، هذا جرئيل الخ ..

فما الذي يمنع من أن يكون (عليه السلام) على علم بما يجري، وكان قاصداً لهدايتهم عن هذا الطريق .. ولكنه كان يغتم بانكشاف واقع هؤلاء

الأشخاص الذين تصدق عليهم للناس..

الدينار المرهون عند الجزار:

بسند عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ): أن رسول الله (ﷺ) أتاه يوماً، فقال: أين ابناي؟! يعني حسناً وحسيناً .

قالت: قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق.

فقال علي: أذهب بهما، فإني أتخوف أن ييكيا عليك، وليس عندك شيء.

فذهب بهما إلى فلان اليهودي، فوجه إليه رسول الله (ﷺ)، فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من

تمر، فقال (ﷺ): يا علي، ألا تقلب ابني قبل أن يشتد الحر عليهما.

قال: فقال علي: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات.

فجلس رسول الله (ﷺ) وعلي ينزع لليهودي كل دلو بتمرة، حتى اجتمع له شيء من تمر، فجعله في حجزته، ثم

أقبل، فحمل رسول الله (ﷺ) أحدهما، وحمل علي الآخر^(١).

١ - الذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص ١٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦١٦ عن أرجح المطالب ص ١٤٩ وراجع: ذخائر العقبي للطبري ص ٤٩ و ١٠٤ وجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣١٦ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤٢٢ وتاريخ = مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٧١ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ١٨٨ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٨ وينابيع المودة ج ٢ ص ١٣٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦١٦ و ج ١٠ ص ٧٤٠ و ج ١٩ ص ٢٠٦ و ج ٢٦ ص ٢٥٠.

روى العلامة محب الدين الطبري عن سهل بن سعد: أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) دخل على فاطمة وحسن وحسين يكيان. فقال: ما يكيهما؟

قالت: الجوع.

فخرج علي، فوجد ديناراً في السوق، فجاء إلى فاطمة، فأخبرها، فقالت: اذهب إلى فلان اليهودي، فخذ لنا به دقيقاً.

فجاء إلى اليهودي، فاشترى به دقيقاً.

فقال اليهودي: أنت ختن هذا الذي يزعم أنه رسول الله (ﷺ).

قال: نعم.

قال: فخذ دينارك وخذ الدقيق.

فخرج علي حتى جاء فاطمة فأخبرها.

فقالت: اذهب إلى فلان الجزار، فخذ لنا بدرهم لحماً.

فذهب، فوهن الدينار بدرهم في لحم، فجاء به.

فعمجت، وخيزت، وطبخت. وأرسلت إلى أبيها (ﷺ)، فجاءهم، وقالت: يا رسول الله، أذكر لك، فإن رأيتَه
حلالاً أكلنا وأكلت: من شأنه كذا وكذا.

فقال (ﷺ): كلوا باسم الله، فأكلوا، فبينما هم بمكانهم وإذا بغلام ينشد الله والإسلام الدينار.
فأمر رسول الله (ﷺ) علياً: يا علي، اذهب إلى الجزار فقل له: إن رسول الله (ﷺ) يقول لك: ارسل إلي
بالدينار، ودرهمك علي.

فأرسل به، فدفعه إليه^(١).

وتقول:

لاحظ ما يلي:

١ - إن علياً (عليه السلام) لم يأخذ ولديه إلى اليهودي ليستعطفه بهما، ويحصل منه على المال.. بل ذهب ليعمل،
ويحصل على حاجته من المال بكديده، وبعرق جبينه.

٢ - إنه (عليه السلام) قد أخذ ولديه معه ليخفف عن فاطمة (عليها السلام).. حتى لا ييكيا عليها، حين يعرضهما الجوع.. ولا
شك في أنها سوف تتأثر لبكائهما هذا، فإذا كان يمكنه (عليه السلام) أن يخفف عنها،

١ - ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي بمصر) ص ١٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦١٥ ومدينة المعاجز ج ١ ص ١٦٦ و ج ٣٢
ص ٢٤٧.

فلم لا.. وهذا درس ظاهر الدلالة في تعاون الزوجين في مواجهة مصاعب الحياة.. يضاف إليه درس آخر عن أخلاق الأنبياء والأوصياء في التعامل مع الدنيا.. فلا تهزمه شدائدها، بل يصبر على ألم الجوع حتى حين يعرض أطفاله الصغار، الذين هم كالحسنين (عليهما السلام). فيحفظ توازنه، ويستقيم على طريق التعفف، والزهد حتى لو كان يستطيع بأدنى إشارة منه إلى أي كان من الناس أن يحصل على ما يريد.. وفوق ما يريد..

٣. إن الحسنين (عليهما السلام)، وإن كانا معصومين وكاملين، ومتوازنين وعاقلين في الصغر والكبر، ولكن لا بد أن يتعاملا مع الأمور معاملة تشبه حالهما، أي أن المطلوب الذي تفرضه مصالح العباد، هو أن تظهر عليهما حالات الطفولة.. التي منها أن يعبر عن حاجته للطعام حين يحتاج إليه، ثم أن تكون وسيلة تعبيره هي البكاء حين يشتد عليه الجوع..

٤. ذكرت الرواية: أن الرسول قد وجدتهما يلعبان في مشربة، فيرد سؤال يقول: كيف يكون هذا والإمام المعصوم لا يلعب؟!|

ويجاب: بأن الظاهر: أن المراد باللعب هو ممارسة حركات ذات معان جلييلة وعالية لا يفهمها الناس العاديون إلا على أنها لعب، لأن الناس لا يحتلمون أن يكون الأطفال الذين في سنهما يتداولون فيما بينهم بأمثال هذه المعاني الراقية.

وسياًتي: أن طفلاً حبا حتى أصبح على الميزاب، فلم يمكنهم الوصول إليه، فاستنجدوا بسيد الوصيين، فجاء بطفل يخاطبه، فكلمه بكلام غير مفهوم، فخرج من موضعه. ثم أخبر علي (عليه السلام) بما قاله.. وإذ به

يحمل معان لا يظن احد أن من كان في هذا السن يدركها، أو يحسن التعبير عنها.

٥ . إن العمل لليهودي ليس ممنوعاً عنه شرعاً، ولا هو ما يعاب به الناس، بل العمل شرف للعامل، والعمل بالأجرة ما هو إلا تبادل للمنافع، فهو لا يختلف عن البيع والشراء الذي هو تداول للسلع معهم..

٦ . كانت شوكة اليهود قد كسرت في المدينة، بعد ظهور خياناتهم، والحروب معهم التي انتهت بإجلائهم، وبقتل من قاتل أهل الإسلام منهم..

وكان رسول الله (ﷺ) هو رأس أهل الإسلام، وكان علي (عليه السلام)، وابنته فاطمة (عليها السلام) أعز الناس عليه.. وها هم يقاسون الألام والمصاعب والمتاعب بسبب الجوع، وأعداؤهم ومخالفوهم في الدين، الذين عاملوهم بالخيانة والغدر، يملكون البساتين والأموال، ولكن النبي (ﷺ) وكذلك علي (عليه السلام)، وسائر المسلمين لا يحاولون ابتزاز هؤلاء اليهود، الذين لم يكونوا أوفياء لهم حتى قبضة من تمر. بل هم لا يأخذون منهم ولو ثمرة واحدة، أو ما يعادلها.

٧ . بل إنك تجد أعظم الناس أثراً بعد نبي الإسلام، وأخاه وابن عمه، وصهره، الذي حصد رؤوس الشرك والكفر، وأفنى جموع اليهود والمشركين . تجده . يعمل عند يهودي كأجير، فينزح له كل دلو بتمرة ولا يستفيد حتى من هيبته في الحصول ولو على ثمرة واحدة، إضافة على ما يستحقه بعمله، إلا إذا أدى في مقابلها ما يوازئها.

٨ - وعن قصة الدينار نقول:

إنها، وإن كانت تشير إلى العديد من الأمور، ولكننا نكتفي منها بذكر ما يلي:
ألف: قد يقال: إن ظاهر الرواية: أن فاطمة (عليها السلام) لم تكن تعرف الحكم الشرعي في هذا المورد، حيث ذكرت
لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أنها سوف تحكي له القصة، فإن رأى الطعام حلالاً أكل وأكلوا معه.
فهل يمكن أن تجهل فاطمة (عليها السلام) تكليفها الشرعي، في هذا المورد؟!
وإذا كانت شاكة في الحكم الشرعي، فلماذا تصرفت بالمال، فطبخت، وعجنت، وخبزت؟!
ونجيب:

أولاً: إنها (عليها السلام) أرادت أن يعرف الناس الحكم الشرعي على لسان أبيها. أما هي فكانت على بينة من أمرها.
ولذلك طبخت وعجنت وخبزت دون أن تسأل. ولو كانت شاكة في ذلك لسألت عنه قبل أن تفعل أي شيء،
حتى لا يضيع تعبها سدى، لو كان الجواب بالمنع.
ثانياً: لعل هدفها بالإضافة إلى ما ذكرناه أنفاً هو دفع ظنون الناس وأوهامهم، في أن يكون علي وفاطمة (عليهما السلام)
يتصرفان بالمال بدون احتياط. ويجمعان المال من أي سبيل. ولا يبالغان بالشبهة، وكان الأجدر بهما الإحتفاظ
بالدينار لصاحبه، فلماذا تسرعاً في التصرف فيه؟!

ثم يدعون: أنهم لو أخبروا النبي (ﷺ) بأمر الدينار لم يأكل معهم، لاحتمال أن يكون صاحب الدينار لا يرضى بالتصرف بديناره..

ب: قد يتوهم: أن علياً (عليه السلام) لم يبحث عن صاحب الدينار، بل تصرف فيه بمجرد وجدانه له.. ولكن هذا التوهم لا مبرر له، فإن علياً (عليه السلام) كان يعرف الحكم الشرعي، وهو لزوم تعريف اللقطة، وقد عرف ديناراً آخرًا، في مرة أخرى..

وليس في الرواية ما يدل على عدم مراعاته لهذا الحكم، غاية الأمر أنها لم تذكر ذلك. فلعل الراوي أسقطه اختصارًا، أو لم ير حاجة إلى ذكره.. أو لعل هذه الخصوصية غابت عن ذهن بعض الرواة.. ولعل.. ولعل..

ج: بل قد يقال: إن علياً (عليه السلام) لم يتصرف بالدينار، بل وضعه عند الجزار وثيقة للدين، وتحفظاً على الدرهم، الذي كان له في ذمة علي (عليه السلام)، فإذا جاءه بالدرهم أرجع إليه الدينار.

ولذلك بادر ذلك الجزار إلى إرسال الدينار، بعد أن ضمن له رسول الله (ﷺ) درهمه..

فإن قيل: كيف لا يثق ذلك الجزار بعلي (عليه السلام)؟! ولماذا يأخذ منه الدينار وثيقة لدرهم؟!!

ونجيب:

بأن ذلك لا يدل على عدم ثقة الجزار بعلي (عليه السلام)، إذ لم تصرح الرواية لنا بتفاصيل ما جرى، فلعل علياً (عليه السلام) هو الذي عرض عليه الاحتفاظ بالدينار إلى أن يأتيه بالدرهم. ولعله خشي من أن يحدث لعلي (عليه السلام) حدث في الحروب.. ويقع الذين هم بعده في الإرتباك، ويصعب أو يطول عليهم الوقت في تحصيل درهمهم. قبول الصدقات وتركية العمل:

ثم ذكرت الرواية: أنه تعالى قد زكى عمل علي (عليه السلام) وقبل صدقاته. وفي هذا إلماح لما ذكرناه، من أن المال الطاهر إذا خلصت النية في إنفاقه، فإن الله تعالى يتدخل ليزيل عنه التلوثات التي قد يُلحِقُها به الإغيار، لدواع شيطانية مختلفة. على قاعدة:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ^(١).

أي أن الشيطان يسعى لإفساد تدبير الأنبياء والرسل، وإحباط مسعاهم إلى أهدافهم النبيلة الكبرى، ولكن الله يتدخل لإبطال كيد الشيطان، وإزالة الشبهات التي يلقيها، لتسطع أنوار آياته وبراهينه ودلائله..

١ - الآية ٥٢ من سورة الحج.

سورة الليل نزلت في علي (عليه السلام):

١- عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: كان رجل مؤمن على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) في داره حديقة، وله جار له صبيبة، فكان يتساقط الرطب من النخلة، فَيَنْشُدُون صَبِيَّتَهُ يأكلونه، فيأتي الموسر، فيخرج الرطب من جوف أفواه الصبية.

وشكا الرجل ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

فأقبل وحده إلى الرجل، فقال: بعني حديقتك هذه بحديقة في الجنة.

فقال له الموسر: لا أبيعك عاجلاً بأجل!

فبكى النبي (صلى الله عليه وآله)، ورجع نحو المسجد.

فلقيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال [له]: يا رسول الله، ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟!!

فأخبره خبر الرجل الضعيف والحديقة.

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى استخرجه (أي استخرج الرجل الموسر) من منزله، وقال له: بعني دارك.

قال الموسر: بمائطك الحسي.

فصفق على يده ودار (أي استدار) إلى الضعيف، فقال له: تحول إلى دارك، فقد ملكها الله رب العالمين لك.

وأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ونزل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال له: يا مُحَمَّد، اقرأ: **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ**

إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) ^(١). إلى آخر السورة..

فقام النبي (صلى الله عليه وآله) وقبل بين عينيه، ثم قال: بأبي أنت (وأمي)، قد أنزل الله فيك هذه السورة كاملة ^(٢).

٢ - عن موسى بن عيسى الأنصاري قال: كنت جالساً مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد أن

صلينا مع النبي (صلى الله عليه وآله) العصر بمفوات، فجاء رجل إليه، فقال له: يا أبا الحسن، قد قصدتك في حاجة لي، أريد أن

تمضي معي فيها إلى صاحبها.

فقال له: قل.

قال: إني ساكن في دار لرجل فيها نخلة، وإنه يهيج الريح فيسقط من ثمرها بلح ويسر، ورطب وتمر. ويصعد الطير

فيلقي منه، وأنا أكل منه ويأكلون منه الصبيان من غير أن نبخسها بقصب، أو نرميها بحجر، فاسأله أن يجعلني في

حل.

قال: انحض بنا.

فنهضت معه، فجئنا إلى الرجل، فسلم عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فرحب، وفرح به وسر، وقال: فيما جئت يا أبا الحسن؟!!

قال: جئتك في حاجة.

١ - آيات سورة الليل.

٢ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٧ وتفسير فرات ص ٥٦٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٨ ص ٢٢١.

قال: تقضى إن شاء الله، فما هي؟!

قال: هذا الرجل ساكن في دار لك في موضع كذا، ذكر أن فيها نخلة، فإنه يهيج الريح، فيسقط منها بلح وبسر، ورطب وتمر، ويصعد الطير، فيلقي مثل ذلك من غير حجر يرميها به، أو قصبه يبخسها. فاجعله في حل. فتأبى عن ذلك.

وسأله ثانياً، وأقبل عليه في المسألة، ويتأبى.

إلى أن قال: والله أنا أضمن لك عن رسول الله (ﷺ) أن يبدلك بهذا النبي حديقة في الجنة. فأبى عليه، ورهقنا المساء.

فقال له علي (عليه السلام): تبعنيها بحديقتي فلانة؟! فقال له: نعم.

قال: فاشهد لي عليك الله وموسى بن عيسى الأنصاري، أنك قد بعته (أي الحديقة) بهذخ الدار؟!

قال: نعم أشهد الله وموسى بن عيسى [الأنصاري علي] أني قد بعته هذه الحديقة، بشجرها، ونخلها، وثمرها، بهذه الدار، أليس قد بعته هذه الدار بما فيها بهذه الحديقة ولم يتوهم أنه يفعل.

فقال: نعم أشهد الله وموسى بن عيسى علي أني قد بعته هذه الدار بهذه الحديقة.

فالتفت علي (عليه السلام) إلى الرجل، فقال له: قم، فخذ الدار بارك

الله لك، وأنت في حل منها.

وسمعوا أذان بلال، فقاموا مبادرين حتى صلوا مع النبي (ﷺ) المغرب والعشاء الآخرة، ثم انصرفوا إلى منازلهم. فلما أصبحوا صلى النبي بهم الغداة وعقب، فهو يعقب حتى هبط عليه جبرئيل (عليه السلام) بالوحي من عند الله. فأدار وجهه إلى أصحابه، فقال: من فعل منكم في ليلته هذه فعلاً؟! فقد أنزل الله بيانها، فمنكم أحد يخبرني أو أخبره.

فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): بل أخبرنا يا رسول الله. قال: نعم، هبط جبرئيل، فأقراني عن الله السلام، وقال لي: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فعل البارحة فعلة.

فقلت لحبيبي جبرئيل: ما هي؟!!

فقال: اقرأ يا رسول الله.

فقلت: وما أقرأ؟!!

فقال: اقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى). إلى آخر السورة (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) (١).

١ - آيات سورة الليل.

أنت يا علي، أأست صدقت بالجنة، وصدقت بالدار على ساكنها، وبذلت الحديقة؟! قال: نعم يا رسول الله.

قال: فهذه سورة نزلت فيك، وهذا لك..

فوثب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقبل بين عينيه وضمه إليه، وقال له: أنت أخي، وأنا أخوك، صلى الله عليهما وألهما..^(١).

ونقول:

وقد تضمنت الرواية الأولى:

١ - قسوة ذلك الرجل الموسر، التي بلغت به حد أنه كان يستخرج الرطب المتساقط من جوف أفواه الصبية، مع أن النخلة في دار سكنهم.. وفي الرواية الأولى: أنهم كانوا جيرانها، ورطبها يتساقط في دارهم، دون أن يحركوها.. الأمر الذي يدل على خلو قلبه من أية مشاعر إنسانية حية، بل هو قد تحول إلى سبع ضار، لا مجال للسكوت عن فتكاته بمشاعر الناس، حتى الأطفال الذين يعيشون البراءة والطهر بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

٢ - لقد رأينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرواية الأولى يبادر بنفسه إلى معالجة الأمر، فلا يستتبع أحداً، ربما لأنه أراد أن يحفظ لذلك الرجل ماء وجهه أمام الناس.

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٧ - ٣٩ وتفسير فرات ص ٥٦٦ و ٥٦٧.

ولعله أراد أيضاً: أن يوظف مقامه وموقعه، وما له من قداسة في النفوس، لصالح نهاية مربحة لذلك الرجل بالذات في الدنيا والآخرة..

كما أنه يكون بذلك قد بذل أقصى ما يمكن أن يبذل من جاه ومقام في سبيل معالجة هذه القضية، فلا مجال لتوهم أي قصور أو تقصير في المعالجة، استناداً لافتراضات توهم أنها ربما تكون هي الأولى بالاعتماد..

٣. ثم إنه (ﷺ) قد بلغ مع ذلك الرجل أقصى مدى يمكن بلوغه لسد أبواب الذرائع، فيما قدمه له من عروض المقايضة، حيث عرض عليه بيع حديقته تلك بحديقة بالجنة.

٤. ثم كانت المفجأة الأكبر والأخطر حين رفض ذلك الرجل الموسر طلب سيد رسل الله، وصرح له أيضاً: بأنه لا يبيع عاجلاً بأجل، فدل على أن تلك القسوة تستند إلى عزوف شديد عن الآخرة، وتفضيل الدنيا عليها.

فأصبح بذلك على عتبة الخروج عن الدين، حيث إنه لا يحتاج بعداً إلى أكثر من تفسير كلامه هذا: بأنه لا يرى للآخرة قيمة في مقابل الدنيا..

ولأجل ذلك بكى رسول الله (ﷺ)..

وأما الرواية الثانية، فتضمنت أموراً عديدة، نشير إضافة إلى ما قدمناه إلى الأمور التالية:

١. إنه (ﷺ) يضمن لذلك الرجل عن رسول الله (ﷺ) أن يعطيه حديقة في الجنة، لمجرد أن يرضى بإحلال

ذلك الرجل..

فيلاحظ ما يلي:

ألف: إنه لم يضمن هو مباشرة، بل أحال الأمر على رسول الله (ﷺ)، لأنه لا يتقدم رسول الله في أمر من الأمور..

ب: إنه يضمن ذلك عن رسول الله (ﷺ) لأنه يعرف المعايير التي ينطلق منها (ﷺ) في الإعطاء والمنع.

ج: إن هذا العطاء العظيم لمجرد أن يحل ذلك الرجل لتمررات تسقطها الريح، أو العصفير من نخلة. يدل على مدى خطورة التعدي على مال الناس.

كما أن الثمن الذي بذله علي (عليه السلام) لتلك الدار، كان بحيث إن مشتريها لم يتوهم أن علياً سيبدله له بالفعل.

٢. إن النبي (ﷺ) كان يذكر علياً (عليه السلام) باسم أمير المؤمنين.

٣. وفي هذه المناسبة بالذات، وفي أجواء هذا التصرف العلويين رأى النبي (ﷺ) ضرورة أن يبينه الناس إلى مدى التوافق فيما بينه وبين علي، فرأى الأخوة متجسدة فيه بجميع معانيها، ويريد من الناس أن يروا ذلك. ولذلك قال له في هذه المناسبة بالذات أيضاً: أنت أخي، وأنا أخوك.

سورة الليل في من نزلت؟!:

وتقدم: أن سورة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) قد نزلت في علي (عليه السلام)

ب هذه المناسبة، التي تضمنت التصديق بالآخرة في مقابل من كذب بها، وتضمنت الإعطاء وظهور التقوى لدى علي (عليه السلام) في مقابل من (بِحُلِّ وَاسْتَعْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)، والعطاء الإلهي في الآخرة.

وقد ادعى بعضهم نزول قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى): في أبي بكر حين اشترى بلالاً وأعتقه وعامر بن فهيرة وأعتقهما^(١).

ونقول:

إن ذلك لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: لما ذكره الإسكافي، الذي قال: (أما بلال، وعامر بن فهيرة، فإنما أعتقهما رسول الله ﷺ)، روى ذلك الواقدي، وابن إسحاق^(٢).

-
- ١ - العثمانية ص ٣٥ وشرح نخب البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٨ - ٣٦٠ عن عدد من المصادر، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩٩ وعمدة القاري ج ٨ ص ٣٠٦ وتفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج ١٠ ص ٣٤٤٠ وتفسير الواحدي ج ٢ ص ١٢٠٨ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٤٩٥ وتفسير الألوسي ج ٣٠ ص ١٤٨.
 - ٢ - راجع: العثمانية (ط دار الكتاب العربي - مصر) ص ٣١٧ وشرح نخب البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٣ وقاموس الرجال ج ٥ ص ١٩٦ وج ٢ ص ٢٣٨ عن الإسكافي، وعن الواقدي، وابن إسحاق.

وعَدَّ ابن شهر آشوب وغيره بلالاً من موالي النبي (ﷺ)^(١).

ثانياً: روى ابن بابويه، عن عبد الله بن علي قال: حملت متاعي من البصرة إلى مصر فقدمتها، فبينما أنا في بعض الطريق إذا أنا بشيخ طويل، شديد الأدمة، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران: أحدهما: أسود. والآخر: أبيض، فقلت: من هذا؟

فقالوا: هذا بلال مولى رسول الله (ﷺ)، فأخذت ألواحي فأتيته فسلمت عليه الخ..^(٢).

ثالثاً: ذكر الواقدي في كتاب فتوح الشام: أنه لما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر إليه القس أنكره، وقال: إن القوم قد هتأ عليهم، فإننا دعوناهم نخاطبهم، فبعثوا إلينا بعيدهم لصغر قدرنا عندهم.

١ - مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧١ ورجال ابن داود ص ٥٨ ورجال الطوسي ص ٢٧ ونقد الرجال للتفريسي ج ١ ص ٣٠٢ وجامع الرواة للأردبيلي ج ١ ص ١٣١ وإكليل المنهج للكراسي ص ١٥١ وطرائف المقال ج ٢ ص ١٢٩ وسماء المقال ج ٢ ص ٢٨١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣٠ ص ٣٢٦ و (ط دار الإسلامية) ج ٢٠ ص ١٤٨ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٧٥ وراجع: العقد النضيد والدر الفريد ص ١٤٩ .

٢ - من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٩٢ وروضة الواعظين ص ٣١٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٤ ص ٦٣٤ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٣٨٠ ومنتهى المطلب (ط.ج) ج ٤ ص ٣٧٢ و (ط. ق) ج ١ ص ٢٥٣ والحدائق الناضرة ج ٧ ص ٣٢٩ .

ثم قال: أيها العبد، أبلغ مولاك وقل له: إن الملك يريد أميراً منكم حتى يخاطبه بما يريد.
فقال بلال: أيها القس أنا بلال مولى رسول الله (ﷺ) ومؤذنه، ولست بعاجز عن جواب صاحبك.. الخ..^(١).
رابعاً: إنهم يروون روايات متناقضة في هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقي رواية مع أخرى، ويكفي أن نذكر اختلافها في الثمن الذي أعطاه أبو بكر.
فرواية تقول: إنه أعطى ثمنه غلاماً له أجلد منه.
وأخرى: إنه أعطى غلاماً وزوجته، وابنته، ومائتي دينار.
وثالثة: اشتراه بسبع أواق.
ورابعة: بتسع.
 وخامسة: بخمس.
وسادسة: برطل من ذهب.
وسابعة: إنه اشتراه بعبده قسطاس، الذي كان صاحب عشرة آلاف دينار، وجوار، وغلمان، ومواش.
وثامنة: ببردة، وعشر أواق من فضة، إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف والتناقض^(٢).

١ - فتوح الشام للواقدي ج ٢ ص ٢٠.

٢ - راجع ما تقدم في: السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٨ و ٢٩٩، وقاموس الرجال: ج ١ ص ٢١٦، وسير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٣٥٣، والسيرة النبوية لابن هشام: ج ١ ص ٣٤٠، وحلية الأولياء: ج ١ ص ١٤٨، وغير ذلك كثير.

خامساً: عن عائشة أنها قالت: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن غير أن الله أنزل عذري^(١). (يعني الآيات المرتبطة بالإفك).

ولكننا ذكرنا أن آيات الإفك لم تنزل فيها أيضاً^(٢).

وهناك كلام أوسع من هذا أوردناه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، يتعلق بموضوع شراء أبي بكر لبلال وغيره من الموالي، فراجع.

سادساً: ذكرت بعض الروايات: أن نزول الآيات، وهي قوله تعالى:

١- راجع: صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩) ج ٣ ص ١٢١ و (ط دار الفكر) ج ٦ ص ٤٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧١ وفتح القدير ج ٥ ص ٢١ والدر المنثور ج ٦ ص ٤١ وعمدة القاري ج ١٩ ص ١٧٠ وفتح الباري ج ٨ ص ٤٤٣ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١٩٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٧٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٩٦. وراجع: الغدير ج ٨ ص ٢٤٧ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٨٩ و ١٣٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٠٦ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٥٤٠ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٤٦٢ .

٢- راجع كتابنا: حديث الإفك تاريخ ودراسة، وكتابنا: الصحيح في سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) " ج ١٣ .

(وَأَمَّا مَنْ يَجَلِّ وَأَسْتَعَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) ^(١) في سمرة بن جندب في قضية النخلة التي كانت في بيت بعض الصحابة، وقد أبل سمرة إلا أن يديم الدخول إليها من غير استئذان، ولم يبعها بمثلها في الجنة.. فأمر النبي (ﷺ) بقلعها وإلقائها إليه.. وقال: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام. وخرج: أن تكون الآيات كلها في سورة الليل، قد نزلت في علي (عليه السلام)، وفي ذلك الغني الموسر.. ولعل سمرة لم يتعظ بها، فاستشهد الرسول له بآيات سورة الليل إذا يغشى لانطباقها عليه في بعض جوانبها، وبعض آياتها. ولكن انطباقها على ما جرى لأمر المؤمنين بصورة أتم، وأوفى وأبين وأظهر.. فلاحظ وقارن.

١ - الآيات ٨ - ١٠ من الليل.

الفصل الرابع:

علي (عليه السلام) في كلام الرسول (صلى الله عليه وآله)..

بحق علي اغفر للمذنبين:

عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله (ﷺ)، فسلمت وقلت: يا رسول الله، أرني الحق أنظر إليه بيانا (عيانا. ظ.).

فقال: يا ابن مسعود، لِمَ المخدع، فانظر ماذا ترى؟!!

قال: فدخلت، فإذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) راکعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده، ويقول: اللهم بحق نبيك محمد إلا ما غفرت للمذنبين من شيعتي.

فخرجت لأخبر رسول الله (ﷺ) بذلك، فوجدته راکعاً وساجداً. وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: اللهم بحق علي وليك إلا ما غفرت للمذنبين من أمتي.

فأخذني الهلع، فأوجز (ﷺ) في صلاته، وقال: يا ابن مسعود، أكفراً بعد إيمان؟!!

فقلت: لا وعيشك يا رسول الله، غير أني نظرت إلى علي وهو يسأل الله تعالى بجاهك، ونظرت إليك وأنت تسأل الله تعالى بجاهه، فلا أعلم أيكما أوجه عند الله تعالى من الآخر؟!!

فقال: يا ابن مسعود، إن الله تعالى خلقني وخلق علياً والحسن والحسين

من نور قدسه، فلما أراد أن ينشئ خلقه فتق نوري، وخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجل من السماوات والأرض.

وفتق نور علي، وخلق منه العرش والكرسي، وعلي والله أجل من العرش والكرسي.

وفتق نور الحسن، وخلق منه الحور العين والملائكة، والحسن والله أجل من الحور العين والملائكة.

وفتق نور الحسين، وخلق منه اللوح والقلم، والحسين والله أجل من اللوح والقلم.

فعند ذلك أظلمت المشارق والمغارب.

فضجعت الملائكة ونادت: إلهنا وسيدنا، بحق الأشباح التي خلقتها إلا ما فرجت عنا هذه الظلمة.

فعند ذلك تكلم الله بكلمة أخرى، فخلق منها روحاً، فاحتمل النور الروح، فخلق منه الزهراء فاطمة، فأقامها أمام

العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فلأجل ذلك سميت الزهراء.

يا ابن مسعود، إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل لي ولعلي: أدخلوا الجنة من أحببتما، وألقيا في النار من

أبغضتما.

والدليل على ذلك قوله تعالى: **(الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلِّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ)** ^(١).

١ - الآية ٢٤ من سورة ق.

فقلت: يا رسول الله، من الكفار العنيد؟!

قال: الكفار من كفر بنبوتي، والعنيد من عاند علي بن أبي طالب^(١).

وتقول:

أولاً: دلت هذه الرواية على جواز التوسل بالأنبياء والأوصياء. وأن ذلك ليس من الشرك في شيء. ثانياً: إن النبي (ﷺ) مستجاب الدعوة، وكذلك الوصي، ولا يحتاجان إلى التوسل بأحد، ولكنهما (عليهما الصلاة والسلام) يتعاملان مع نفسيهما كما يتعامل سائر الناس مع أنفسهم، فلا يأخذان معنى العصمة في تعاملهما هذا.. ومن فوائد ذلك تجسيد معنى الأسوة والقدوة بصورة عملية؛ إذ لو فهم الناس أنهما يتعاملان على أساس حقيقة النبوة والإمامة، ليشعر الناس بالعجز عن التأسى بهما، والمجارات لهما..

ثالثاً: المطلوب هنا: تعريف ابن مسعود بأمور:

أحدها: أن يرى بأم عينيه وبصورة عملية مقام علي (عليه السلام) من النبي (ﷺ).

١- بحار الأنوار ج٣٦ ص٧٣ و ٧٤ وج٤٠ ص٤٣ و ٤٤ عن جامع الفوائد، وعن الفضائل لشاذان، وتأويل الآيات ج٢ ص٦١٠ - ٦١٢ والفضائل لشاذان ص١٢٨ و ١٢٩ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢١٩ - ٢٢١ و ٤١٧ - ٤١٩ والدر النظيم ص٧٦٥ و ٧٦٦ واللمعة البيضاء ص١٠٧ و ١٠٨ وغاية المرام ج٤ ص١٦٣ وج٧ ص٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٢٥٠.

الثاني: تعريفه بمدى اهتمام النبي (ﷺ) بأمته، واهتمام علي (عليه السلام) بشيعته.

الثالث: أن هذا الهمم هم حقيقي، يحمله كل منهما إلى خلواته، ويناجي به ربه، وي بذل الجهد في العبادة والتبتل إلى الله من أجله..

الرابع: أن محبة النبي (ﷺ) للمطيعين لا تعني سعيه لعذاب وشقاء العاصين، بل هو يسعى لإنقاذهم من البلاء، وتخليصهم من العذاب والعناء والشقاء.

رابعاً: إنه (ﷺ) حين قال لابن مسعود: أكفر بعد إيمان؟! قد أعطاه جرعة تفيده في التحمل والتماسك والثبات، وتوهله لتلقي ما هو أعظم، مما تضمنته أقواله (ﷺ) من حقائق ودقائق، حول هذه الموجودات النورانية السامية المقام، ليقوم بذلك الحجة على ابن مسعود، ولتكون له ذخراً وملاذاً في الأيام الصعبة، حين تهجم عليه وعلى غيره اللوالبس، وتعصف رياح الشبهات، وتلقي ظلم الأضاليل والأباطيل والترهات بكلاكلها..

فلعله يستعين بها على إنقاذ غيره.. وليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة، وما ربك بظلام للعبيد.

النبي شجرة، وعلي فرعها:

عن أبي الزبير، عن جابر: كان رسول الله (ﷺ) بعرفات، وعلي (عليه السلام) تجاهه، فأومأ إليّ وإلى علي (عليه السلام)،

فأتيناه، فقال: ادن مني يا علي.

فدنا علي منه، فقال: أطرح خمسك في خمسي . يعني كفك في كفي . يا علي، أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنة.
يا علي، لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله تعالى في النار^(١).

ونقول :

لاحظ ما يلي:

١ - وتقول الرواية: إن النبي (ﷺ) قد أوماً إلى جابر، وإلى علي (عليه السلام) معاً، ولكنه وجه الخطاب لعلي (عليه السلام) دون سواه.. فهل أراد (ﷺ): أن يتخذ جابراً كشاهد على ما يجري؟! وقد أشار إليه معه ليفهم أنه هو الآخر يتحمل مسؤولية تجاه ما سيقوله (ﷺ) لعلي (عليه السلام)!!

١ - الفصول المئة ج ٣ ص ٢٨٩ وفرائد السمطين ج ١ ص ٥١ ح ١٦ وعن الرسالة القوامية في فضائل الصحابة، وراجع إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ١٨٠ و ٨٣ ج ٩ ص ١٥٨ و ج ١٦ ص ١٢٤ و ١٢٥ و ج ١٧ ص ١٨٤ و ج ٢١ ص ٤٤٢ و ج ٢٣ ص ١٣٥ و ج ٣١ ص ٨٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٦٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين الكوفي ج ١ ص ٢٤٢ والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص ٥٢ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٢٦ وينابيع المودة ج ١ ص ٢٧٠ وغاية المرام ج ٣ ص ٦٢ و ٦٣ وسفينة النجاة للتنكابني ص ٣٣٤ .

٢ . قد يقال: إن جابراً توهم أن النبي (ﷺ) أوماً إليه، وهو إنما أوماً لعلي (عليه السلام) فقط..

ونجيب:

بأنه يستشتم من الرواية: أن جابراً كان في ناحية أخرى في ذلك المجلس، ولم يكن إلى جانب علي (عليه السلام)، حيث صرح جابر: بأن علياً كان تجاه النبي، وسكت عن نفسه، ولو كان جابر في نفس الإتجاه لقال: وأنا وعلي (عليه السلام) تجاهه..

٣ . إذا ترجح أنهما كانا في موضعين مختلفين، فذلك يعني: أنه (ﷺ) أوماً لإمأتين، إحداهما لعلي (عليه السلام)، والأخرى لجابر (رضي الله عنه)..

٤ . إن وضع علي (عليه السلام) خمسه في خمس النبي (ﷺ) بأمر من رسول الله (ﷺ) يشير إلى التلاحم، وإلى تمام الإنسجام والتطابق بينهما.. وعلى استيعاب هذا التطابق وهذا التلاحم كما تستوعب الكف بخمس أصابعها الكف الأخرى بخمس أصابعها أيضاً.

٥ . ثم أعلن (ﷺ) هذا التوافق والتطابق . بالقول . ليؤكد هذا الفعل، فقال (ﷺ) لعلي (عليه السلام) : أنا وأنت يا علي من شجرة واحدة.

٦ . وحيث إن ذلك لا يمنع من أن يكون غيرها أيضاً من شجرة، كما لا يمنع من أن يكون أشخاص آخرون من النبي (ﷺ) (مع علي (عليه السلام) أو بدونه) فقد شفع ذلك بقوله النافي لهذه الاحتمالات،

حين فصل حقيقة هذه الشجرة بأن النبي (ﷺ) أصلها، وعلياً فرعها، والحسنين غصناها، فلم يبق في الشجرة مكان تمكن المشاركة فيه لأي كان من الناس..

٧ - بينت هذه الرواية: أن لهؤلاء الأطهار حقيقة منسجمة، ومتوافقة في آثارها، وأحوالها وأطوارها، وفي الأمر الأهم للإنسان، الوصول للجنة بالتعلق بأي غصن من أغصانها.

وإذا كانت الأغصان منطلقة من الفرع، والفرع منطلق من الأصل، فذلك يعني أنه يحمل حقيقته، وخصائصه في عمق ذاته وكنهه.

٨ - ثم صرحت الرواية: بأن الأعمال لا تقبل من مبغضي علي (عليه السلام)، مهما بلغت في كثرتها، وشدة معاناة الإنسان لها في حياته الدنيا..

وهذا المضمون مؤيد بمضامين كثيرة جداً أو متواترة تؤكد على أن الأعمال لا تقبل بدون ولاية ولاية علي (عليه السلام) حتى لو صام نهاره، وقام ليله، وحج دهره.. بل قد ذكرنا في بعض فصول هذا الكتاب أن الفقرة الأخيرة، في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)^(١)، تدل على ذلك أيضاً.

٩ - وحيث إن هذا الحدث قد كان في عرفات، فمن المتوقع أن يكون كثير من الناس قد شهدوه، وسمعوا وأروا ما جرى..

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

ومعنى هذا: أن الإجماع النبوية لجابر وعلي (عليه السلام) ستثير الأسئلة عن سبب عدم مخاطبة جابر بشيء من الكلام رغم الإشارة إليه.. ويكون نفس هذا اللغز من أسباب تذكر الحدث، والتأمل فيه، وفي مراميه ومغازيه.

تكذيب سلمان بحضرة النبي (ﷺ):

قال رسول الله (ﷺ) يوماً لأصحابه: أيكم يصوم الدهر؟!

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

فقال رسول الله (ﷺ): فأأيكم يحيى الليل؟!

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

قال: فأأيكم يختم القرآن في كل يوم.

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

فغضب بعض أصحابه، فقال: يا رسول الله، إن سلمان رجل من الفرس، يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش.

قلت: أيكم يصوم الدهر؟!

فقال: أنا، وهو أكثر أيامه يأكل.

وقلت: أيكم يحيى الليل؟

فقال: أنا، وهو أكثر ليلة ينام.

وقلت: أيكم يختم القرآن في كل يوم؟!

فقال: أنا، وهو أكثر نهاره صامت.

فقال النبي (ﷺ): مه يا فلان، أنى لك بمثل لقمان الحكيم؟! سله فإنه ينبئك.

فقال الرجل لسلمان: يا أبا عبد الله، أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟!

قال: نعم.

فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل.

فقال: ليس حيث تذهب، إني أصوم الثلاثة في الشهر، وقال الله: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا) ^(١)،

وأصل شعبان بشهر رمضان، فذلك صوم الدهر.

فقال: أليس زعمت أنك تحيي الليل؟!

فقال: نعم.

فقال: أنت أكثر ليلك نائم.

فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من نام على طهر، فكأنما حيا الليل كله، وأنا

أبيت على طهر.

فقال: أليس زعمت أنك تحتّم القرآن في كل يوم؟!

قال: نعم.

قال: فإنك أيامك صامت.

١ - الآية ١٦٠ من سورة الأنعام.

فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت حبيبي رسول الله (ﷺ) يقول لعلي بن أبي طالب: يا أبا الحسن، مثلك في أمتي مثل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)^(١)، فمن قرأها مرة، فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن، ومن أحبك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان. والذي بعثني بالحق يا علي، لو أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لك لما عذب أحد بالنار.
وأنا أقرأ قل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات.
فقيام وكأنه ألقم حجراً^(٢).

١ - الآية ١ من سورة التوحيد.

٢ - الأمالي للصدوق ص ٨٥ وفضائل الأشهر الثلاثة للصدوق ص ٤٩ ومعاني الأخبار ص ٢٣٤ وروضة الواعظين ص ٢٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣١٧ وج ٣٩ ص ٢٥٧ وج ٧٣ ص ١٨١ وج ٨٩ ص ٣٤٥ وج ٩٤ ص ٩٣ وغاية المرام ج ٦ ص ١٤٤ والفصول المئمة ج ٣ ص ٢٨٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٣٩٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٨ ص ٣٧٩ والدرجات الرفيعة ص ٢١٢ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٣٦٩.

ونقول:

- ١ . لقد كان النبي (ﷺ) يعرف سلمان، أكثر مما يعرفه سائر أصحابه . ويعرف أنه يفطر ويصوم، وينام الليل، وكان يراه صامتاً في كثير من أيامه . ولكنه ليس فقط لم يعترض على سلمان، بل وقف في موقع المدافع عنه، بل هو قد تجاوز الدفاع إلى الثناء العظيم عليه، وجعله مثل لقمان الحكيم .
- ٢ . إن قوله (ﷺ) لذلك المتهجم على سلمان: سله يبنئك، يشير إلى ثقته بأن سلمان يملك الجواب الكافي والشافي .
- ٣ . إن تشبيه سلمان بلقمان الحكيم يشير إلى أنه (ﷺ) يضع الأمور في مواضعها بدقة متناهية، وليس في تصرفاته وأقواله زلل ولا خطل ..
- ٤ . إن كلمة أنى لك بمثل فلان، تشير . بعد استثناء علي وفاطمة والحسنين (عليهم السلام)، الذين لا يقاس بهم أحد . إلى أنه لا نظير لسلمان في دقة موقفه، وصوابية أقواله، وموافقته للحكمة .
- ٥ . إن ذلك الذي تهجم على سلمان كان من المهاجرين، وكان قرشياً فيما يظهر ..
- ٦ . إنه قد تكلم بمنطق أهل العصبية الجاهلية الذي لا يقره الإسلام، ولا يرضاه أهل العقل والدين، فقد اعتبر سلمان فارسياً يريد أن يفتخر على قریش .
- ٧ . إن جواب سلمان يدل على مدى علمه وفقاهته، ودقته في فهم كلام الرسول (ﷺ)، وهو يفهم ويعمل بما يفهم ..

- ٨ . لعل تشبيه علي (عليه السلام) في الأمة بقل هو الله أحد قد جاء ليظهر أن الإيمان كله يتمحور حول علي (عليه السلام)، ويقوم به، وقد أوضح ذلك كلام الرسول الذي نقله سلمان أيما إيضاح.
- ٩ . إنه (عليه السلام) لم يبادر إلى توضيح مراد سلمان، بل ترك الأمر إليه، ربما لكي لا يتوهم متوهم أنه (عليه السلام) قد أحسن الظن بسلمان، وأنه يبعد أن يكون سلمان قد نحى هذا المنحى الدقيق..
- ١٠ . ومن يدري؟! فلعل النبي (عليه السلام) أراد أن يفسح المجال أمام سلمان ليظهر هذه الكرامة العظيمة لعلي (عليه السلام)، بهذه الصورة التي جاءت مثيرة ومؤثرة.
- رسول الله يخبر علياً بما يكون:
- عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):
- يا علي! كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا. وأكلوا التراث أكلاً لماً، وأحبوا المال حباً جماً
- واتخذوا دين الله دخلاً ومال الله دولاً؟
- قلت: أتركهم وما اختاروا، وأختار الله ورسوله والدار الآخرة وأصبر على مصائب الدنيا وبلواها حتى ألحق بك إن شاء الله!
- قال: صدقت، اللهم افعل ذلك به^(١).

١ - ينابيع المودة ص ٢١٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٢٨٠ وذخائر العقبى ص ١٠١ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٦٣ وتفسير فرات ص ٥٥٥ وجواهر = المطالب في مناقب الإمام علي لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق ج ١٨ ص ١٣٦ وج ٣٢ ص ٢٣٢ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص ٢١١.

ونقول:

١ - إنه (ﷺ) يوجه كلامه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليعلن موقفه من أحداث لا يقرها الشرع، ويأبأها الوجدان والضمير الحي، كان (ﷺ) يريد أن يعلمه بوقوعها، لتكون عنواناً مشيراً إلى أن تغير الأحوال وتحولها باتجاه لا يرضاه الله تبارك وتعالى ..

٢ - إن هذا الإخبار معناه: أن معرفة موقف علي (عليه السلام) وطريقة تعامله مع هذا الواقع أمر مهم جداً، يبرر أهمية السؤال عنه ..

٣ - إن هذا السؤال يشير أيضاً: إلى أن هذا الأمر يعني علياً (عليه السلام) أكثر من أي شخص آخر.

٤ - وهو يعني: أن النبي (ﷺ) سيكون غائباً بحسب الظاهر ..

إذ لو كان حاضراً لكان موقفه هو الذي يحدد مسار الأحداث ..

٥ - إن ما سوف يستجد سيكون له تجذر في أعماق النفوس، ثم ينطلق منها له ليتجسد حركة وسلوكاً وموقفاً

على صعيد الواقع الخارجي العام ..

٦ - قد أوضح جواب علي (عليه السلام): أنه سوف لا يتعامل بانفعال وإنما بحكمة وروية .. حيث أخبر أنه سوف لا

يهتم لما يصدر عنهم من

أفعال، بل هو يلتزم بما يرضي الله ورسوله، ويحقق الفوز بالآخرة.. مهما كلفه ذلك من مصائب وبلايا، ومحن ووزايا في الدنيا، نتيجة لطغيان الأهواء، والنزوات، ويقظة أحقاد وعصبيات.

٧ - وقد صرح رسول الله (ﷺ) بصدق علي (عليه السلام)، ووفائه في تعهداته، ولكنه طلب من الله تعالى أن يشملته برعايته، ويمده بالطافه، لما يعلم من شدة الأمر، وعظيم البلاء والإبتلاء فيه.

آية حب أهل البيت حب علي (عليه السلام):

عن أبي بردة قال: قال رسول الله (ﷺ) ذات يوم ونحن حوله: والذي نفسي بيده، لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟! وعن جسده فيما أبلاه؟! وعن ماله مما كسبه وفيما أنفقه؟! وعن حبنا أهل البيت؟!!

فقال عمر: يا رسول الله، وما آية حبكم من بعدك؟!!

قال: فوضع يده على رأس علي بن أبي طالب (عليه السلام). وهو إلى جنبه. فقال: آية حبنا من بعدي حب هذا^(١).

١ - الفصول المهمة ص ١٢٥ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٧٩ وراجع ج ٣٩ ص ٢٩٩ وفوائد العراقيين لابن عمرو النقاش ص ٤٩ والمناقب للخوارزمي ص ٧٦ و ٧٧ وكشف الغمة ج ١ ص ١٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٢٣٥ و ج ١٨ ص ٣٥٦ و ٤٧٨ و ج ٢٠ ص ١٣٥ و ج ٢١ ص ٣٤٢ و ج ٢٤ ص ٣٩٣ = ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٤ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٤٤ وكشف اليقين ص ٢٢٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٥٨٤ وينايع المودة ج ١ ص ٣٣٦ و ٣٣٧ وغاية المرام ج ٣ ص ٩٣

ويلاحظ هنا:

أولاً: لا ندري لماذا اختار عمر بن الخطاب السؤال عن علامة حب أهل البيت (عليهم السلام)، ولم يسأل عن شيء له ارتباط بالأمر الثلاثة التي سبقتها!! هل أراد أن يعرف علامة حب أهل البيت، ليكتشف الأشخاص الذين يحملون هذا الحب، فيتعامل معهم وفق ما يرتأيه وتفرضه عليه سياساته في الأحوال المختلفة؟! أم أنه أراد أن يعرف نفسه إن كان يحمل، أو لا يحمل هذا الحب لهم (عليهم السلام)؟! وهل يجب أن تكون لهذا الحب علامة يعرف الناس من خلالها المحب والمبغض؟! ثانياً: حبذا لو سأل عمر عن الأمور التي ينبغي إفناء العمر فيها، أو عن الأمور التي ينبغي إبلاء الجسد فيها، أو عن المواضع التي يصح كسب المال فيها، والمواضع التي يجب إنفاقه فيها!!.. وعن الأمور التي تزيد هذا الحب قوة لدى صاحبه، أو عن موجبات الحصول على هذا الحب لدى من لا يملك شيئاً منه، أو نحو ذلك!!

ثالثاً: إنه (صلى الله عليه وآله) جعل الميزان هو حبهم (عليهم السلام)

ونقول:

يلاحظ في الرواية الأمور التالية:

١ . إن عدم جواب أمير المؤمنين لأبي ذر (ﷺ) حين ناداه في المرة الأولى قد يكون لأجل انشغاله بالصلاة، أو لغير ذلك من أسباب، ارتفعت حين عاد إليه في المرة الثانية.

٢ . ما معنى أن يشارف أبو ذر ليرى الرحي، وهي تطحن، ألا يعد ذلك من محاولة النظر إلى العورات؟! أو من التطلع في الدور المنهي عنه؟!
ونجيب:

أولاً: قد يكون أبو ذر على علم بخلو الدار من النساء، وعلى علم أيضاً بأن علياً أو غيره، ممن يحتمل أن يكونوا هناك كانوا في وضع طبيعي، لا يزعجهم اطلاع الناس عليه.

ثانياً: لعل هذه الرحي كانت في مكان لا يحظر على الناس الإشراف عليه، أو الوصول إليه.

٣ . قد يمكن إبداء احتمال أن تكون ثمة رغبة في اطلاع أبي ذر على تلك الرحي، وهي تعمل بنفسها. ليخبر الناس بما رأى. وهو الذي أعلم

الصفحة ٩٠

الرسول الاعظم الناس، بأنه ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء من ذي لهجة أصدق منه.

٤ . لقد بين (ﷺ) أن حديث الرحي ليس مجرد كرامة عابرة، قد يتوهم زوالها بزوال أو باختلال موجبات استحقاقها. بل هو كرامة إلهية ثابتة وباقية ببقاء هذا التوكيل الإلهي لأولئك الملائكة بمعونة آل محمد في أي مكان في الأرض، وفي أي زمان احتاجوا فيه إلى المعونة.

فالحديث عن توكيل الملائكة يشير إلى بقاء واستمرار موجبات هذه الكرامة لآل محمد (ﷺ).

٥ . كان يمكن للنبي (ﷺ) أن يخبر الناس بأمر هؤلاء الملائكة، من دون انتظار ما جرى.. والحقيقة هي: أن اقتران الخبر بالحدث، ثم الانتظار التعجبي، وتأمل أبي ذر للحصول على تفسير ما رأى سيكون أشد تأثيراً في حفظه ما يراد له حفظه، ويجعله أكثر دقة في فهم المراد، وإدراك المعنى التطبيقي والعملي للكلمة التي يريد النبي (ﷺ) أن يطلقها.

رابع الخلفاء كيف؟ ولماذا؟!

عن علي (عليه السلام) قال: بينما أنا أمشي مع النبي (ﷺ) في بعض طرقات المدينة، إذ لقينا شيخ طوال، كث اللحية، بعيد ما بين المنكبين، فسلم على النبي (ﷺ)، ورحب به. ثم التفت إلي، فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته: أليس كذلك هو يا رسول الله؟!

فقال له رسول الله (ﷺ): بلى.

ثم مضى، فقلت: يا رسول الله، ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ، وتصديقك له؟! قال: أنت كذلك والحمد لله، إن الله عز وجل قال في كتابه: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)**^(١)، وال خليفة المجمعول فيها آدم (عليه السلام).

وقال: **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)**^(٢)، فهو الثاني. وقال عز وجل حكاية عن موسى حين قال لهارون (عليه السلام): **(اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ)**^(٣)، فهو هارون إذ استخلفه موسى (عليه السلام) في قومه، فهو الثالث.

وقال الله عز وجل: **(وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ)**^(٤)، فكنت أنت المبلغ عن الله وعن رسوله، وأنت وصيي، ووزيري، وقاضي ديني، والمؤدى عني، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أولاً تدري من هو؟!

١ - الآية ٣٠ من سورة البقرة.

٢ - الآية ٢٦ من سورة ص.

٣ - الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

٤ - الآية ٣ من سورة التوبة.

قلت: لا.

قال: ذاك أخوك الخضر (عليه السلام)، فاعلم^(١).

وتقول:

إن هذه الرواية تشير إلى العديد من الأمور، نذكر منها:

١ - إن الخضر (عليه السلام) وإن كان قد تحدث عن الأنبياء والخلفاء من السابقين. ولكنه فيما يبدو قد استخدم التورية، فأشار إلى ما يأتي. وأشار إلى ما سبق في آن واحد، ليدل على أنه يعلم أن علياً سيكون الخليفة الرابع في اللاحق، كما هو علي في السابق.

ولكن شتان بين أن آدم وداود وهارون، وعلي (عليه السلام) رابعهم. فإنهم أنبياء جعل الله الخلافة لله كما جعلها له. وبين أبي بكر وعمر وعثمان، فإنهم قد تغلبوا (صلى الله عليه وسلم) أخذوا ما ليس لهم بحق رغم كل هذه التأكيدات من الله ورسوله على أنه لا يحق لأحد سوى علي (عليه السلام) أن يتصدى لهذا الأمر.

٢ - إن هذا الإلماح قد أريد به تعريف الناس: بأن الأمور سوف تجري

١ - عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٩ رقم الحديث ٢٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١ ص ١٢ و بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٤١٧ و مدينة المعاجز ج ٢ ص ٤١٩ و مسند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ١٢٧ و تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٨ و ينابيع المودة ج ٣ ص ٤٠٢ و ٤٠٣ و غاية المرام ج ٢ ص ٧٨ و ج ٤ ص ٨٢ و عن العوالم ص ٣٠٩ .

على خلاف ما يرضي الله تبارك وتعالى، وأن ثمة من يسعى لنقض تدبير رسول الله (ﷺ) بعد وفاته.

٣ - إن الخضر قد استشهد برسول الله على صحة ما يخبر به، ليفيد: أن النبي (ﷺ) حين يؤكد هذا الخبر، فإنه يدل على أن خلافة علي (عليه السلام) أمر إلهي، كخلافة آدم وداود وهارون، وليس لأحد أن يختار أو أن يرد على الله، ولأجل ذلك لا بد أن يستمر (ﷺ) في التأكيد على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعده، وأن يأخذ البيعة له من الناس في غدير خم. رضي الناس أم غضبوا، فإن الأمر لله يضعه حيث يشاء.. والنبي (ﷺ) لا يفعل المتناقضات، وليس غافلاً عما يدبر في الخفاء، ولكنه مكلف بأن يقيم الحجة على الناس. وأن يعرفهم: أنهم يخالفون أمر الله إن لم يرضوا بعلي (عليه السلام). وأنهم إن زعموا رضا الله ورسوله بسوى ذلك، فإنما يمدعون بذلك الناس، وأنفسهم.

٤ - إن علياً (عليه السلام) بدوره لم يسأل رسول الله (ﷺ) عن ذلك الشيخ من هو؟! بل سأل عن الذي قاله الشيخ له. لكي يصرح رسول الله (ﷺ) بالتأكيد على قوله مرة أخرى. لأنه يعلم أن ما يقوله رسول الله (ﷺ) - وهو الصادق الأمين - في جواب ذلك الشيخ هو المطلوب من الناس أن يسمعه وأن يعوه. وأن يعرفوه حتى لا يتلاعب به المتلاعبون وأصحاب الطموحات..

٥ - إنه (ﷺ) قد أكد في جوابه لعلي (عليه السلام) من خلال استشهاده بأربع آيات قرآنية على أن علياً (عليه السلام) رابع

الخلفاء، وأنه كأولئك الأنبياء، واغتصاب هذا الأمر منه لا ينقص من مقامه، ولا يطل خلافته ولا يسقطها، وأن سعي أولئك الناس في إبطال خلافته (عليه السلام) لن يؤتي ثماره التي منه.. بل قد يستفاد منه الإشارة ولو بنحو من الخفاء إلى أن علياً سيصل إلى ذلك الأمر الذي يجهدون في طمسه، بعد أن يتولى الأمر ثلاثة منهم.

٦ . ومن الواضح: أن تولي ثلاثة منهم الخلافة قبل علي (عليه السلام) سوف يجعل الناس يتيقنون بعدم وصوله (عليه السلام) إلى هذا الأمر، ولا سيما حين يتولى ثالثهم، الذي يقوم معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، ومعهم سياساتهم الهادفة إلى إخمال ذكره (عليه السلام)، والحيلولة بينه وبين الخلافة، فإن ذلك سيزيد من يقين من الناس باستحالة وصوله (عليه السلام) إلى هذا الأمر.

٧ . يلاحظ: أن الآيات الأربع عن آدم وداود وهارون، وعن إبلاغ علي (عليه السلام) يوم الحج الأكبر، قد تضمنت الحديث عن خصوص الخلافة الفعلية في الناس. والهيمنة على قرارهم، ولم تتحدث عن خصوص معنى الإمامة، بصورة تجريدية، وفكرية، وإيمانية بحتة..

كما أن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): وأنت وصيي ووزير الخ.. قد أشار إلى هذه الخلافة العملية التي تتصرف في الشؤون، وتدبر وتدبر الأمور بصورة فعلية أيضاً.

٨ . إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر علياً (عليه السلام) بأن الذي تكلم بذلك هو الخضر، فالكلام قد صدر من نبي، وليس من إنسان عادي، قد

يخطئ أو يقصر في بيان مراميه. ولا يتكلم الأنبياء إلا بوحى من الله.. وذلك يعني: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر الخضر (عليه السلام) بأن يأتي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ويقول ذلك. وعلى الناس أن يأخذوا ذلك بجديّة تامّة.. فإن الله تعالى لم يفعل ذلك عبثاً، ولا كان ذلك مجرد مداعبة من الخضر (عليه السلام).

٩. ثم إنه (صلى الله عليه وآله) لم يقل لعلي (عليه السلام) أنه الخضر، بل قال: إنه أخوك الخضر، وهذا معناه: أن أخوة عليّ للأنبياء لم تكن لدواعٍ شخصية، وإنما هي أهلية اختص الله تعالى بها علياً (عليه السلام).

الفصل الخامس:

علي (عليه السلام) في سورة هل أتى..

سورة هل أتى:

روى ابن بابويه قال: حدثنا مُجَدُّ بن إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا مُجَدُّ بن زكريا، قال: حدثنا شعيب بن واقد، قال: حدثنا القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وحدثنا مُجَدُّ بن إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا الحسن بن مهران، قال: حدثنا سلمة بن خالد، عن الصادق جعفر بن مُجَدُّ، عن أبيه (عليه السلام) في قول الله عز وجل: (يُوفُونَ بِالتَّذْرِ)^(١)، قال: (مرض الحسن والحسين (عليهما السلام) وهما صبيان صغيران، فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن، لو نذرت في ابنك نذراً لله إن عافهما الله.

فقال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة (عليها السلام).

وقال الصبيان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة.

١ - الآية ٧ من سورة الإنسان.

فألبسهما الله العافية، فأصبحوا صائمين وليس عندهم طعام.
فانطلق علي (عليه السلام) إلى جار له من اليهود، يقال له: شمعون، يعالج الصوف، فقال: هل لك أن تعطيني جزءة من
صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير.
قال: نعم.

فأعطاه، فجاء بالصوف والشعير، وأخبر فاطمة (عليها السلام)، فقبلت وأطاعت. ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف. ثم
أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرص.
وصلى علي (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وسلم) المغرب، ثم أتى منزله، فوضع الخوان، وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرهما
علي (عليه السلام) إذا مسكين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين
أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة.
فوضع اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين جاء إلى الباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين يشكو إلينا جاع حزين
كل امرء بكسبه رهين من يفعل الخير غداً يدين
موعده في جنة رهين حرمها الله على الضنين

وصاحب البخل يقف حزين تهوي به النار إلى سجين
شرايه الحميم والغسلين بمكث فيه الدهر والسنين
فأقبلت فاطمة (عليها السلام) تقول:

أمرك سمع يا بن عم وطاعة ما بي من لؤم ولا ضراعة
غذيت باللب وبالبراعة أرجو إذا أشبعت من جماعة
إذن ألحق الأخيار والجماعة وأدخل الجنة في شفاعاة

وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جوعاً، وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح.
ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغرلته، ثم أخذت صاعاً من الشعير، فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة
أقراص لكل واحد قرص.

وصلى علي (عليه السلام) المغرب مع النبي (صلى الله عليه وآله) ثم أتى إلى منزله، فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم، فأول
لقمة كسرهما علي (عليه السلام) إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت
مُجَّد، أنا يتيم من يتامى المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة.

فوضع علي (عليه السلام) اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيـم

قد جئنا الله بذات اليتيم من يرحم اليوم فهو رحيم

موعده في جنة النعيم حرمها الله على اللثيم

وصاحب البخل يقف ذميم تهوي به النار إلى الجحيم
شرايه الصديد والحميم

فأقبلت فاطمة (عليها السلام) تقول:

فسوف أعطيه ولا أبالي وأوثر الله على عيالي

أمسوا جياً وهم أشبالي أصغرهما يقتل في القتال

بكريلاء يقتل باغتيال لقاتليه الويل مع وبال

تهوي به النار إلى سفال كبوله زادت على الأكبال

ثم عمدت، فأعطته جميع ما على الخوان، وباتوا جياً لم يذوقوا إلا الماء القراح، فأصبحوا صياماً.

وعمدت فاطمة (عليها السلام) فغزلت الثلث الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي وعجنته، وخبزت منه خمسة

أقراص، لكل واحد منهم قرص، وصلى علي (عليه السلام) المغرب مع النبي (ﷺ) ثم أتى منزله، فقرب إليه الخوان،

فجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرهما علي (عليه السلام) إذا أسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب، فقال: السلام

عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا!!

فوضع علي (عليه السلام) اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم يا بنت النبي أحمد بنت نبي سيد مسود

قد جائك الأسير ليس يهتد مكبلاً في غله مقيد

يشكو إلينا الجوع قد تقدد من يطعم اليوم يجده في غد

عند العلي الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأطعمني من غير من أو نكد

فأقبلت فاطمة (عليها السلام) وهي تقول:

لم يبق مما كان غير صاع قد دبرت كفي مع الذراع

شبلاي والله هما جياع يا رب لا تتركهما ضياع

أبوها للخير ذو اصطناع عبل الذراعين طويل الباع

وما على رأسي من قناع إلا عباء نسجها بصاع

وعمدوا إلى ما كان على الخوان، فأعطوه، وباتوا جياعاً، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

قال شعيب في حديثه: وأقبل علي (عليه السلام) بالحسن والحسين (عليهما السلام) نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهما يرتعشان

كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا أبا الحسن، أشد ما يسؤني ما أرى بكم. انطلق

إلى ابنتي فاطمة (عليها السلام).

فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله

(صلى الله عليه وآله) ضمها إليه وقال: (وا غوثاه، بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى)!!

فهبط جبرائيل (عليه السلام)، فقال: (يا مُجَدِّد، خذ ما هيأ لك في أهل بيتك).

فقال: وما آخذ يا جبرائيل؟!!

قال: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً) حتى بلغ: (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً) (١).

وقال الحسن بن مهراڤ في حديثه: فوثب النبي (ﷺ) حتى دخل منزل فاطمة (عليها السلام)، فرأى ما بهم، فجمعهم ثم انكب عليهم يبكي، وقال: (أنتم منذ ثلاث فيما أرى، وأنا غافل عنكم).

فهبط جبرائيل بهذه الآيات: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجيراً) (٢).

قال: هي عين في دار النبي (ﷺ) تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين.
(يُوفُونَ بِالتَّذْرِ) (٣).

يعني: علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، وجاريتهما فضة (٤).

١ - الآيات ١ - ٢٢ من سورة الإنسان.

٢ - الآيتان ٥ و ٦ من سورة الإنسان.

٣ - الآية ٧ من سورة الإنسان.

٤ - راجع: البرهان (تفسير) ج ٨ ص ١٧٩ - ١٨٢ و (ط مؤسسة إسماعيليان - الطبعة الثالثة) ج ٤ ص ٤١٢ - ٤١٣ وغاية المرام ج ٤ ص ١٠٠ والأمالى للصدوق ص ٣٢٩ وروضة الواعظين ص ١٦٠ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٣٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٦٣ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٧١ و ٤٧٤ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٩٨ وتفسير الثعلبي ج ١٠ ص ١٠١ ونهج الإيمان ص ١٧٤ وبناء = المقالة الفاطمية ص ٢٣٥ والعمدة لابن البطريق ص ٣٤٨ وخصائص الوحي المبين ص ١٧٩.

ونقول:

إن هذا الحديث قد روي بطرق كثيرة يصعب حصرها وجمعها.. وقد اخترنا منها النص الآنف الذكر، وإن كنا نرى في بعض أبيات الشعر المذكور خلافاً من ناحية الوزن. ومن ناحية العربية أيضاً. لكن سائر النصوص خالية من الشعر المذكور.

وعلى كل حال، فإن لنا كتاباً في جزئين في تفسير سورة هل أتى، لا بد لنا من إحالة القارئ الكريم عليه.. فلعله يكون مفيداً في هذا الموضوع. ونحن هنا نعتمد على هذه الإحالة. ولا نذكر هنا إلا لمحات يسيرة جداً، قد لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، فلاحظ ما يلي من عناوين:

تشكيكات واهية:

قد يقال: لماذا يبقى الصائمون ثلاثة أيام بلا طعام، مع أنه قد بقي عندهم في اليوم الأول صاعان من شعير، كان يمكنهما طحن صاع منه وخبزه، بعد تصدقهما بالأقراص مباشرة. فإن الوقت إلى طلوع الفجر يسع ذلك؟!.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن التصريح بالأيام الثلاثة قد ورد في بعض الروايات دون بعضها الآخر، إذ إن بعضها يقول: (فلما تم إنضاجه، أتى مسكين،

فأخرجوا إليه الطعام.. ثم عمل الثلث الثاني. فلما تم إنضاجه أتى يتيم، فسأل فأطعموه. ثم عمل الثلث الثالث، فلما تم إنضاجه، أتى أسير الخ.^(١).

ورواه القمي عن الإمام الصادق (عليه السلام)، وفيه: أنهم جعلوا الشعير عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فأعطوه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيم، فأعطوه الثلث الثاني، ثم جاء أسير، فأعطوه الثلث الباقي، وما ذاقوها^(٢).

وفي نص آخر: كانت عندهم ثلاثة أرغفة. قال -: فجلسوا ليأكلوا، فأتاهم سائل، فقال: أطعموني فإني مسكين.

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١٠ ص ٢٠٩ و ٢١٠ و تفسير القمي ج ٢ ص ٣٩٨ وراجع: ذخائر العقبى ص ١٠٣ و تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٧٠ وأسباب نزول الآيات ص ٢٩٦ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٤٠٥ و تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٢٨ ومطالب السؤول ص ١٧٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٧٠ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٤٥١ و ج ٢٠ ص ١٥٣ و ١٥٥ و ١٦٠ و ج ٣٠ ص ٤٥.

٢- تفسير البرهان ج ٨ ص ١٧٧ و تفسير القمي ج ٢ ص ٣٩٠ و (ط مطبعة النجف) ج ٢ ص ٣٩٨ ومستدرک الوسائل ج ٧ ص ٢٦٩ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٤٣ و جامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٣٧٥ و تفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٢١٠ و تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٧٠ وغاية المرام ج ٤ ص ١٠٠.

فقام علي فأعطاه رغيفه، ثم جاء سائل فقال: أطعموا اليتيم، فأعطته فاطمة الرغيف.
ثم جاء سائل، فقال: أطعموا الأسير، فقامت الخادمة، فأعطته الرغيف. وباتوا ليلتهم طاوين، فشكر الله لهم،
فأنزل فيهم هذه الآيات^(١).

ثانياً: قد يقال: إن اقتراض الشعير مقابل غزل الصوف^(٢) لا يعني أنه تسلمها كلها من مقرضه، إذ لعل المطلوب
هو أن يأخذ كل يوم صاعاً، مقابل ما ينجزه من الغزل..
ويرد هذا الإحتمال: أن الرواية تصرح بأنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد جاء بالأصوع الثلاثة ووضعها في ناحية البيت.
فلعل الأصوب أن يقال: إن علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم يكن ليتصرف بهذا الشعير إلا بالمقدار الذي أنجز غزلاً في مقابله،
ويشير إلى ذلك قول رواية الأمامي:

١ - المناقب لابن المغازلي ص ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٤٤٦ وشواهد التنزيل ج ٢ هامش ص ٤١٠.
٢ - مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٠٤ وتفسير البرهان ج ٨ ص ١٧٩ والأمامي للصدوق ص ٢١٢ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٣٢٩ وروضة الواعظين
ص ١٦٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٤٧ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٣٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٦٣ وجامع أحاديث
الشيعة ج ١٧ ص ٣٧٥ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٧١ و ٤٧٤ وغاية المرام ج ٤ ص ١٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ١١٨
وج ١٨ ص ٣٣٩.

(ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعاً من الشعير، فطحنته الخ.. إلى أن قال: ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته.. إلى أن قال: وعمدت فاطمة (ؑ)، فغزلت الثلث الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي..^(١) .
فلعل التملك أو التصرف في الشعير مشروط بتسليم أو بإنجاز مقدار معين من الغزل.
ثالثاً: لعل الأسباب لم تكن مهياًة للطحن في الليل، مثل: الإنارة، والخطب، وسائر ما يحتاجه تجهيز الطعام، ومن وسائل؟! ولعل الحركة في تلك الليالي لا تروق لكثير من الناس الساكنين في جوارهم. وتثير فضولهم، وتدفعهم للوقوف على ما لا يحب أهل البيت (ؑ) أن يوقفوه عليه، من منطلق الإباء والعزة، والشعور بالكرامة.. أو لغير ذلك من أسباب..

هل يحتمل هذا الجوع؟!

وقالوا: كيف يمكن لإنسان أن يبقى ثلاثة أيام بلياليها بلا طعام،

١ - الأمالي للصدوق ص ٢١٢ فما بعدها و (ط مؤسسة البعثة) ص ٣٢٩ - ٣٣٣ والبرهان ج ٨ ص ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ وراجع: روضة الواعظين ص ١٦٠ - ١٦٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ١ ص ١٧٨ - ١٨٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٧ - ١٤٩ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٣٧ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٧١ .

ويفطر على الماء؟! ولا سيما إذا كان طفلاً قد لا يتجاوز عمره عد أصابع اليد الواحدة..
وأجيب: بأن وقوع ذلك أدل دليل على إمكانه.. وشاهدنا على ذلك كثرة الذين يضربون عن الطعام أياماً كثيرة،
ولا يتناولون غير الماء، احتجاجاً على سياسات بعينها^(١).
ولكن هذا الجواب، إنما يقبل في حق الكبار، أما الأطفال الصغار، فلا يقبل ذلك بالنسبة إليهم.. إلا في حالة
الفوز باللفظ والمدد الإلهي، حيث استحقاقهم في أعلى وجل الصور..
الآية عامة.. والرافضة يكذبون:
وقال ابن حزم: إن القول بنزول آية ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً في علي (عليه السلام) من
أكاذيب الرافضة.
بل هذا لا يصح، لأن الآية على عمومها، وظاهرها لكل من فعل ذلك^(٢).
وجوابه واضح:
أولاً: إن عموم معنى الآية لا ينافي نزولها في مورد خاص، بل هذا هو شأن كثير من الآيات، فإن مفهومها يكون
عاماً وشاملاً، ولكنها تنزل في

١ - الفصول المئة ج ٢ ص ٢٢٢.

٢ - الغدير ج ٣ ص ١٠٦ عن ابن حزم، ونظرة في كتاب الفصل في الملل ص ٤٨.

مورد بعينه، لتدل على أنه المصدق الأكمل، والأتم، والأظهر..

ثانياً: إن نسبة هذا القول للرافضة لا معنى له، لأن الحديث مروى عند العامة والخاصة، كما أوضحت المصادر التي أشرنا إليها فيما سبق، وقد أفرد العاصمي كتاباً لهذه السورة في مجلدين، باسم زين الفتى في تفسير سورة هل أتى. وليس العاصمي من الرافضة.

هل تجوز الصدقة بهذا المقدار؟!:

ذكر المحقق التستري في إحقاق الحق أنهم قالوا: أنكر هذه الرواية كثير من المحدثين وأهل التفسير، وتكلموا في أنه: هل يجوز أن يبائع الإنسان في الصدقة إلى هذا الحد؟! ويجوع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك؟! وقد قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)^(١)، والعفو ما كان فاضلاً من نفقة العيال. وقال رسول الله (ﷺ): خير الصدقة ما يكون صنواً (لعل الصحيح: صفواً عفواً)^(٢).

وأجاب المحقق التستري بما يلي:

أولاً: إن أهل التفسير والمحدثين لم ينكروا الحادثة، وإنما هناك طائفة منهم لم يذكروها، بل أبقوا الآية على عمومها، ربما بقصد إخفاء هذه

١ - الآية ١٩ من سورة التوبة.

٢ - إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ١٧٠.

الفضيلة لعلي وأهل بيته (عليهم السلام)، أو لغير ذلك من أسباب.

ثانياً: فسر العفو تارة: بالفاضل من المال عن الحاجة. وفسر أخرى: بأفضل المال وأطيبه^(١)، ويؤيده قوله تعالى: **(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)**^(٢).

ثالثاً: إن علياً (عليه السلام) لم ينفق قوت عياله، بل أنفق هو قوته، وهم بادروا إلى إنفاق قوتهم أيضاً^(٣).
ويدل على ذلك: ما تقدم عن ابن المغازلي، من أن علياً (عليه السلام) أعطى المسكين رغبته، فلما جاء اليتيم أعطته فاطمة (عليها السلام) رغبها، فلما جاء الأسير قامت الخادمة فأعطته الرغيف^(٤).

رابعاً: ونضيف إلى ما تقدم: أن الله قد مدح المؤثرين على أنفسهم، فقال عز وجل: **(وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)**^(٥). فلماذا لا يعدون هذا من الإيثار الممدوح والمحبوب لله تعالى؟! وقد ورد في هذه الرواية: أن علياً (عليه السلام) لما جاءهم الأسير قال: يا فاطمة، إني أحب

١ - إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ١٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٥٦.

٢ - الآية ٩٢ من سورة آل عمران.

٣ - إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ١٧٧.

٤ - المناقب لابن المغازلي ص ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٤٤٦ وشواهد التنزيل ج ٢ هامش ص ٤١٠.

٥ - الآية ٩ من سورة الحشر.

أن يراك الله وقد آثرت هذا الأسير على نفسك وأشبالك!!^(١).

لكن في هذه الرواية التي أشرنا إليها فقرات تضمنت ما لا يمكن القبول به. فلا بأس بملاحظتها لمن أراد. وربما يكون الإيثار إلى هذا الحد جائز لهم دون سواهم، أو أنه كان جائزاً للناس كلهم، ثم نسخ مسكيناً ویتيماً وأسيراً:

وفي سورة هل أتى التي نزلت في هذه المناسبة دقائق وأسرار عظيمة، ربما نكون قد وفقنا للتنبه إلى نزر يسير منها في كتابنا: (تفسير سورة هل أتى). ولعل من المناسب ذكر فقرات منه. ونختار منه ما حاولنا فيه تسليط الضوء على التسلسل العفوي بين بعض عناصر هذا الحدث من خلال الآية، في خصوص المسكين واليتيم والأسير، فقلنا ما يلي:

١ - تنوين التنكير لماذا؟!:

إن أول ما يواجهنا هنا: أنه تعالى أورد هذه الكلمات: (مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)، منونة بتنوين التنكير، ولم يوردها محلاة بالألف واللام..

وربما يكون السبب في ذلك: هو أنه إذا قال: (المسكين، واليتيم، والأسير) فقد يوهم ذلك: إرادة خصوص المعهودين لديهم، والمعروفين عندهم، فيكون إطعامهم لهم ناشئاً عن عدة دواعٍ متمازجة، ومتعاضدة في

١ - البرهان (تفسير) ج ٨ ص ١٨٣ وتأويل الآيات الظاهرة ج ٢ ص ٧٥٠ ونهج السعادة ج ١ ص ٣٢ وغاية المرام ج ٤ ص ١٠٤.

التأثير، وفي الاندفاع إلى الإطعام.. لأن المعرفة بالشخص قد تدعو لإجابة طلبه، وكذا لو كان ذا قرابة مثلاً، أو من قومه، أو من بلده، أو مرتبطاً بذي قرابة، أو بصديق، أو جاراً، أو ما إلى ذلك..
أما تنوين التنكير فهو صريح في أنهم يطعمون أي مسكين، وأي يتيم، وأي أسير كان، ممن لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة.

وذلك يدل على أن اليتيم والمسكنة والأسيرية هي المحرك الإنساني، وعلى أن الغاية هي وجه الله. وليس ثمة أية شائبة في هذا الخلوص، وذلك الإخلاص.. فليس في نفوسهم أية آثار لمؤثرات دنيوية أرضية غير إلهية، أو غير إنسانية.

فالدافع إنساني مرتبط بالمشاعر، والهدف إلهي، وقد تناغم هذا الهدف مع ذلك الداعي، فكان هذا الإيثار العظيم..

٢ . توافق الترتيب البياني مع الواقع الخارجي:

وقد حدثتنا الروايات: عن أن الواقعة التاريخية، قد حدثت وفق الترتيب الذي أورده القرآن، فقد جاء المسكين أولاً، ثم اليتيم، ثم الأسير..

وذلك هو التوفيق والتسديد الإلهي الظاهر.. لكي لا يبقى أي مجال للتفكير في أن ما هو افتراضي، قد لا يكون منسجماً مع حركة الواقع الخارجي، خصوصاً حينما تتوافر الدواعي في الإتجاه المعاكس كما سنبينه..
كما لا يبقى أيضاً مجال للقول: بأن الحديث هنا جارٍ في ما هو مثالي.. وقد لا يتوافق المثالي مع مقتضيات الواقع وشروطه.

بل نقول:

إنه حتى لو لم يكن الترتيب في الآية مطابقاً لما حصل بالفعل، فإن نفس أن يأتي سياقها القرآني على هذا النحو، ستكون له أهدافه وأغراضه التكرمية، أو البيانية لمعانٍ يريد الله لنا أن نتلمسها ونعرفها فيهم (ﷺ) .. وقد تكون هذه المعاني الغيبية التي يكشفها الله لنا، رحمة بنا، وامتناناً منه تعالى علينا..

وحيث يأتي البيان على سبيل الإخبار عن طبيعة وسجية وديدن هؤلاء الصفوة، فإنه لا بد أن يزيد ارتباطنا بهم، وتعريفنا بحقيقتهم، ليكونوا لنا الأسوة والقدوة والمثل الأعلى.. فكيف، وقد تطابق الواقع الخارجي، مع السجية والطبيعة، فجاء المسكين، ثم اليتيم، ثم الأسير.. ليكون ذلك أدعى في الإقناع، وأوثق في الدلالة..

٣ . حالتان تصاعديتان تتعاكسان:

وحيث نريد أن نبحث الموضوع بعمق، فسنجد أن هناك حالة تصاعدية في جهة السائلين، تقابلها حالة تصاعدية في ناحية الباذلين..

بمعنى أن الانتقال كان في ناحية السائلين من الأعلى إلى الوسط، ثم إلى الأدنى.

ولكن الانتقال في ناحية الباذلين كان من الأدنى.. وانتهى بالأعلى..

وهذا هو سر عظمة هذا الحدث، وهو أقوى تعبير عن حقيقة هؤلاء الصفوة الأطهار، حيث إنه يؤسس بصورة حية لفهم سر كل هذه الكرامة التي اختصهم الله بها، وهذا التشريف العظيم الذي جباهم سبحانه به..

وتوضيح ذلك يكون على النحو التالي:

٤ - المسكين.. والباذلون في اليوم الأول:

إننا إذا أردنا أن نوضح ذلك، برسم صورة تطبيقية، فسنجد: أن الذي أتى للصائمين في وقت إفطارهم، في اليوم الأول، هو (مسكين)، فمن هو هذا المسكين، وما هي حالته؟!

إن المسكين هو إنسان بلغ به الفقر أقصى مداه. إلى درجة أنه أسكنه، وجعله عاجزاً. وقد روى أبو بصير (رضي الله عنه) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (الفقير الذي لا يسأل، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهد منهما)^(١).

وصيغة (مسكين)، تفيد التكنير.. أي يكثر سكونه، لأنه كلما أراد أن يتحرك للحصول على شيء أحس بعجزه، فيسكن..

ومعنى ذلك: أنه قد جرب حظه في الحياة أكثر من مرة، وبذل أكثر من محاولة للخروج من المأزق، فلم يفلح.

١ - بحار الأنوار ج٩٣ ص٥٧ و ٧٠ وتهذيب الأحكام ج٤ ص١٠٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٩١ ووسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج٦ ص١٤٤ ومستدرک الوسائل ج٧ ص١٠٣ وعوالي اللآلي ج٢ ص٧١ وج٣ ص١٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص١٧٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٢٩ ودعائم الإسلام ج١ ص٢٦٠ وراجع: الكافي ج٣ ص٥٠٢ والمعتبر ج٢ ص٥٦٥ ومختلف الشيعة ج٣ ص١٩٩ .

وواضح: أن الإنسان إذا بلغ هذا الحد، فإن أمله يتضاءل ويذوي.. كما أنه يفقد شيئاً من عنفوانه، ومن قوة شخصيته.

إذن، فحالة هذا الشخص تثير العطف الشديد، وتوجد اندفاعاً قوياً لمساعدته، ممن يرى ذله، وعجزه، وحاجته، وانكساره..

وفي المقابل كان الباذلون للطعام، الذين تتحدث عنهم الآية الشريفة، قد صاموا يوماً كاملاً، واحتاجوا إلى الطعام بصورة حقيقية وفعلية، وضعفت أجسادهم، ولا سيما أجساد الأطفال الذين في جملتهم، وكانوا صائمين أيضاً.. وهؤلاء الأطفال ليسوا كسائر الأطفال، بل هم خيرة الله سبحانه من خلقه، وصفوته من عباده.. وقد كان من الطبيعي أن يتنازع أولئك الباذلين عاملان:

أحدهما: يدفعهم للبذل، وهو حالة المسكين الصعبة للغاية.. وحالة حاجتهم الذاتية للطعام.. وثانيهما: الحاجة العاطفية للاحتفاظ به، لأجل طفلين هما الغاية في الكمال، والنبيل، والفضل، والصفاء.. ولا شك في أن أحداً على وجه الأرض، لا يملك مواصفاتها، وميزاتها.

فإمكانية الإستجابة للعامل الأول تبقى موجودة، وفيها شيء من القوة.. فإذا استجابوا له، فإنهم - ولا شك - يكونون قد قاموا بعمل عظيم، ولكنه ليس مستحيلاً، بسبب قوة التحريك للعطاء، من خلال الإنسجام العاطفي والإنساني، مع حالة المسكين.

ومن جهة أخرى: فقد كان بالإمكان أن يعطوا المسكين بعضاً من طعامهم على سبيل المشاركة، والتسوية بالنفس.. ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل اندفعوا بالإيثار إلى أقصى مداه، فأعطوه جميع ما أعدوه لإفطارهم. لأنهم أرادوا له أن يجد الفرصة لمراجعة حساباته، واستئناف تحركاته في سبيل عمل يخرجهم مما هو فيه..

أضف إلى ذلك: أن هذا العطاء كان بالنسبة للباذلين، في ساعة حرجة جداً. وبالذات في ساعة الإفطار، حيث تلح النفس بالمطالبة بالطعام، وتدعو للإحتفاظ به، إذ لو طلب منهم بذل الطعام، قبل حلول ساعة الإفطار، فإن التخلي عن الطعام يكون أيسر، لعدم وجود هذا الإلحاح على الإحتفاظ به، بفعل قوة الحاجز، مع الإفساح في الأمل بإمكانية الحصول على البديل فيما تبقى من الوقت..

ولكن الطلب قد جاء في الساعة الحرجة والصعبة، وحيث يشتد تعلق النفس بالطعام، فكيف إذا مازج ذلك عامل الحضور والمشاهدة والعيش بالأجواء، حتى لتكاد الأيدي تمتد إليه، فإن التعلق به سيكون . بلا شك . أقوى، والتخلي عنه أصعب..

ولكن حالة المسكين وضعفه، وشدة حاجته، فيها أيضاً شيء من قوة الدعوة للبدل، ودرجة من التأثير المعاكس في أحوال كهذه..

٥ . اليتيم والباذلون في اليوم الثاني:

وفي اليوم الثاني.. حيث لم يذق الصائمون طعاماً طيلة يومين كاملين. بل اكتفوا بشرب الماء في الليلة السابقة. قد أصبح واضحاً: أن الحاجة إلى

الطعام قد اشتدت، ودواعي الإحتفاظ به قد ازدادت، والحرص عليه قد تنامى وعظم، لا سيما مع وجود صبيين معهم، هما الحسنان (عليهما السلام) بالذات.. وهما سيدا شباب أهل الجنة، وريحاننا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وكان وقت الإفطار قد حضر أيضاً، وطبيعي أن يزداد التطلع للطعام، والبحث عنه، وبعد حضوره يزيد التعلق بما حضر منه.. فكيف إذا وضع أمامهم، وتكاد الأيدي تتحرك باتجاهه، وتمتد إليه.

وإذا بسائل جديد، هو في هذه المرة (يتيم)، وليتمه تأثيره على النفوس. ولكن الإندفاع إلى مساعدته يكون في العادة أضعف من الإندفاع لمساعدة المسكين، لأن احتمالات الحاجة فيه أقل وأضعف. إذ إن يتمه لا يدل على حاجته المادية..

فإن نفس الحالة الظاهرة للمسكين هي حالة حاجة وفقر، وعجز عن إيجاد ما يتبَّغ به، وهي فورية، وحادة، وهي بنفس ظهورها فيه تمثل دعوة لمساعدته بلسان الحال، وهي شاهد صدقه في ما يدعيه، بلسان المقال..

أما اليتيم، فإن هناك شفقة عليه، لأجل يتمه، وحاجته للعاطفة والطمأنينة، لا لأجل حاجة ظاهرة له، تستبطن دعوة بلسان الحال لمساعدته.. إذ لعله كاذب في دعواه الفقر..

وحتى لو كان صادقاً، فإن الفقر الذي يخبر عنه لا يصل في حدته إلى درجة ظهور ذلك في حالته. كما كان الحال بالنسبة إلى المسكين..

بل هو لا يزال في مقتبل العمر، والفرص أمامه، ولم يمارس بعد

إمكاناته، وقدراته، بل هو لم يكتشفها بعد. ولعل مشكلته ناشئة من فقد التوجه الصحيح له، بعد أن فقد كافله..
ففرص النجاح أمامه متوفرة، وأمله كبير، وطموحه عارم.

وتحرك العاطفة لأجل فقر اليتيم، ليس بدرجة تحركها لأجل ذل ومسكنة المسكين.. ويتمه، لا يحرك الإنسان ليتخلى له عن طعامه، حتى في الحالات العادية. فكيف بعد طي يومين من الصيام المتواصل، واشتداد الحاجة للطعام؟!..

وحتى لو أراد أن يتخلى ذلك الصائم له عن شيء، فإنه سيقنع نفسه بأنه لا حاجة لأن يتخلى له عن جميع ما هيأه.. فضلاً عن أن يعطيه إياه ساعة الإفطار، وبعد أن وُضع أمامه، وبعد مضي يومين على الصيام.

وإذا أعطاه شيئاً، فإنما يعطيه طعام نفسه، ولا يعطيه طعام غيره كزوجته، وولده.. فكيف إذا كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) هي الزوجة، وكان الولدان الوحيدان له طفلين صغيرين، ثم كانا هما الحسنان (عليهما السلام) بالذات، في ميقاتهما، وفي موقعهما من الدين، ومن الإسلام كله، وليس لهما على وجه الأرض مثيل، لا من الأيتام، ولا من غيرهم. وهما اللذان تتجلى فيهما ميزات الإمامة وخصائصها، بأجلى وأبهى مظاهرها..

وأبواهما كانا أعرف من كل أحد بهما، وبقيمة مزايهما، وبكرامتهما على الله سبحانه، فهل يمكن أن يخاطرا بحياتهما، لمجرد احتمال حاجة يدعيها يتيم، ليس هو مثل الحسنين قطعاً؟! وهي حاجة - حتى لو كانت واقعية - فليس ثمة ما يدل على أنها تبلغ درجة الإحراج والعسر..

إذن.. فقد ازدادت المثبطات، وتوافرت الموانع عن الإعطاء، سواء فيما يرتبط بالإعتبارات التي تزداد قوة وتنوعاً، في ناحية الباذلين، أم فيما يرتبط بضعف المشجعات في جانب السائلين، حيث تضاءلت وانحسرت وضعفت تلك الخصوصيات التي تثير وتحرك.

ولكن وبرغم ذلك كله، فإن العطاء والبدل، قد بلغ أيضاً أقصى مداه، حيث أعطوا (لَمَّا بَلَغُوا) في اليوم الثاني أيضاً جميع ما يملكون، وآثروا اليتيم به على أنفسهم مع شدة الحاجة والخصاصة. وبذلك فقد أصبح هذا الإطعام أعظم قيمة، وأشد أهمية، إذا لوحظت جميع الخصوصيات التي أشرنا إليها..

٦- الأسير.. والباذلون: في اليوم الثالث:

ويطوي الصائمون ليلتهم، ولا يقدرّون على شيء إلا على شرب الماء، ويصومون يوماً ثالثاً هو الأشد، والأقسى، والأمض، وقد أصبحت الأخطار الجسام تتهدد صفوة الخلق، وصيبة هم خيرة الله، وحججه على عباده، بصورة أعظم وأقوى..

ويحين وقت الإفطار، وهو ما يجعل النفوس أيضاً تَهْفُوا وتتطلع إلى الطعام، فكيف إذا كان ذلك بعد ثلاثة أيام من الطوى؟! ثم يوضع الطعام أمامهم، ولا يحول بينهم وبينه شيء..

وقد بلغت خطورة الموقف حداً قاسياً، يدعّوهم ليس فقط إلى عدم بذل الطعام، وإنما إلى بذل كل الجهد والتضحية في سبيل الإحتفاظ به..

وإذا بسائل جديد يطرق الباب.. غير أن حالة هذا السائل كانت أخف

الحالات وأهونها، فإنها ليست فقط لا تثير شعوراً قوياً بالرغبة في مساعدته، بل ربما تكون المثبطات والموانع عن إعطاء هذا السائل، أكبر وأظهر..

ولا نريد أن نتحدث عن الحالات، ولا عن الخصوصيات التي كانت في جانب الباذلين، فقد ظهر جانب منها في البيانات السابقة، بل نريد فقط أن نُلمح إلى ما كان منها في ناحية السائل.. فنقول:
إنه عدا عن جميع ما لاحظناه من خصوصيات في جانب اليتيم والمسكين.. فإن الأسير رجل مكتمل قوي البنية، قادر على مواجهة الآخرين، حتى بالقتال، وله قدرة على تحمل الصعاب، ومكابدة المشاق..
والزهراء (عليها السلام) في هذا الجانب امرأة، والحسنان (عليهما السلام) أيضاً لم يكونا قد بلغا سن الأقوياء، فيما يعرفه الناس من ذلك..

ومشكلة الأسير تبقى محصورة في مدة أسره، المانع له من بعض ضروب السعي.. وهي مشكلة لها أمد، ولها مخرج. وسيتهي الأمر به إلى الخروج من هذه الحالة، والعودة إلى أهله، وأملاكه، وإلى الذين لديهم أكثر من دافع لم يد العون له.. بخلاف المسكين الذي ليس لديه ما ينعش به، وبخلاف اليتيم الذي لن يجد مثل كفيله الذي فقدته كفيلاً، وحامياً، وراعياً، وحبیباً..

ثم إنه ليس في الأسير أية جهة أخرى . سوى ما يدعيه من الحاجة . تدعو إلى العطف عليه، كما كان الحال بالنسبة لیتيم الیتيم..

بل هناك ما يدعو إلى النفور منه، وإلى حرمانه، فإنه مجرد أسير، والأسير في واقع الأمر محارب للإسلام وللمسلمين.. وربما لا يكون قد

تخلى عن عداته لهم، ولا ذهب حقه عليهم.. بل ربما لا يكون قد تخلى عن كفره، أو شركه، أو انحرافه.
وإذا كان قد أسر في ساحة الحرب، فلعله قد قتل بعض الأحبة، والأصفياء، أو شارك في قتلهم..
ولعل اليتيم الذي جاءهم بالأمس قد فقد كافلة، وحاميه في الحرب التي شارك فيها هذا الأسير نفسه، أو شارك
هو في قتله، أو في الأجواء التي تمكن القتل من القيام بجريمتهم..
أضف إلى جميع ذلك: أن نهاية هذا الأسير ستكون هي الرجوع إلى قومه، ولعله يعود معهم إلى حرب الإسلام
والمسلمين من جديد..

وكل هذا الذي ذكرناه، قد يكون معذراً مقبولاً أمام الوجدان، وتبريراً معقولاً لرد طلبه عند العرف والعقلاء..
ثم إنه لم يظهر من حال هذا الأسير ما يشي بصدقه فيما يدعيه من الحاجة.. وحتى لو كان صادقاً، فإن حاجته
ليست بمستوى حاجة من طوى ثلاثة أيام بدون طعام، فكيف إذا كان هذا الطاوي هو طفلان صغيران. ثم كانا هما
الحسن والحسين، ومعهما الزهراء، وعلي أمير المؤمنين (عليه السلام).
ثم إنه قد كان يمكنهم (عليهم السلام) أن يعطوه بعضاً من ذلك الطعام، ويحتفظوا لأنفسهم بالباقي، أو يحتفظوا بطعام
الحسينين (عليهم السلام) على الأقل..
فكل هذه العوامل التي ذكرناها تدعو إلى الإحتفاظ بالطعام..

تضاف إليها العوامل المضادة والمناعة من العطاء، ومن بينها ما هو قوي، ومتناغم مع العواطف والمشاعر الإنسانية، ومع كثير من النقاط التي سجلناها من ابتداء الحديث إلى هنا..

وبعد هذا كله.. فقد جاءت المفاجأة وأعطى هؤلاء الصفوة ذلك الأسير كل ما لديهم، وعرضوا أنفسهم للأخطار الجسام. مع أنه قد كان يكفيه بعض ما أعطوه، غير أنهم أرادوا له أن يجد لنفسه قوتاً في أطول زمن يمكنهم أن يمدوه بالقوت فيه..

والبذل في مثل هذه الحالات، وبملاحظة كل تلك الخصوصيات، هو منتهى الكمال الإنساني، والإيماني، والروحي، وهو الحد الذي لا يصل إليه بشر. إلا إذا كان ذلك البشر هو الرسول الأعظم (ﷺ) رغم أن عطاءهم في ظاهر الأمر، كان بضعة أقراصٍ من شعير.. لكن الحقيقة هي أن في هذه الأقراص، كل حياتهم، وكل وجودهم، وكل الطهر، والإيمان والإخلاص..

٧. السائلون.. هل هم مسلمون؟!:

وقد يحاول البعض أن يدعي: أن المسكين، واليتيم، والأسير، كانوا من المسلمين.

ونقول:

إنه لا مبرر لهذا التخصيص، ولا دليل يثبتته، بل إن الأمور التي ركزت الآيات عليها ترجع إلى شعور إنساني فياض، ونبييل، لا يفرق بين مسلم وغيره، فإن لكل كبد حرّى أجر، ومن خلال هذا الشعور الإنساني يتحرك

الإنسان في الإتجاه الصحيح، يرفده بالدفعات الروحية وبالمشاعر الإنسانية حتى يبلغ به إلى الهدف الأقصى، وهو أن يصبح عمله كله لله سبحانه..

هذا كله فضلاً عن أن بعض الروايات قد أشارت إلى أن الأسير الذي سأل هؤلاء الصفوة فأعطوه.. قد أسره المسلمون أنفسهم، ولم نجد في تاريخ الإسلام أن أحد المسلمين قد أسره الرسول (ﷺ) مع المشركين حتى احتاج إلى زيارة بيوت الناس للإستجداء..

٨ . الترتيب هنا عكسه في آيات أخرى:

وبعد.. فإن هذه الآية قد ذكرت المسكين أولاً، ثم اليتيم، ثم الأسير.. ولكننا نجد أنه تعالى حين يعدد أصناف المستحقين للزكاة والخمس.. رتبهم بطريقة مختلفة، فهو يقدم الفقراء، أو اليتامى مثلاً على المساكين.. فما هو السبب يا ترى؟!

وقد يمكن الجواب عن هذا: بأن النظر في تلك الآيات المباركة يحتاج إلى إثبات أن هذا الصنف مستحق لهذا القسط من الخمس.. أو الزكاة، أو الصدقات. وليس ثمة أي اختلاف في ناحية المقدار فيما بين جميع الأصناف. وقد جيء بالعناوين مجرد أن تكون مشيرة إلى موضوعاتها، ليتعلق الحكم بها.

ولكن الأمر هنا ليس كذلك، إذ إن لنفس هذه العناوين دوراً في إفهام الخصوصيات المطلوبة في المعنى الذي هو بصدده بيانه والتأكيد عليه، وهو ذلك المعنى الإنساني الإلهي العظيم، الذي ألمحنا إلى بعض جوانبه..

٩ . الإكرام أم الإطعام؟!:

وقد ركزت هذه الآيات على إطعام اليتيم، ولكنه تعالى في آيات أخرى قد تحدث عن إكرامه..
ثم إنه تعالى حين تحدث عن إطعامه أخره بالذكر عن المسكين. ولكنه حين تحدث عن إكرامه قدمه بالذكر على المسكين، فقال: (كَلَّا بَلْ لَأَ تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)^(١).
وقال تعالى: (فَدَلِّكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)^(٢).
فالدُّعُ هو الدفع.. وعدم التقبُّل.. وهذا يعتبر عدواناً على من يفترض في الإنسان المتوازن أن يبادر إلى الترحيب به وإكرامه..

وعدم الحض على طعام المسكين يأتي في المرتبة التالية.. لأن الحالة الظاهرة في المسكين هي حاجته لما يزيل حالة السكون الناشئة عن شدة حاجته..
أما اليتيم فإنه بحاجة إلى المعالجة الروحية، وإلى أن يخرج من دائرة الصدمة، والخوف من المستقبل، وأن يشعر بأنه ليس وحده في هذه الحياة، بل الجميع معه، وإلى جانبه..
فلا بد من ذكره أولاً، لأن سلامة الحالة النفسية، هي الأهم.. وبها

١ - الآية ١٨ من سورة الفجر.

٢ - الآية ٢ من سورة الماعون.

يكون قوام وسلامة شخصيته.. فكيف إذا كان هناك دُعُّ له، وممارسة درجة من العدوان عليه.
أما حين تكون القضية مجرد قضية الحاجة إلى المال.. فإن الأولوية إنما تكون لمن تشتد حاجته للمال.. والمسكين هو الحالة الأصعب بالنسبة لليتيم، والأسير..

١٠. قصة الإطعام.. وهدف السورة:

هذه السورة تتحدث عن النشأة الإنسانية، ومسيرتها إلى غاياتها في ظل الهداية الإلهية، لتتجلى من ثم أنوار أشرف المخلوقات، من سماء الكرامة والمجد، لتضيء هذه الحياة بأنواع الهدايات إلى صراط الله العزيز الحميد..
وقد ذكر الله سبحانه ذلك، تارة بطريقة البيان لمنزل كرامتهم، وتارة أخرى بأسلوب التجسيد الحي، الذي تتجلى فيه كمالاتهم، وإنسانيتهم، موقفاً وسلوكاً، وطريقة حياة..

فجاءت قصة إطعامهم اليتيم والمسكين والأسير، لتجسد أمام عين الإنسان تلك المضامين. لكي يحس بها، ويتلمسها، ويتمازج لديه المحسوس بالمعقول، ليكون ذلك أوقع في النفس، وأشد في الإقناع، وأرسخ في اليقين^(١).

١ - تفسير سورة هل أتى ٢١٤ - ٢٢٦.

الفصل السادس:

آية التطهير .. وحديث الكساء ..

حديث الكساء:

ويذكر هنا حديث الكساء، ونزول آية التطهير، وقد حصل ذلك قبل شهر، أو قبل أربعين صباحاً، أو قبل ستة، أو سبعة، أو ثمانية، أو تسعة، أو عشرة أشهر، أو سبعة عشر، أو تسعة عشر شهراً من وفاة الرسول (ﷺ) .. حيث بقي (ﷺ) يمر في كل يوم ببيت علي وفاطمة (عليهما السلام)، ويقول:

الصلاة يا أهل البيت، (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ^(١).

وذلك ليؤكد: أنهم المقصودون بالآية الشريفة دون سواهم. وأن المراد هو: أهل بيت النبوة، لا بيت السكنى. ولينتشر ذلك في الناس، ولا سيما في تلك الفترة التي تكثر الوفود فيها إلى المدينة، ليعلنوا إسلامهم، ثم يعودون إلى بلادهم.

فراجع في تفصيل الكلام حول هذه القضية، ودلالة الآية، كتابنا: أهل البيت في آية التطهير.

١ - الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

وملخص ما جرى:

أن النبي (ﷺ) جمع علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام) معه تحت كساء خيبري فدكي، في حجرة أم سلمة وفي يومها، وقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

فقال أم سلمة: أدخل معهم يا رسول الله!؟

قال لها رسول الله (ﷺ): يرحمك الله، أنت على خير، وإلى خير، وما أرضاني عنك، ولكنها خاصة لي ولهم.

ثم مكث رسول الله (ﷺ) بعد ذلك بقية عمره، حتى قبضه الله إليه، يأتينا في كل يوم عند طلوع الفجر، فيقول:

الصلاة يرحمكم الله، (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١) الحديث (٢).

١ - الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

٢ - بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٣٨ وراجع هذه الأحاديث الكثيرة جداً على اختلاف ألفاظها في المصادر التالية: جامع البيان ج ٢٢ ص ٥ و ٧ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨ و ١٩٩ عنه، وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم، وصحاحه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبه، وأحمد، ومسلم، وفتح القدير ج ٤ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ وجوامع الجامع ص ٣٧٢

والتسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٣٧ وتأويل الآيات الظاهرة ج ٢ ص ٤٥٧ . ٤٥٩ والطرائف ص ١٢٢ . ١٣٠ والمناقب لابن المغازلي ص ٣٠١ - ٣٠٧ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ١١ . ٩٢ ومسند الطيالسي ص ٢٧٤ والعمدة لابن بطريق ص ٣١ . ٤٦ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٩١ وج ٩ ص ١٢١ و ١١٩ و ١٤٦ و ١٦٧ - ١٦٩ و ١٧٢ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٩ وج ٢ ص ٩ و ١٢ و ٢٠ وج ٣ ص ٤١٣ وج ٥ ص ٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩ وآية التطهير في أحاديث الفريقين، المجلد الأول كله . وأسباب النزول ص ٢٠٣ ومجمع البيان ج ٩ ص ١٣٨ وج ٨ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٠٦ - ٢٢٣ وج ٤٥ ص ١٩٩ وج ٣٧ ص ٣٥ و ٣٦ ونج الحق ص ١٧٣ . ١٧٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٨٢ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠ وسعد السعود ص ٢٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ وذخائر العقبى ص ٢١ . ٢٥ و ٨٧ وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ص ٤٠٥ والإيضاح لابن شاذان ص ١٧٠ ومسند أحمد ج ٤ ص ١٠٧ وج ٣ ص ٢٥٩ و ٢٨٥ وج ٦ ص ٢٩٢ و ٢٩٨ و ٣٠٤ وج ١ ص ٣٣١ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٣ . ٤٨٦ وكفاية الطالب ص ٥٤ و ٢٤٢ و ٣٧١ و ٣٧٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٨٤ و ١٨٣ والمعجم الصغير ج ١ ص ٦٥ و ١٣٥ والجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٦٣ و ٦٩٩ و ٣٥١ و ٣٥٢ وخصائص الإمام علي للنسائي ص ٤٩ و ٦٣ والمستدرک علی الصحیحین ج ٢ ص ٤١٦ وج ٣ ص ١٧٢ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٥٨ و ١٣٣ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه)، وتفسير القمي ج ٢

ص ١٩٣ والتبيان ج ٨ ص ٣٠٧ . ٣٠٩ والتفسير الحديث ج ٨ ص ٢٦١ و ٢٦٢ ومختصر تاريخ دمشق ج ٧ ص ١٣ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٠٩ . ٣٢٥ وتفسير فرات ص ٣٣٢ . ٣٤٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٤٥٠ وراجع: نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٢ ومنتخب ذيل المذيل للطبري ص ٨٣ وحييب السير ج ١ ص ٤٠٧ و ج ٢ ص ١١ والشفاء لعياض ج ٢ ص ٤٨ وسير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٣٤٦ و ٣٤٧ و ج ٣ ص ٢٧٠ و ٣١٥ و ٣٨٥ و ٢٥٤ والغدير ج ١ ص ٥٠ و ج ٣ ص ١٩٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ٦٩٠ . ١٠٣ . ٥٣١ و ج ٢ ص ٥٠٢ . ٥٧٣ و ج ١٤ ص ٤٠ . ١٠٥ و ج ١٨ ص ٣٥٩ . ٣٨٣ عن مصادر كثيرة جداً، وسليم بن قيس ص ١٠٥ و ٥٢ و ٥٣ وراجع ص ١٠٠ ونزل الأبرار ص ١٠٢ . ١٠٤ . ١٠٨ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٤٦ ونوادير الأصول ص ٦٩ و ٢٦٥ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٨٤ . ١٨٨ وقال في جملة ما قال: (أسند نزولها فيهم صاحب كتاب الآيات المنتزعة. وقد وقفه المستنصر بمدرسته، وشرط أن لا يخرج من خزائنه. وهو بخط ابن البواب. وفيه سماع لعلي بن هلال الكاتب. وخطه لا يمكن أحد أن يزوره عليه" ومرقاة الوصول ص ١٠٥ . ١٠٧ و ذكر أخبار أصبهان ج ٢ ص ٢٥٣ و ج ١ ص ١٠٨ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٧ والرياض النضرة ج ٣ ص ١٥٢ و ١٥٣ ونهج الحق (مطبوع ضمن إحقاق الحق) ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٦٣ ومصاييح السنة ج ٤ ص ١٨٣ والكشاف ج ١ ص ٣٦٩ والإتقان ج ٢ ص ١٩٩ و ٢٠٠ وتذكرة الخواص ص ٢٣٣ وأحكام القرآن لابن عربي ج ٣ ص ١٥٣٨ والفصول المهمة

لابن الصباغ ص ٧ و ٨ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وج ٤ ص ٣٧٨ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر (بتحقيق الحموي) ص ٦٣ . ٧٠ والصواعق المحرقة ص ١٤١ . ١٤٣ و ١٣٧ ومتشابه القرآن ومختلفه ج ٢ ص ٥٢ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٠ . ٢٧٧ وإسعاف الراغبين (مطبوع بمامش نور الأبصار) ص ١٠٦ و ١٠٧ ونور الأبصار ص ١١٠ . ١١٢ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ . ٢٤٣ والإستيعاب (مطبوع بمامش الإصابة) ج ٤ ص ٤٦ وج ٣ ص ٣٧ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣١٦ و ٣٦٨ وج ٢ ص ١٠ و ١٩ و ٢٢ . ٢٣ ونبايح المودة ص ١٠٧ و ١٦٧ و ١٠٨ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٦٠ و ١٥ و ٨ و ١٧٤ و ٢٩٤ و ١٩٣ والعقد الفريد ج ٤ ص ٣١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦١ . ٦٢ وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ج ١ قسم ٢ ص ٦٩ . ٧٠ و ١١٠ وراجع ص ١٩٧ وكتاب الكنى للبخاري ص ٢٥ . ٢٦ ونظم درر السمطين ص ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩ وتهديب تاريخ دمشق ج ٤ ص ٢٠٧ . ٢٠٩ والنهاية في اللغة ج ١ ص ٤٤٦ ولباب التأويل ج ٣ ص ٤٦٦ والكلمة الغراء (مطبوع مع الفصول المهمة" ص ٢٠٣ ، ٢١٧ وأنساب الأشراف (بتحقيق الحمودي) ج ٢ ص ١٠٤ و ١٠٦ وترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق (بتحقيق الحمودي) ص ٦٠ . ٧٦ والمعتصر من المختصر ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٦٧ وراجع أيضاً: المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٢٢ والمحاسن والمساوي ج ١ ص ٤٨١ ونفحات اللاهوت ص ٨٤ و ٨٥ وتيسير الوصول ج ٢ ص ١٦١ والكافي ج ١ ص ٢٨٧ ومنتخب كنز العمال (مطبوع بمامش مسند = أحمد) ج ٥ ص ٩٦ عن ابن أبي شيبه، وكنز العمال (ط الهند) ج ١٦ ص ٢٥٧ والإتحاف ص ١٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٤٤ وأحكام القرآن للجصاص ج ٥ ص ٢٣٠ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٩ ص ٢٧٨ وج ٩ ص ٢٦ . ٢٧ والمناقب للخوارزمي ص ٢٣ و ٢٢٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣٠٠ ومشكل الآثار ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٩ والسنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ . ١٥٢ وج ٧ ص ٦٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢١ وج ٨ ص ٣٥ و ٢٠٥ ومنهاج السنة ج ٣ ص ٤ وج ٤ ص ٢٠ وعن ذخائر المواريث ج ٤ ص ٢٩٣ وعن ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٧ .

وقد احتج علي (عليه السلام) بهذه القضية، وبنزول الآية فيها في يوم الشورى، ثم استدل بها في مسجد المدينة في خلافة عثمان على جماعة من المهاجرين والأنصار، كما سيأتي..

بل واحتج (عليه السلام) بهذه الآية على أبي بكر أيضاً.

فقد روى حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لأبي بكر: يا أبا بكر تقرأ الكتاب؟! قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ^(١) في من نزلت؟! فينا؟! أم في غيرنا؟!

١ - الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

قال أبو بكر: بل فيكم^(١).

وراجع في تفصيل الكلام حول هذه القضية، وفي دلالة الآية كتابنا: أهل البيت في آية التطهير..
لمحات ضرورية:

غير أن ذلك لا يمنع من تسجيل بعض اللمحات التي ترتبط بهذه الحادثة الهامة جداً هنا أيضاً، وبيان مفاد الآية التي نزلت بهذه المناسبة، وسوف نستلها، أو نلخصها من كتابنا: أهل البيت في آية التطهير، وذلك على النحو التالي:

أهل البيت:

قد يراد بالبيت:

١ - بيت السكنى. وتكون الألف واللام عهدية، فأهل البيت هم: الناس الساكنون فيه. ولعله هو المقصود بقول

الملائكة لزوجة إبراهيم (عليه السلام):

(قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ

١ - البرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣١٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٦ و ٢٧٤ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ١٨٧ وغاية المرام ج ٣ ص ١٩٩ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٩ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٢٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ١١٧ .

وزوجة إبراهيم من جملة أهل البيت هنا، لأنها وقعت في الآية مورداً للخطاب المباشر. وهذا الخطاب هو القرينة على ذلك.

وليس هذا المعنى هو المقصود في آية التطهير، إذ قد كان لعلي وفاطمة (عليهما السلام)، ومعهما الحسنان (عليهما السلام) أيضاً بيت مستقل عن بيت النبي (صلى الله عليه وآله). والدليل على ذلك حديث سد الأبواب.

٢. وقد يراد بالبيت: العشيرة والأقارب، كقولك: البيت الأموي، والبيت العلوي أو الهاشمي.. وهذا ما نفاه زيد بن أرقم عن الأزواج، فقد قيل له: أليس نساؤه من أهل بيته؟!.

فقال: نساؤه من أهل بيته؟! لكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده..^(٢). فإنه قرر: أن نساء النبي (صلى الله عليه وآله) لسن من أهل بيته،

١ - الآية ٧٣ من سورة هود.

٢ - راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٦ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٨٠ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٤١ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ١٢٢ والتفسير الحديث ج ٨ ص ٢٦١ والبرهان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٣٢٤ والصواعق المحرقة ص ٢٢٦ وراجع ص ٢٢٧ و ٢٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٤٨ وتهديب الأسماء واللغات ج ١ ص ٣٤٧ وكتاب سليم بن قيس ص ١٠٤ ونور الأبصار ص ١١٠ وإسعاف الراغبين ص ١٠٨ والإتحاف بحب الأشراف ص ٢٢ والسيرة النبوية لدحلان = ج ٢ ص ٣٠٠ وراجع: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٢٩ وكفاية الطالب ص ٥٣ (وليس فيه عبارة: نساؤه من أهل بيته؟!.) عن مسلم، وأبي داود، وابن ماجه. وفي هامشه عن: مسند أحمد ج ٤ ص ٣٣٦ وعن كنز العمال ج ١ ص ٤٥ وعن مشكل الآثار ج ٤ ص ٣٦٨ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ١٢ وعن المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٠٩.

لأنهم لم يجرمن الصدقة، وأهل بيت النبي (ﷺ) قد حرموا منها.

وذلك، لأن قول زيد: نساؤه من أهل بيته؟! إستفهام إنكاري، حذفت منه أداة الإستفهام للتخفيف. والقرينة على ذلك: تعقيبه بعبارة: لكن أهل بيته من حرموا الصدقة بعده.. إذ لو لم يكن إستدراكاً لأجل التصحيح لكان ينبغي أن يقول: نساؤه من أهل بيته وكذا من حرموا الصدقة بعده..

وأصرح من ذلك: ما روي، من أن الحصين سأل زيد بن أرقم: من أهل بيته؟! نساؤه؟!!

قال: لا، وأيم الله، إن المرأة لتكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها.

أهل بيته: أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده^(١).

١ - صحيح مسلم ج٧ ص١٢٣ والصراط المستقيم ج١ ص١٨٥ وتيسير الوصول ج٢ ص١٦١ والبرهان في تفسير القرآن ج٣ ص٣٢٤ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٨٦ والطرائف ص١٢٢ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٣٠ وج٢٣ = ص١١٧ والعمدة لابن البطريق ص٣٥ والتفسير الحديث ج٨ ص٢٦١ عن التاج الجامع للأصول ج٣ ص٣٠٨ و٣٠٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٢ ص٦٤ عن دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب ص٢٢٧ - ٢٣١ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٣٢٣ عن الجمع بين الصحيحين، والصواعق المحرقة ص١٤٨ ونقل أيضاً عن جامع الأصول ج١٠ ص١٠٣.

٣ . وقد يراد به معنى آخر، يصطلح عليه من يُقبَلُ منه ذلك، لغرض بعينه، وهذا هو ما حصل هنا، فإن المراد بالبيت: بيت النبوة. وأهل هذا البيت: من لهم موقعية، ودور أساس في تحقيق أهداف النبوة، ونشرها وحفظها. ولأجل ذلك نجد هذا التعبير قد شاع وذاع، ويكفي أن نذكر هنا قول الإمام الحسين (عليه السلام): إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبِوةِ، وَمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ^(١).

أهل الرجل:

وقد دلت روايات حديث الكساء على أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم

١ - بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ص ١٧٤ ومثير الأحرار لابن نما الحلبي ص ١٤ ولواعج الأشجان ص ٢٥ واللهور في قتلى الطفوف ص ١٧ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ١٢٠ وج ٢ ص ٢٠٩ و ٢٥٥ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ١٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦١٥ و ٦٧٤.

يرض بدخول كل من أم سلمة ولا عائشة، ولا زينب بن جحش في جملة أهل البيت، ومنعهن من دخول أي منهم تحت الكساء، بل قال لأم سلمة: إنك من أهلي، وإنك على خير.

أو قال: إنك من أهلي، وهؤلاء أهل بيتي، أو نحو ذلك. أي أنه أخبرها أنها من أهله، أما من هم تحت الكساء، فهم أهل بيته (أي بما هو نبي ورسول).

لا بما هم من سكان البيت، لأن الأزواج كن يسكن البيت أيضاً، في حين أن علياً وفاطمة والحسين (عليهم السلام) لم يكونوا كذلك، بل كان لهم بيت سكنى خاص بهم..

ولا بما أنهم عصبته وعشيرته، فإن العباس كان عم الرسول، وأبناء العباس كانوا أبناء عمه (صلى الله عليه وآله)، وكذلك عقيل رضوان الله تعالى عليه، ولم يدخلهم في هذا الأمر..

أهل البيت في اللغة:

بل في كتب اللغة ما يدل على أن إطلاق كلمة الأهل على الزوجة ليس على نحو الحقيقة. مما يعني: أن قوله

(صلى الله عليه وآله) لأم سلمة: إنك من أهلي قد جاء على سبيل المجاز، والتوسع في الإطلاق أيضاً.

قال الزبيدي: (ومن المجاز: الأهل للرجل: زوجته، ويدخل فيه الأولاد)^(١).

١ - تاج العروس ج ١ ص ٢١٧.

ويفهم من كلام ابن منظور: أن دلالة كلمة: (الأهل) على الزوجة إنما تكون مع القرينة، لا بدونها^(١). وقال الراغب: (وعبر بأهل الرجل عن امرأته)^(٢)، فدل على أن إرادة الزوجة من هذه الكلمة من باب الإطلاق والإستعمال.

آيات سورة الأحزاب:

وحيث إن آية التطهير قد وردت كجزء من آية ترتبط بنساء النبي (ﷺ)، فقد وقعت الشبهة في شمولها للنساء وعدمه، رغم إصرار النبي (ﷺ) على بيان اختصاصها بفاطمة وبعلمها وبنيتها (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فافتضى الأمر ببيان المراد بالآية، وسبب ورود هذه الفقرة في هذا الموضع من الآية فنقول:

إننا نذكر هنا بعض ما أوردنا في كتابنا: أهل البيت في آية التطهير بعين لفظه، فنقول:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ وَأُسَرِّحَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا.

١- راجع: لسان العرب ج ١١ ص ٣٨ وراجع: الغدير ج ٦ ص ١٧٠.

٢- راجع: مفردات غريب القرآن للراغب ص ٢٩ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٦٦.

وَمَنْ يَفْقُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحاً نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً.
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
مَعْرُوفًا.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.
وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبيراً).
وتستمر الآيات إلى أن تقول:

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) (١).

ثم تستمر الآيات في الحديث عن النبي (ﷺ) ومعه، ومع المؤمنين في ما يخص شأن النبي (ﷺ) فلتراجع.
وتقول:

ألف: إن الظاهر الصريح المستفاد من هذه الآيات هو أن الله سبحانه:

١ - قد أمر نبيه الأكرم (ﷺ) بأن يخيّر نساءه بين الله ورسوله، وبين الحياة الدنيا وزينتها.

٢ - وأمره بأن يقول لهن:

١ - الآيات ٢٨ - ٣٧ من سورة الأحزاب.

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) .

٣ . وأمره أيضاً بأن يقول لهن:

(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) .

(وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) .

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) .

(وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) .

(وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ) .

(وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) .

٤ . وبعد أن ينفذ النبي (ﷺ) ما طلبه الله منه، ويبلغ هذه الأوامر للنساء، يواصل الله سبحانه خطابه لمقام النبوة، وبيت الرسالة، ليخبره: بأن هذه الأوامر والنواهي التي أمره أن يبلغها لهن، إنما جاءت لأجل الحفاظ على قدسية بيت النبوة، ومهبط الوحي والتنزيل، ومختلف الملائكة.

وعلى هذا الأساس يكون: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ..) . استمراراً لأمر الله تعالى لنبيه (ﷺ)

بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ)، فهو مقول القول أيضاً، علاوة على ما سبق من تخييرهن بين الدنيا والآخرة.

ب: ولو صرفنا النظر عن ذلك، لأجل الإصرار على أن قوله تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ..) .

إنما هو خطاب منه تعالى للنساء مباشرة؛ فإننا نقول أيضاً: إنه لا يضر فيما نرمي إليه؛ لأنه قد جاء على سبيل

الالتفات إليهن، وتكون النتيجة هي:

١. أنه تعالى، قد أمر نبيه بأن يخبر نساءه بين الله ورسوله، وبين الحياة الدنيا وزينتها.
٢. ثم التفت الله سبحانه إليهن وخاطبهن مباشرة، بعنوان أنهن منسوبات إلى النبي، لا بعنوان كوئن مجرد نساء. فأمرهن وزجرهن، وقرر لمن تأتي منهن بفاحشة مبينة: أن يضاعف لها العذاب ضعفين، ولمن تطيع الله ورسوله، أن تؤتى أجرها مرتين. وقرر أيضاً: أنهن لسن كأحد من النساء، إن التزمن جانب التقوى والورع.
٣. ثم عاد سبحانه وتعالى إلى خطاب مقام النبوة وبيت الرسالة من جديد، موضحاً أن سبب هذا الالتفات إلى الزوجات وعلّة ما أصدره إليهن من أوامر وزواجر هو إذهاب الرجس عن هذا البيت، وتطهيره، فإن الحفاظ على قدسية بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة ضرورة لا بد منها، لحفظ الرسالة نفسها. فالخطاب للنبي. كما ظهر من خلال الآيات الشريفة. إنما هو من حيث إنه نبي، وصاحب وحي وقداسة إلهية، لا بما هو شخص.

ومن الواضح: أن حفظ بيت النبوة والرسالة، ما هو إلا حفظ للرسالة نفسها.

فالكلام مع النساء إذن، قد جاء على طريق الالتفات إليهن، كالاتفات الذي في قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ^(١) .

فيلاحظ: أن الحديث قد كان عن الله تعالى بصورة الحديث عن الغائب الرحمان . الرحيم . مالك، ثم التفت
وخطب الله تعالى مباشرة من موقع الحضور بين يديه تعالى فقال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) .
الإرادة بماذا تعلقت؟!:

ويظهر من كلام العلماء الأبرار (رضوان الله عليهم): أن الإرادة الإلهية المعبر عنها بقوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ..) قد تعلقت أولاً وبالذات بإذهاب الرجس، وبالتطهير^(٢) .
ولكننا نقول:

إن الظاهر: هو أنها قد تعلقت أولاً وبالذات بأمر آخر، وهو نفس الأوامر والزواجر التي توجهت إلى زوجات النبي
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

بيان ذلك:

أنه تعالى قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) .

ولم يقل: إنما يريد الله أن يذهب، أو إذهاب الرجس عنكم.

ولو أنه قال: يريد أن يذهب الرجس عنكم، لكانت الإرادة متعلقة

١ - الآيات ٣ . ٥ من سورة الفاتحة .

٢ - ستأتي المصادر لذلك إن شاء الله تعالى، حيث الحديث حول انحصار آية التطهير بأهل الكساء .

بنفس الإذهاب؛ وذلك معناه: أن الرجس موجود فيهم، ويريد الله إزالته عنهم. وحاشاهم (صلوات الله عليهم). بل الصحيح: هو أن الرجس ليس فيهم، بل هو في غيرهم، ويريد الله إزالته عن الغير حفاظاً وإكراماً لـ (أهل البيت) (عليه السلام) وإفهام الناس ان صدور المخالفات من النساء لا يضر بعصمة وطهارة أهل البيت.

بيان ذلك:

أن كلمة: (إنما) تفيد حصر المقصود، والغاية من الأمر والنهي لنساء النبي (ﷺ) في حفظ (أهل البيت) وتطهيرهم.

واللام في (ليذهب) هي لام كي، وهي تفيد التعليل، أي أن ما بعدها يكون علة لما قبلها، كقولك: (جئت لأكرمك)؛ فمدخول اللام، وهو الإكرام، علة لما قبلها وهو المجيء.

فما ذكره البعض من أن متعلق الإرادة هو نفس إذهاب الرجس، ليس على ما يرام لا من حيث التركيب ولا من حيث المعنى حسبما أوضحناه.

بل متعلق الإرادة شيء آخر، ويكون الإذهاب علة لتعلق الإرادة به.

وذلك الشيء الذي تعلقت به الإرادة هنا هو نفس التكليف، والأوامر والنواهي الصادرة لزوجات الرسول (ﷺ)؛ فإن الله سبحانه قد أراد منهن ذلك لأجل إذهاب الرجس.

وبتعبير آخر: إذهاب الرجس عن (أهل البيت) علة لإرادة الله سبحانه من زوجات النبي (ﷺ) - بالإرادة التشريعية - أن يفعلن كذا، أو يتركن كذا.

فلا دلالة في الآية على أن النساء من (أهل البيت)، بل فيها دلالة على العكس إذ لو كانت النساء داخلات في مدلول الآية لكان المناسب أن يقول: إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس، لأن نساءه قد صدر منهن أشياء هي من الرجس ومنها حرب الجمل بقيادة بعض نساءه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ..

أضف إلى ذلك: أن لا رجس على الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ليريد الله إزالته عنه.

ويتضح ذلك، بملاحظة النظائر التي استعملت فيها لام كي، بدلاً من كلمة (أن) في القرآن الكريم، وغيره.

فلاحظ: قوله تعالى في ذيل آية الوضوء والتيمم: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) (١).

أي أن أمره تعالى لكم بالتيمم بدلاً عن الوضوء، إنما هو لأجل أن يطهركم. فالتطهير لهم علة لإرادة هذا الأمر منهم بالإرادة التشريعية.

وفي مورد آخر، بعد أن ذكر الله تعالى بعض التشريعات والأحكام قال:

(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (٢).

وقال تعالى في موضع آخر: (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) (٣).

١ - الآية ٦ من سورة المائدة.

٢ - الآية ٢٦ من سورة النساء.

٣ - الآية ٥ من سورة القيامة.

وفي مورد آخر يقول تعالى: (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ^(١).
ومما يزيد الأمر وضوحاً: أننا نجد آيتين قد تعرضتا لأمر واحد، ولكن إحداها قد جاءت (بأن) والأخرى (بلام كي)، التي تقدر بعدها أن.

فبعد أن ذكر الله سبحانه قول اليهود والنصارى في عزير، والمسيح، قال: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ^(٢).

وقال تعالى في مورد آخر: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ^(٣).
والسبب في اختلاف التعبير أنهم في المورد الأول (أي في سورة التوبة) قد تعلقت إرادتهم مباشرة في إطفاء نور الله، فاستعمل الله كلمة (أن)، وقال: يريدون أن يطفئوا.

أما في هذا المورد الأخير فقد تعلقت إرادتهم بالافتراء على الله، لأجل أن يطفئوا، فالإطفاء كان داعياً لهم، وعلّة وسبباً لتعلق إرادتهم بالافتراء

١ - الآية ٥٥ من سورة التوبة.

٢ - سورة التوبة الآية ٣١ و ٣٢.

٣ - الآيتان ٧ و ٨ من سورة الصف.

والكذب، فاستعمل (اللام) فقال: (يريدون ليطفئوا).

ثم رأيت أن الراغب الأصفهاني قد أشار إلى ذلك أيضاً، فقال: (يريدون أن يطفئوا نور الله، يريدون ليطفئوا نور الله).

والفرق بين الموضوعين: أن في قوله: (يريدون أن يطفئوا)، يقصدون إطفاء نور الله.

وفي قوله: (ليطفئوا) يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله^(٨) كالانفلاق في وجوه الخير مع أن المقصود هو الإضلال أو التسلط على الناس بغير حق. والأمر في آية التطهير كذلك أيضاً كما أوضحناه.

الأولوية القطعية ومفهوم الموافقة:

من الأمور التي لا يجهلها أحد: أن الأولوية القطعية هي من الظهورات اللفظية التي جرى عليها القرآن، كما جرى عليها أهل اللسان في محاوراتهم، وبيان مراداتهم.

والأولوية القطعية، ومفهوم الموافقة هذا موجود هنا أيضاً، ويدل على عصمة (أهل البيت) (عليهم السلام) بشكل قاطع ونهائي.

التوضيح بالمثال:

وتوضيح ذلك بالمثال على النحو التالي:

إنه إذا كان ثمة رجل يعزّ عليك، وتهتم بالحفاظ على مقامه، وترسيخ

١ - مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٠٥ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٥٥.

وتأكيد احترامه، فإنك ستزجج كثيراً إذا رأيت ولده أو غيره ممن ينتسب إليه يرتكب بعض المخالفات التي تسيء إلى سمعة أبيه، وتدفع بالناس إلى توجيه النقد إلى ذلك الأب، ولسوف تردع ذلك الولد عن فعله ذاك؛ بهدف الحفاظ على كرامة الأب، وسمعته.

أما الولد نفسه، فقد لا يكون واقعاً في دائرة اهتماماتك أصلاً، بحيث لو لم يكن ابناً لذلك الرجل لما تعرضت له، ولما وجدت الدافع القوي في نفسك لأمره ولا لنهيه.

والحال في الآيات الشريفة من هذا القبيل، فإن الرجس ليس في أهل البيت، بل هو في غيرهم، فالله إنما يأمر وينهى نساء النبي الأكرم (ﷺ)، لأن مخالفتهم سوف تنعكس سلباً على أهل بيت الرسالة أنفسهم. ف (أهل البيت) هم الأهم ولا يريد الله سبحانه أن يناههم أدنى رجسٍ أو هناة، ولو على سبيل النسبة المجازية، ولو من طرف خفي، كما لو كان ذلك الرجس صادراً ممن ينسبون إلى ذلك البيت نسبة مجازية، كما تقدم عن أهل اللغة عن زيد بن أرقم، وأوضحه الرسول (ﷺ) في حديث الكساء.

وهذا هو غاية الاهتمام بـ (أهل البيت)، وهو يقع في سياق شمولهم بالعنايات والألطفات الإلهية، والتوفيقات الربانية.

ومعنى ذلك كما قلنا: أن الدلالة على الاهتمام الإلهي بطهر (أهل البيت)، وعدم لحوق أي رجس بهم أولاً وبالذات، لسوف تكون أشد وأعظم وأهم، وأكد وأتم.

ثم إنه إذا كان الله تعالى يريد أن يذهب حتى الرجس الذي ينسب إلى (أهل البيت) (عليهم السلام)، ولو بالعرض والمجاز، فإنه يريد إذهاب ما يلحق بهم (عليهم السلام) أولاً وبالذات بطريق أولى؛ فنستفيد، بمفهوم الموافقة والأولوية القطعية: أن الله سبحانه قد طهرهم ونزههم فعلاً عن الرجس، لاسيما وأن المقام مقام تعظيم لبيت النبوة، وهو يدخل في نطاق خطة إلهية، تعمل على إبعاد الرجس بكل حالاته ومجالاته، حتى ما كان منه ليس لهم فيه أي اختيار، بأن كان صادراً عن أشخاص آخرين كالزوجات.

فإذا كان الله سبحانه يبادر للمنع من حصول هذا، حتى ليقرر للزوجات ضعفي العذاب، والثواب لو بدرت منهن أية بادرة، فإن ذلك يكشف عن تصميم إلهي أكيد على أن لا يلحق (أهل البيت) أنفسهم رجس أصلاً، لا أولاً وبالذات ولا ثانياً وبالعرض.

ومما يشير إلى أن الأهمية إنما هي لأهل بيت النبوة لا للزوجات . بل هنّ كغيرهن من بني الإنسان، ما ألحت إليه الآيات التي سبقت الآيات التي هي مورد البحث والتي تحدثت عن أن الله تعالى قد أمر نبيه بأن يخير زوجته بين الحياة الدنيا وزينتها، فيمتعن النبي (صلى الله عليه وآله)، ويسرحهن سراحاً جميلاً.. وبين الله ورسوله، والدار الآخرة، فإن الله . والحالة هذه . قد أعد للمحسنات منهن أجراً عظيماً.

فهذا التخيير يشير إلى أنه ليس للزوجات أهمية مميزة، وترجيح خاص لهن، بل هن عبء على غيرهن. والمطلوب في الآية التخلص منه.

وفي الآية أيضاً إشارة إلى أن اللواتي يختزن الله ورسوله قد كن على

قسمين: محسنات وغير محسنات.

أضف إلى ذلك: أن السورة نفسها قد ذكرت بعد ذلك: أن النبي (ﷺ) كان بالخيار بين أن يرحي من يشاء منهم، وأن يؤوي إليه من يشاء.

فكل ذلك يشير بوضوح: إلى أن الأهمية الباعثة على تسجيل الموقف هنا إنما هي للنبي (ﷺ)، وأهل بيت النبي (ﷺ) بما هو نبي وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام): إِنَّا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ، وَمَعْدَنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ.

وبيت النبوة له حالات وشؤون يجب مراعاتها وهناك تكاليف ومسؤوليات تجاهه يجب الالتزام بها. خصوصاً من قبل الزوجات وليس المراد (أهل البيت) بمعنى السكن ولا (أهل البيت) بمعنى العشيرة..

وقد أكد ذلك حين اختار أن يخاطبه بالقول: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ). ويخاطبهن بالقول: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ). ولم يقل: يا نساء الرسول، أو نحو ذلك. ولم يقل: أيتها النساء، أو يا مُجَدِّ، حتى لا يفهم الأمر على أنه حديث معه كشخص من الناس. أو يقال: إن الهدف هو الحفاظ على ثقة الناس به وانقيادهم له كرسول، من خلال سلوك زوجاته.

كل ذلك يدل: على أن الأمر والزجر للزوجات لا لخصوصية وامتياز ذاتي لهن، إذ قد ظهر من الآيات أنه يعاملهن معاملةً عادية جداً.

بل الخصوصية هي للنبي (ﷺ)، بما هو نبي، وهي التي توجب الحفاظ عليه، ولأجل ذلك قرر سبحانه أن يكون العذاب والثواب لزوجاته. أي هذا النبي بما هو نبي. ضعفين في صورة المخالفة والموافقة،

حتى إنهن إذا خرجن عن صفة الزوجية للنبي بما هو نبي، فإنهن كما دلت عليه آية التخيير يصبحن كسائر النساء الأخريات.

ولأجل ما ذكرناه بالذات كان التهديد الإلهي للتين تظاهرتا على النبي (ﷺ) بالطلاق، ثم ضرب لهن مثلاً بامرأتَي نوح ولوط، وما كان لهما من المصير الذي انتهتا إليه.

هذا.. ونلاحظ أخيراً: أن القرآن قد تحدث في موارد متعددة عن زوجات الرسول بطريقة تُظهر أنهن لسن في منأى عن ارتكاب الذنب، فلنلاحظ آيات سورة الأحزاب، والطلاق، والتحريم.

وقد حكى سبحانه عن صدور مخالفات كبيرة من بعضهن، ولم يمنع من صدور المزيد من ذلك في المستقبل، كما قد حصل ذلك بالفعل ممن خضن منهن حروباً قتلت فيها الألوف من النفوس المسلمة والبريئة، دونما سبب معقول، أو مقبول.

أما (أهل البيت) فقد تحدث الله تعالى عنهم في هذه الآية، وعلى لسان نبيه في عشرات المواقع والمواضع بطريقة مبينة تماماً، لحديثه عن الزوجات، فأوضح أن الله سبحانه قد عصمهم وطهرهم، كما أنه (ﷺ) قد جعلهم بأمر الله عدلاً للقرآن، وسفينة للنجاة، والعروة الوثقى، إلى غير ذلك مما يظهر بملاحظة النصوص المشهورة والمتواترة، والتي تفوق حد الحصر والعد.

وبذلك كله ظهر: أنه تعالى يريد بأوامره للزوجات أن يتوسل إلى إذهاب الرجس عن (أهل البيت)، وقد جاء التعبير بالإذهاب لا بالإزالة

ربما ليشير إلى أن الرجس ليس فيهم وإنما في غيرهم وهو يتوجه إليهم عن طريق ذلك الغير، لأن حلوله في غيرهم (كالزوجات) يهئ لنسبته إليهم بالعرض والمجاز خصوصاً وأن النبي المعصوم بالقطع واليقين من جملتهم..
الإرادة التشريعية:

ومن المعلوم: أن الإرادة على نحوين:

تكوينية: وهي التي تتعلق بفعل المرید نفسه، أي بتكوين الشيء وإيجاده. كالإرادة الإلهية التي تعلق بإيجاد الزرع والشجر والشمس والقمر.

وتشريعية: وهي التي تتعلق بفعل الغير، على أن يصدر العمل منه باختياره.

وقد اتضح مما تقدم: أن الإرادة الملحوظة في الآيات أولاً وبالذات. لم تتعلق بإزالة الرجس مباشرة لكي تكون إرادة تكوينية، بل هي إرادة تشريعية تعلقت بأوامر وزواجر موجهة إلى زوجات الرسول الأكرم (ﷺ).
وهي إرادة منبثقة عن إرادة أخرى. سيأتي الحديث عنها إن شاء الله. تعلقت بإذهاب الرجس عن (أهل البيت)، وتطهيرهم إلى درجة العصمة. والإرادة الأولى قد دلت عليها الآية صراحة، أما الإرادة الثانية فقد دلت عليها بمفهوم الموافقة، والأولوية القطعية.

الإرادة التشريعية أولى وأدل:

ولاشك في أن الإرادة التشريعية أشد وأكد، وأكثر رسوخاً وجدياً من إرادة التكوين، في دلالتها على عظيم فضل (أهل البيت) (عليهم السلام)

وذلك لأن الله سبحانه وهو في مقام جلاله وعزته يهتم بأن لا يلحق بيت النبوة . لا العشيرة ولا بيت السكنى . وهم الخمسة أصحاب الكساء أدنى شيء يوجب حزاة وإساءة إليهم ولو من طرف خفي ولو بالانتساب المجازي إليهم، بل هو يضع أحكاماً إلزامية يلزم بها أناساً آخرين ليسوا منهم بل لهم بهم علقة عرضية بسبب مصاهرة توجب الاختلاط بهم. فيأمر أولئك الأغيار وبنهاهم ثم يعاقبهم على مخالفة أوامره وزواجه فذلك يكشف عن درجة الاهتمام بأولئك الناس الذين يريد الحفاظ عليهم.

أما لو كانت الإرادة تكوينية وقد تعلقت بإذهاب الرجس عنهم فإنها لا تدل على عظيم فضلهم عنده، إذ لو فرضنا أن إرادة التكوين قد تعلقت بخلق شيء بعينه فإن ذلك لا يدل على عظمة ذلك المخلوق.

وإرادة خلق الذباب لا تدل على عظمة الذباب، بل تدل على الحاجة إليه. كما أن حاجتنا إلى سائق سيارة لا تدل على عظمة ذلك السائق ولا على قداسته نعم قد يكون لذلك السائق قداسته لأسباب أخرى غير مجرد كونه سائقاً.

والأمر هنا كذلك، فإنه حينما يشرع الأمر والنهي لأناس آخرين ويبيّن أنه يضاعف العقاب على المخالفة من أجل الحفاظ على غيرهم فإن العظمة لذلك الغير تصبح ظاهرة ولا حاجة إلى الاستدلال عليها بأكثر من ذلك. بل قد يقال: لو كانت الإرادة في الآية تكوينية تتعلق بإزالة الرجس عنهم فإن ذلك قد يكون على العجز والضعف أدل، لدالتها على الحاجة إلى التدخل الإلهي للمساعدة، وهذا التدخل كما يمكن أن يكون للتكريم،

كذلك يمكن أن يكون لظهور الحاجة والضعف.

الخبر الصادق والشهادة الإلهية:

والحاصل: أن الآية تتضمن إخباراً عن أن الله سبحانه يعرَى (أهل البيت)، ويريد تطهيرهم من كل رجس، حتى ما كان منه ثانياً وبالعرض.

وذلك يعني: أنهم قد حصلوا على الطهارة التامة بالفعل، فاستحقوا منه هذه العناية التامة وهذا التكريم العظيم فاختصاصهم بهذه العناية الإلهية يتضمن إخباراً صادقاً، وشهادة إلهية^(١) بأنهم حاصلون على مزية الطهر، ونفي الرجس، دون كل من عداهم، إلى درجة العصمة التي صرح بها الرسول الأكرم (ﷺ) - مستشهداً بهذه الآية (آية التطهير) بالذات حيث قال: (فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب)^(٢).

وفي دعاء عرفة يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): (وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك، وجعلتهم الوسيلة)^(٣).

١ - وقد نص على أنها تضمنت شهادة إلهية بالطهارة أمير المؤمنين (عليه السلام) " في خطابه لأبي بكر في أمر فدك، فراجع: علل الشرايع ج ١ ص ١٩١ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٢٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٦ و ١٥٧ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

٢ - ستأتي مصادر هذه الحديث في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

٣ - راجع الصحيفة السجادية الدعاء رقم ٤٧ .

طريقان آخران: الإلتفات والإعتراض:

ولو سلمنا: أن الآيات تخاطب النساء مباشرة، لا بواسطة رسول الله (ﷺ)، فهناك طريقان آخران لبيان اختصاص آية التطهير بالخمسة أصحاب الكساء، وهما:

١. الإلتفات:

فإن الإلتفات هو من الأساليب البيانية، التي جرى عليها الناس في محاوراتهم. وهو يعطي الكلام جمالاً، ورونقاً، وإشراقاً. وله أيضاً فوائد جليلة لأنه يشد السامع، ويشير انتباهه، ويجعله يتطلع لمعرفة هذا الجديد، وإلى سماع المزيد.

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب في كثيرٍ من الموارد، حتى في فاتحة الكتاب، كما تقدم، وكما يكون الإلتفات من الغيبة للخطاب كما ورد في سورة الفاتحة، أو عكسه كذلك قد يكون من شخص لآخر كما في قوله تعالى: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ) ^(١).

وحكمة هذا الإلتفات في آية التطهير: هو الإشارة إلى أن تأديب الزوجات إنما هو من توابع إذهاب الرجس والدنس عن (أهل البيت)،

١ - الآية ٢٩ من سورة يوسف.

وإكراماً لهم حتى لا يلحقهم بسببهن وصمة أو عيب^(١).

٢ . الاعتراض:

ولنا أن نعتبر قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ..) جملة اعتراضية، إذا صححنا ورود الاعتراض في آخر الكلام، أو اعتبرنا الآيات سابقاً ولاحقاً كلهما ذات وحدة واحدة، جاءت الجملة الاعتراضية فيما بينها؛ للإشارة إلى حيثيات ودوافع الحكم الوارد في الفقرات السابقة واللاحقة. وهذا الاعتراض ليس فقط قد جاء معقولاً ومقبولاً، بل هو راجح ومطلوب، بل ضروري أيضاً؛ لحكمة ونكتة، وهي بيان هذا الأمر الهام والخطير، أعني أن الإرادة الإلهية قد تعلقت بتطهير (أهل البيت)، ثم هو لبيان الفرق الشاسع بين أهل بيته الحقيقيين، وبين الزوجات اللواتي لا يصح توهم أنهن في مستوى أهل بيت النبوة في العصمة والطهارة.

وبعد هذا فإن الجمل الاعتراضية كثيرة في القرآن، وقد قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ)^(٢).

١ - راجع: ففحات اللاهوت ص ٨٥ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٧٢ والصوارم المهركة للتستري ص ١٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢ ص ٥٦٩.

٢ - الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة يوسف.

وقال تعالى: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) ^(١).

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا..).

إلى أن قال: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) ^(٢).

وأمثال ذلك في القرآن ليس بعزيز.

مخالفة السياق لأجل القرينة:

ولنفترض: أن السياق القرآني يؤيد كون الخطاب للنساء، فإن رفع اليد عن الظهور السياقي، الذي هو أضعف الظهورات، لأجل وجود قرينة بل قرائن داخلية وخارجية على خلافه، ليس فيه أي محذور. ويكفي من القرائن الخارجية على ذلك روايات حديث الكساء المتواترة. أما القرائن في الآيات نفسها، فقد ذكرنا بعضها في كتابنا: أهل البيت في آية التطهير. فراجع.

١ - الآية ٧٦ من سورة الواقعة.

٢ - الآيات ١٣ - ١٦ من سورة لقمان.

وليراجع حول الإلتزام بالإستطراد والإعتراض: تفسير القمي ج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٤ والكلمة الغراء (مطبوع مع الفصول المهمة) ص ٢١٣ - ٢١٤ ونهج الحق (هامش) ص ١٧٤.

موقع الإرادة التكوينية:

ولكن ذلك كله لا يعني أن الإرادة التكوينية في نطاق الألفاظ والتأييد والتسديد، محظورة الحضور في دلالات الآية المباركة وإشاداتها. فإنها، وإن لم توفق للقاء بما نشاهد لها ظهوراً قوياً في نطاق الدلالة المباشرة إلا أننا نجد لها حاضرة بوضوح في الإشارات غير المباشرة، فإن المقام مقام شريف والتعظيم والتكريم، والتأكيد التام على الطهارة الواقعية، وحصرها بأهل البيت بالإستفاد من كلمة (إنما)، وبالتصريح بالإرادة الإلهية، وتأكيد ذلك بالمفعول المطلق، المنون بتنوين التعظيم، أو التنكير الهادف إلى تعميم الطهارة مورد مورد. وبالإستفادة أيضاً من اللام في كلمة (ليذهب) وبغير ذلك.

الإرادة التكوينية لا تنافي الإختيار:

وكل ما تقدم من إشارات إلى الإرادة التكوينية يحتم علينا المزيد من التوضيح لها، لكي لا يتوهم أحد أنها تؤدي إلى الإعتقاد بالجبر الإلهي الذي لا مجال للقبول به.

ونستطيع أن نزيد في توضيح المراد من الإرادة التكوينية هنا، فنقول:

إن الله تعالى حين أفاض الوجود على المخلوقات، كانت هذه الصفوة تسعى إلى الحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من ملكات، وميزات وأحوال، تمكنها من الوصول إلى أعلى مقامات القرب والزلفى من الله سبحانه وتعالى. ولم ترد شيئاً غير ذلك، فأفاض سبحانه عليها، ما استحقت الحصول عليه بسعيها، بتحقيق عبوديتها التامة لله تبارك وتعالى..

ولم يقف الأمر بهم عند هذا الحد، بل وظفوا هذه العطايا والألطف، والنعيم، والملكات والسجايا، والتوفيقات، والإمدادات الغيبية في الحصول على المزيد، شكراً و عرفاناً منهم لله، واعتداداً بفواضله.. فكان لهم المزيد على قاعدة: .. (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) ^(١)، و (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ^(٢)، و (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ^(٣).

ومن الواضح: أن هذه الإرادة التكوينية لإعطاء النعم، والمزايا والملكات والسجايا والألطف تابعة لما اختاروه هم، وهم لا يختارون إلا ما هو خير وصلاح وفلاح ونجاح..

وهذا هو مراد من قال: إن الإرادة في آية التطهير تكوينية لا تشريعية.. ولا يريد به: أن العصمة مخلوقة فيهم، ومفروضة عليهم بصورة جبرية، يفقدون معها الاختيار والقدرة على المخالفة والموافقة..

بل المراد فيما يبدو: أن فطرتهم السليمة وإدراكهم العميق لمساوئ المخالفة، وحسن الطاعة يجعل المخالفة بالنسبة إليهم بمثابة إقدام العاقل المتوازن على شرب السم، من العارف به وبآثاره. ويجعل الطاعة بمثابة التخلي عن أعظم النعم والملذات من دون مبرر،

١ - الآية ١٧ من سورة محمد.

٢ - الآية ٧ من سورة إبراهيم.

٣ - الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

وهذا لا يصدر عن عاقل، فكيف بأعقل البشر وأعدلهم مزاجاً، وأصفاهم نفساً، وأطهرهم روحاً؟!!

خلاصة وبيان:

إن هناك إرادة تشريعية في الآية، وقد تعلقت بالأوامر والزواجر الموجهة إلى زوجات رسول الله (ﷺ)، وهو ما تعلقت به كلمة: **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ)**.

وهي منبثقة عن إرادة تكوينية تعلقت بإبعاد الرجس عنهم، والتطهير لهم. ونستفيد هذه الثانية بالدلالة عليها بمفهوم الموافقة، المستند إلى الإشعار بها من خلال نسبة إذهاب الرجس والتطهير في قوله تعالى: **(لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ)** و **(وَيُطَهِّرَكُمُ)** إلى الله سبحانه. لأن الفاعل لكلا الفعلين المذكورين إنما هو ضمير عائد للفظ الجلالة المتقدم في: **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ)**.. بالإضافة إلى إشارات أخرى دللتنا عليها.

ولكن هذه الإرادة التكوينية له تعالى، إنما تعلقت بإبعاد الرجس وبالتطهير. ولم تتعلق بنفس الفعل الصادر عن (أهل البيت)؛ حيث إنه تعالى لم يقل: يريد الله أن يجعلكم تفعلون هذا وتجتنبون ذلك مثلاً؛ لتكون إرادتهم مقهورة لإرادته سبحانه تعالى التكوينية.

بل تعلقت بإبعاد الرجس عنهم، بتوجيه الأوامر والنواهي لغيرهم إكراماً لهم، مع إبقاء إرادتهم حرة طليقة، من دون أدنى تعرض لها. بل قد صرف النظر عنها بالكلية.

فصل السابع:

الاسم الأكبر .. وأدعية علي (عليه السلام) ..

أعرابي يدعو بالإسم الأكبر:

عن خالد بن ربيعي قال: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل مكة في بعض حوائجه، فوجد أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا صاحب البيت، البيت بيتك، والضيف ضيفك. ولكل ضيف من ضيفه قرى، فاجعل قرابي منك الليلة المغفرة.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) لأصحابه: (أما تسمعون كلام الأعرابي)؟!

قالوا: نعم.

فقال: الله أكرم من أن يرد ضيفه.

فلما كانت الليلة الثانية وجده متعلقاً بذلك الركن وهو يقول: يا عزيزاً في عزك، فلا أعز منك في عزك، أعزني بعز عزك في عز لا يعلم أحد كيف هو، أتوجه وأتوسل إليك، بحق محمد وآل محمد عليك، أعطني ما لا يعطيني أحد غيرك، واصرف عني ما لا يصرفه أحد غيرك.

قال: فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) لأصحابه: هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية، أخبرني به حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، سأله الجنة فأعطاه، وسأله صرف النار وقد صرفها عنه.

قال: فلما كانت الليلة الثالثة وجدته وهو متعلق بذلك الركن، وهو يقول: يا من لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، بلا كيفية كان، ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم.

قال: فتقدم إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: يا أعرابي سألت ربك القرى فقراك، وسألته الجنة فأعطاك، وسألته أن يصرف عنك النار وقد صرفها عنك، وفي هذه الليلة تسأله أربعة آلاف درهم؟!!

قال الأعرابي: من أنت؟!!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال الأعرابي: أنت والله بغيبي، وبك أنزلت حاجتي.

قال: سل يا أعرابي.

قال: أريد ألف درهم للصدّاق، وألف درهم أقضي به ديني، وألف درهم أشتري به داراً، وألف درهم أتعيش منه.

قال: أنصفت يا أعرابي، فإذا خرجت من مكة فاسأل عن داري بمدينة الرسول.

فأقام الأعرابي بمكة أسبوعاً، وخرج في طلب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مدينة الرسول، ونادى: من يدلني على دار

أمير المؤمنين علي؟!!

فقال الحسين بن علي من بين الصبيان: أنا أدلك على دار أمير المؤمنين، وأنا ابنه الحسين بن علي.

فقال الأعرابي: من أبوك؟!!

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال: من أمك؟!

قال: فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

قال: من جدك؟!

قال: رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

قال: من جدتك؟!

قال: خديجة بنت خويلد.

قال: من أخوك.

قال: أبو محمد الحسن بن علي.

قال: لقد أخذت الدنيا بطرفيها، امش إلى أمير المؤمنين وقل له: إن الأعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب.

قال: فدخل الحسين بن علي (عليه السلام)، فقال: يا أبة، أعرابي بالباب، يزعم أنه صاحب الضمان بمكة.

قال: فقال: يا فاطمة، عندك شيء يأكله الأعرابي؟!

قالت: اللهم لا.

قال: فتلبس أمير المؤمنين (عليه السلام) وخرج، وقال: ادعوا لي أبا عبد الله سلمان الفارسي.

قال: فدخل إليه سلمان الفارسي، فقال: يا با عبد الله، أعرض الحديقة التي غرسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي على

التجار.

قال: فدخل سلمان إلى السوق وعرض الحديقة، فباعها باثني عشر ألف درهم. وأحضر المال، وأحضر الأعرابي، فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهماً نفقه.

ووقع الخبر إلى سؤال المدينة فاجتمعوا، ومضى رجل من الأنصار إلى فاطمة (عليها السلام) فأخبرها بذلك، فقالت: آجرك الله في ممشاك.

فجلس علي (عليه السلام) والدراهم مصبوبة بين يديه حتى اجتمع إليه أصحابه، فقبض قبضة قبضة، وجعل يعطي رجلاً رجلاً، حتى لم يبق معه درهم واحد.

فلما أتى المنزل قالت له فاطمة (عليها السلام): يا ابن عم، بعت الحائط الذي غرسه لك والدي؟!!

قال: نعم، بخير منه عاجلاً وأجلاً.

قالت: فأين الثمن؟!!

قال: دفعته إلى أعين استحيت أن أذها بذل المسألة قبل أن تسألني.

قالت فاطمة: أنا جائعة، وابنائي جائعان، ولا أشك إلا وأنتك مثلنا في الجوع، لم يكن لنا منه درهم؟!!

وأخذت بطرف ثوب علي (عليه السلام)، فقال علي (عليه السلام): يا فاطمة، خليني.

فقالت: لا والله، أو يحكم بيني وبينك أبي.

فهبط جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

فقال: يا مُحَمَّد، السلام يقرؤك السلام، ويقول: اقرأ علياً مني السلام، وقل لفاطمة: ليس لك أن تضربي علي يديه.
فلما أتى رسول الله (ﷺ) منزل علي وجد فاطمة ملازمة لعلي (عليه السلام)، فقال لها: يا بنية ما لك ملازمة لعلي؟!
قالت: يا أبة، باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر ألف درهم، لم يحبس لنا منه درهماً نشترني به طعاماً.
فقال: يا بنية، إن جبرئيل يقرؤني من ربي السلام، ويقول: اقرأ علياً من ربه السلام، وأمرني أن أقول لك: ليس لك أن تضربي علي يديه.

قالت فاطمة (عليها السلام): فإني أستغفر الله، ولا أعود أبداً.
قالت فاطمة (عليها السلام): فخرج أبي (ﷺ) في ناحية وزوجي في ناحية، فما لبث أن أتى أبي ومعه سبعة دراهم سود هجرية، فقال: يا فاطمة، أين ابن عمي؟!
فقلت له: خرج.

فقال رسول الله (ﷺ): هاك هذه الدراهم، فإذا جاء ابن عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً.
فما لبثت إلا يسيراً حتى جاء علي (عليه السلام)، فقال: رجع ابن عمي، فإني أجد رائحة طيبة؟!
قالت: نعم، وقد دفع إلي شيئاً تبتاع به لنا طعاماً.
قال علي (عليه السلام): هاتيه، فدفعت إليه سبعة دراهم سوداً هجرية،

فقال: بسم الله، والحمد لله كثيراً طيباً، وهذا من رزق الله عز وجل، ثم قال: يا حسن قم معي، فأتيا السوق فإذا
هما برجل واقف وهو يقول: من يقرض المليّ الوفي؟!
قال: يا بني نعطيه؟!
قال: إي والله يا أبة.
فأعطاه علي (عليه السلام) الدراهم.
فقال الحسن: يا أبتاه، أعطيتته الدراهم كلها؟!
قال: نعم يا بني، إن الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير.
قال: فمضى علي بباب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة، فقال: يا علي اشتر مني هذه الناقة.
قال: ليس معي ثمنها.
قال: فإني أنظرك به إلى القبض.
قال: بكم يا أعرابي؟!
قال: بمائة درهم.
قال علي: خذها يا حسن.
فأخذها، فمضى علي (عليه السلام)، فلقيه أعرابي آخر، المثل واحد، والثياب مختلفة، فقال: يا علي تبيع الناقة؟!
قال علي: وما تصنع بها؟!
قال: أغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك.

قال: إن قبلتها فهي لك بلا ثمن.

قال: معي ثمنها، وبالثمن أشتريها، فبكم اشتريتها؟!!

قال: بمائة درهم.

قال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم.

قال علي (عليه السلام): خذ السبعين والمائة، وسلم الناقة.

والمائة للأعرابي، الذي باعنا الناقة، والسبعين (!!) لنا نبتاع بها شيئاً.

فأخذ الحسن (عليه السلام) الدراهم وسلم الناقة.

قال علي (عليه السلام): فمضيت أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها.

فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالساً في مكان لم أراه فيه قبل ذلك ولا بعده، على قارعة الطريق، فلما نظر النبي

(صلى الله عليه وسلم) إليّ تبسم ضاحكاً حتى بدت نواجذه.

قال علي (عليه السلام): أضحك الله سنك، وبشرك بيومك.

فقال (صلى الله عليه وسلم): يا أبا الحسن، إنك تطلب الأعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه الثمن؟!!

فقلت: إي والله فداك أبي وأمي.

فقال: يا أبا الحسن، الذي باعك الناقة جبرئيل، والذي اشتراها منك ميكائيل، والناقة من نوق الجنة، والدراهم

من عند رب العالمين عز وجل،

فأنفقها في خير، ولا تخف إقتاراً^(١).

ونقول:

تضمنت هذه الرواية أموراً عديدة تحتاج إلى بيان، نذكر بعضها فيما يلي من عناوين:

هذا في عهد الرسول (ﷺ):

تضمنت الرواية المتقدمة تصريحات ودلالات عديدة، على أن هذا قد جرى في أواخر عهد رسول الله (ﷺ).. وفي حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام). وحيث كان الإمام الحسن (عليه السلام) قادراً على التصرف. وكذلك الحسين (عليه السلام) الذي ولد في السنة الرابعة للهجرة، فإنه هو الذي أوصل الأعرابي إلى أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام). الاسم الأكبر:

ذكرت الرواية: أن علياً (عليه السلام) قال: إن ما دعا به الأعرابي هو الاسم الأكبر.. وقد أجهم علينا مراده (عليه السلام) بهذا من جهات:

إحداها: هل المراد بالاسم الأكبر هو الاسم الأعظم؟! أم هو تعبير عن

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٤٠ - ٤٧٠ والأمال للصدوق المجلس ٧٧ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٥٥٣ - ٥٥٧ وروضة الواعظين ص ١٢٤ - ١٢٦ وحرية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٧ ومدينة المعاجز ج ١ ص ١١٣ - ١١٩ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

معنى آخر غيره؟!

الثانية: هل أراد بالاسم الأكبر خصوص ما دعا به في الليلة الثانية؟! أم هو بالإضافة إلى ما دعا به في الليلة الأولى؟!

كلاهما محتمل. وإن كنا نستظهر أن المقصود هو ما دعا به في الليلة الثانية.

الثالثة: هل الاسم الأكبر بالسريانية يختلف عن الذي بالعربية، أو غيرها من اللغات أم هو نفسه؟! وإذا كان يختلف عنه، فلماذا اختلف؟! وبماذا؟!

الرابعة: هل المراد بالاسم الأكبر أو الأعظم اسماً خاصاً تضمنه بعض العبارات بعينه، وشخص؟!

أو المراد أنها تحكي عن بعض وجوه معناه، ولو بعبارات تختلف وتتفاوت في الوضوح والخفاء في التعبير والكتابة عن المراد من لغة لأخرى ومن مورد لأخر؟! والشاهد على هذا المعنى الأخير أن الدعاء قد تضمن الاسم الأكبر هنا، وتضمن توسلاً إلى الله سبحانه بحق محمد وآل محمد..

الخامسة: لا ندري من أين عرف ذلك الأعرابي الاسم الأكبر؟! فهل هو قد جرى على لسانه بصورة عفوية، ومن دون معرفة تفصيلية له؟!

أم أن الأعرابي لم يكن رجلاً عادياً، بل هو رجل من أهل الله تبارك وتعالى. أرسله الله تعالى إلى علي (عليه السلام) ليكون السبب تعريف الناس بالاسم الأكبر، وبأهمية الدعاء في تحقيق أعظم النتائج. وفي حصول ما حصل؟!

بحق مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عليك:

وقد قال الأعرابي وهو يدعو بالاسم الأكبر: (أتوجه إليك، وأتوسل إليك، بحق مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عليك، أعطني إلخ..).

فقد يثير البعض إشكالاً هنا، فيقول: ليس لأحد حق على الله تعالى، لا مُحَمَّد ولا غيره، بل الله تعالى له حق على جميع البشر بما فيهم الأنبياء والأوصياء، ومنهم مُحَمَّد (ﷺ)، وأهل بيته الطاهرون (عليهم السلام).. ونقول:

يبدو أن ثمة اشتباكاً في المراد من الحق، فتخيل هذا المعترض: أن المراد به ما يشبه حق الوالد على الولد، والخالق على المخلوق، وليس للنبي وأهل بيته صفة الخالقية ولا الوالدية..

مع أن هذا ليس هو المراد. بل المراد الحق الذي يكون للمخلوق على خالقه، وللولد على والده.. فإن من حق الولد على والده مثلاً: أن يعلمه القرآن، وأن يسميه بالاسم الحسن، وأن يكنيه. وأن يربيه تربية صالحة، وأن يعوله.. وأن.. وأن..

وحق المخلوق على خالقه هو ما قرره الله سبحانه له من حقوق عليه، كل بحسبه فلا يظلمه، ولا يحمله وما لا يطيق، وأن يهيئ له أسباب الهداية والرشاد، وأن يقبل توبته، وأن يستجيب دعاءه الجامع لشرائط الإستجابة، وغير ذلك.

أما إذا كان هذا العبد نبياً، أو وصياً، باذلاً نفسه في ذات الله، فإن ما

وعده الله به، وما تكفل تعالى به له، وما أخذ على نفسه أن يستجيب له فيه لا بد أن يتناسب مع واقع ذلك النبي، ومنزلته عنده تعالى، وقربه منه، ولذلك يكرمه الله تعالى بأن يشفعه في الخلائق، ويقضي حاجاتهم إكراماً له، ويشفي مرضاهم من أجله.. و.. و.. إلخ..

وفي دعاء أبي حمزة: (إلهي إن أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك، وإن أدخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك. وأنا والله أعلم أن سرور نبيك أحب إليك من سرور عدوك).

وكمثال على ذلك نذكر: أنه لو كان لأحدهم عدة بنين، وكان فيهم الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، فإنه يرى أن عليه أن يستجيب للصالح المطيع المرضي عنده بأضعاف ما يرى أن عليه أن يستجيب فيه للولد العاق والعاصي.

ويتفاوت أولاده عنده في هذا بتفاوت مراتب طاعتهم وصلاتهم.

ولذلك جاء في الدعاء أيضاً قوله: (بحقهم عليك، وبحقك العظيم عليهم).

وفي دعاء أبي حمزة: (لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك).

علي (عليه السلام) يقول: استجاب الله للأعرابي:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن علياً (عليه السلام) أخبر الأعرابي: أن الله تعالى غفر ذنوبه، وأعطاه الجنة، وصرف عنه

النار..

مع أنه (عليه السلام) كان في تلك الأيام في ظل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فدل ذلك على أنه (عليه السلام) قد اطلع إما من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إن كان (صلى الله عليه وآله) في مكة آنذاك، أو إن كان (صلى الله عليه وآله) قد أخبره بهذه الواقعة قبل حدوثها. أو أن له طرقاً أخرى للمعرفة بهذه الأمور، وليس في الرواية ما يمكن أن نستدل به على أي من هذين الأمرين..

موعدنا المدينة:

وقد وعد علي (عليه السلام) ذلك الأعرابي: بأن يلبي مطالبه في المدينة، لأنه لم يكن لديه في مكة ما يمكنه أن يتصرف فيه ببيع ولا بغيره، ليقضي حاجة ذلك الأعرابي..

أما في المدينة فكانت له حديقة يمكنه أن يبيعها ليستفيد من ثمنها في هذا السبيل، وهكذا كان..

الحسين بن علي (عليه السلام) بين الصبيان:

تقول الرواية: إن الحسين (عليه السلام) أجاب الأعرابي من بين الصبيان بقوله: أنا أدلك على دار أمير المؤمنين (عليه السلام)..

فقد يوهم هذا التعبير: أن الحسين (عليه السلام) كان يلعب مع الصبيان.. وهذا لا يتلاءم مع مقام الإمامة الذي يدعيه له الشيعة.

ونجيب:

إن حضوره بين الصبيان، لا يعني أنه يجارهم في لعبهم، ويفعل

كفعلهم. فقد تحضر الأم أو المعلمة أو المعلم، أو حتى طفل آخر بين الصبيان ليراقب عملهم، أو ليوجه حركتهم في الإتجاه التربوي أو التعليمي الصحيح، وإن كانوا هم يمارسون حركاتهم تلك، من دون هدف لهم فيها سوى اللعب. فهي لعب بنظرهم، ومن حيث هدفهم منها، وهي توجيهه، وصلاح وتعليم بنظر معلمهم، وما يتوخاه من توجيههم إليها.. وهي منشأ للفكرة والعبرة.. للناظر المراقب لها.

من أبوك؟! من أمك?!:

ورغم أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد أخبر الأعرابي بأنه ابن أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولكن الأعرابي عاد ليسأله مرة أخرى: من أبوك؟! ثم سأله: من أمك?!

ولعل سبب ذلك: أن قول الإمام الحسين (عليه السلام): أنا ابنه، ليس صريحاً فيما يريد الأعرابي أن يتوصل إليه، فإنه قد يكون على سبيل التوسع في الإطلاق. حيث يراد منه الابن المباشر تارة، والابن الذي هو من جملة الذرية أخرى. وربما يطلق على الابن بالتربية والرعاية، وما إلى ذلك.

فأراد الأعرابي أن يتوثق من المراد، وأنه ابنه المباشر. فكرر السؤال عليه، وشفعه بأسئلة أخرى تزيد من تأكيده، وتضيف إليه خصوصيات أخرى له غرض بالتعرف عليها، والتأكد منها، كما أوضحته كلمة الأعرابي أخيراً: (لقد أخذت الدنيا بطرفيها).

أما سؤال الأعرابي للإمام الحسين (عليه السلام) عن أمه، فربما كان

الهدف منه هو التأكد من اتصاله بالرسول عن طريق الأم، وليزيرل . من ثم . احتمال أن يكون قد ولد لعلي (عليه السلام) من أم أخرى غير فاطمة (عليها السلام) .

هل تعدت الزهراء (عليها السلام) الحدود؟!:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن الزهراء (عليها السلام) قد أخذت بطرف ثوب أمير المؤمنين، لكي ترفع الأمر إلى أبيها (صلى الله عليه وآله) ليحكم بينهما..

ونقول:

قال العلامة المجلسي (رحمته الله): (لعل منازعتها صلوات الله عليها إنما كانت ظاهراً لظهور فضله (صلوات الله عليه) على الناس، أو لظهور الحكمة فيما صدر عنه، أو لوجه من الوجوه لا نعرفه)^(١) .

أي أنها (عليها السلام) لم تنازعه على الحقيقة، بل هي منازعة ظاهرية أرادت بها إظهار فضل علي (عليه السلام)، أو أرادت تعريف الناس بالحكمة التي توخاها مما أقدم عليه..

ونضيف إلى ذلك: أننا نعلم أن من تصدق على المسكين واليتيم، والأسير بطعام أبنائها الصائمين، وترضى بأن لا يذوقوا شيئاً طيلة ثلاثة أيام لا يمكن تلوم علياً (عليه السلام) حين يتصدق بالدرهم على الفقراء، فإن الدرهم الذي طالبته بالإحتفاظ به لإطعامها.. لا يزيد عن أقرص

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٧ .

الشعير التي تصدقت بها في قصة نزول سورة هل أتى، ولا يزيد أيضاً في أهميته على الطعام الذي حرمت منه ولديها، وأطعمته للضيف، وباتت هي وعلي (عليه السلام) بمضغان بألسنتهما..

فلو أبقى لها علي (عليه السلام) دهماً، وجاءها يتيم أو مسكين أو أسير، هل تردهما خالي الوفاض. وتحتفظ هي بدرهما، لتأكل هي وتشبع؟!!

إن تاريخ الزهراء (عليها السلام) في الفداء والتضحية والإيثار لا يسمح لنا بأن نتصور حصول شيء من ذلك على الإطلاق.

لذلك نقول:

لا بد لنا من تأييد كلام العلامة المجلسي (رحمته الله)، ورفع مقامه.

من يقرض المملّي الوفي:

وقد لاحظنا: أن علياً (عليه السلام) حين أعطى الدراهم السبع لذلك الرجل. إنما أعطاها بموافقة ولده الإمام الحسن (عليه السلام)، ليظهر أن ولده على مثل نهجه، وأنه (عليه السلام) لا يفرض قرار الجوع على أبنائه من عند نفسه، بل تلك هي رغبتهم، وبها لذتهم وسعادتهم..

وقد أظهر الإمام الحسن وعلي (عليهما السلام) بذلك أنهما يؤثران صاحب الحاجة، ولو كان ملياً على أنفسهما، لمجرد قضاء حاجته والتوسعة عليه، حتى لو كانا هما في أشد الخصاصه..

المثال واحد والثياب مختلفة:

ولا مجال لقبول ادعاء: أن يكون علي (عليه السلام) لم يلاحظ التشابه

الظاهر فيما بين صاحب الناقة، الذي باعه إياها.. والرجل الآخر الذي اشتراها منه، حيث كان المثال واحداً، والثياب مختلفة..

والسؤال هو: كيف فسّر (عليه السلام) هذا التوافق والإختلاف بين الرجلين؟! أم أنه أجرى الأمور وفق سياقها الطبيعي على اعتبار أن الخلق قد يتشابهون إلى هذا الحد، كما هو الحال في التوأمين؟!!

أو أنه عرف سرّ القضية، ولكنه تغافل عنه، حتى يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي يفصح عنه، فإن المصلحة تكمن في هذا؟!!

يسأل الأعرابي غرضه من الشراء:

وتقدم: أنه (عليه السلام) سأل الأعرابي عن غرضه من شراء الناقة، ولا يسأل البائع المشتري عادة عن سبب شرائه للسلعة منه، فهل أراد (عليه السلام) أن يطمئن إلى أن الناقة سوف لا تكون في خدمة أغراض غير مشروعة، بل سيستفاد منها في طاعة الله؟! أو أنه عرف أن المشتري من الملائكة، وليس من البشر. فسأله عن ذلك، لأنه رأى الملائكة غير معينين بالإستفادة من الوسائل المادية في حياتهم.. وربما يكون السبب في هذا السؤال شيئاً آخر، والله هو العالم بحقيقة الحال.

أدعية علي (عليه السلام):

عن عروة بن الزبير، قال:

كنا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أخبركم بأقل القوم مالا، وأكثرهم ورعاً، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟! قالوا: من؟! قال:

قال: علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قال: فوالله، إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه.

ثم انتدب له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها.

فقال أبو الدرداء: يا قوم، إني قائل ما رأيت، وليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب (عليه السلام): بشويحطات النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد علي مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجي، وهو يقول:

إلهي، كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك. (أو حلمت عني، فقابلتها بنعمتك)، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك.

فشغلني الصوت، واقتنيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعينه، فاستترت له، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء، والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله أن قال:

إلهي، أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي.
ثم قال: آه، إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه
عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملائ إذا أذن فيه بالنداء.

ثم قال: آه، من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى.
قال: ثم أنعم (أمعن. ظ) في البكاء، فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه
لصلاة الفجر.

قال أبو الدرداء: فأتيت، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزوا، فقلت: إنا لله وإنا إليه
راجعون، مات والله علي بن أبي طالب.

قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقال فاطمة (عليها السلام): يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه ومن قصته؟!!

فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله - يا أبا الدرداء - العشيبة التي تأخذه من خشية الله.

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق. ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: مم بكائك، يا أبا الدرداء؟!
فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوتني ملائكة غلاظ، وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء، ورحمني (كذا) أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية.

فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) ^(١).

ونقول:

هنا أمور نحب لفت النظر إليها:

الأول: أبو الدرداء من حزب معاوية:

صرحت الرواية: بأن أبا الدرداء هو الذي حدث بهذا الحديث. وهذا يؤكد لنا صحته، فإن أبا الدرداء لم يكن من محبي علي (عليه السلام)، بل كان ليس فقط متعاطفاً مع بني أمية، وإنما هو - كأبي هريرة - من المتحمسين لهم. ويكفي أن نذكر: أن معاوية وولاه قضاء دمشق ^(٢). وكان يثني عليه،

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ١١ و ١٢ وح ٨٤ ص ١٩٤ والأُمالي للصدوق ص ١٣٧ وروضة الواعظين ص ١١٢ والدر النظيم ص ٢٤٢ ص ١١١ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٧٩ ومنازل الآخرة ص ٢٥٨ وراجع: مناقب آل أبي طالب ٢ ص ١٢٤ وغاية المرام ج ٧ ص ١٩.

٢ - راجع: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٦٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ = ص ٦٢١ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٦٠ وح ٥ ص ١٨٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ١٧ و ١٨ وح ٤ ص ٦٠ و (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١٢٢٩ والثقات لابن حبان ج ٣ ص ٢٨٥ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ١٥٧ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ٩٨ وفتوح البلدان للبلاذري ج ١ ص ١٦٧ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١١٥ والوافي بالوفيات ج ٢٤ ص ١٣.

ويقول: (إلا أبا الدرداء أحد الحكماء)^(١).

ويقول عنه مرة أخرى . حسب رواية ولده يزيد عنه .: (إن أبا الدرداء من الفقهاء، العلماء الذين يشفون من كل داء)^(٢).

وقد اعتزل علياً (عليه السلام) في حرب صفين^(٣).

١ - الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٤٨٣ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ق ٢ ص ١١٥ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ٣٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٠ ص ١٦٩ و تهذيب الكمال ج ٢٤ ص ١٩٢ و تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٤.

٢ - الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٦٠ والتاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ٧٧ وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٧ ص ١٢٠ و ١٣١.

٣ - الأخبار الطوال للدينوري ص ١٧٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٢٨٨ وشرح نخب البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٨ وصفين للمنقري ص ١٩٠ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٤٥١ ومستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٢٦٨ والكنى والألقاب ج ١ ص ٦٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٨٢.

الثاني: إنكار فضائل علي (عليه السلام):

وقد بينت الرواية المتقدمة مدى إصرار أولئك المجتمعين على إنكار فضائل علي (عليه السلام). فقد أعرض جميع من كان في ذلك المجلس بوجهه.. حتى انتدب رجل أنصاري لأبي الدرداء: ليعلن له موقف تلك الجماعة، وكأنه يطالبه بالشاهد على ما يدعيه..

فإذا كان هذا حال السلف الذين شاهدوا فضائل علي (عليه السلام) بأعينهم، وسمعوا أقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه، ومواقفه منه، ووعوها.. ورأوا آيات القرآن تنزل فيه، ثم هم يصرون على تجاهلها وإنكارها إلى هذا الحد، فما بالك بمن لم يسمع ولم ير، وكتمت عنه الحقائق، وربى على البغض والشنآن لعلي، وأهل بيته. هل تراه سيحبه، وسينقل شيئاً فضائله؟!

وآلا يثير العجب الذي لا ينقضي من وصول هذا الكم الهائل من فضائله (عليه السلام) إلينا، بواسطة نفس هؤلاء الشائئين له، والمنحرفين عنه؟! أليس هذا من صنع الله تعالى له (عليه السلام)؟!

الثالث: ذنوب علي (عليه السلام):

تضمنت هذه الرواية الإشارة إلى أدعية علي (عليه السلام) التي يذكر فيها الذنوب التي يصفها في دعاء كميل: بأنها تقطع الرجاء، وتنزل النقم، وتحتك العصم، وتحبس الدعاء.. ثم يطلب من الله تعالى أن يغفرها له.. مع أن المفروض هو طهارته وعصمته منها بنص آية التطهير، وبغيرها. فكيف

نفسر ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: إن الله سبحانه حين شرّع أحكامه، قد شرعها على البشر كلهم، على النبي والوصي المعصوم، وعلى الإنسان العادي غير المعصوم، وعلى العالم والجاهل، وعلى الكبير الطاعن في السن والشاب في مقتبل العمر، وعلى المرأة والرجل، وعلى العربي والأعجمي، وعلى العادل والفاسق.

فيجب على الجميع الصلاة والزكاة والحج، والصدق والأمانة، و.. الخ.. وقد رتب على كثير من التشريعات مثوبات، وعلى مخالفتها عقوبات.. ينالها الجميع، وتنال الجميع بدون استثناء أيضاً. حتى لو لم يفهموا معاني ألفاظها، ولم يدركوا عمق مراميها، كما لو كانوا لا يعرفون لغة العرب، أو كانوا أميين لم يستضيئوا بنور العلم. فالثواب المرسوم لمن سبّح تسيحة الزهراء (عليها السلام) هو كذا حسنة.. لكل من قام بهذا العمل استحق هذه الحسنات.

كما أن لهذه العبادات آثاراً خاصة تترتب على مجرد قراءتها، حتى لو لم يفهم قارئها معاني كلماتها، فمن قرأ آخر سورة الكهف مثلاً، وأضمر الإستيقاظ لصلاة الصبح في الساعة الفلانية، فإن الإستيقاظ سيتحقق، كما أن من كتب نصاً بعينه يشفي من الحالة الكذائية، فإن الشفاء يتحقق.

كما أن المعراجية للمؤمن المترتبة على الصلاة في قوله (عليه السلام): الصلاة معراج المؤمن. أو القرابية في قوله (عليه السلام): الصلاة قربان كل تقي. سوف تتحقق بالصلاة حتى لو لم يفهم المصلي معاني كلماتها

تفصيلاً، ومرامي حركاتها فإن نفس هذا الاتصال بالله سبحانه بطريقة معينة ومحدودة على شكل صلاة أو زيارة، أو تسبيح وغير ذلك مما شرعه الله سبحانه، مع توفر الإخلاص وقصد القرية والفهم الإجمالي يحقق هذه الآثار، ويقود إليها، إذا كان مع نية القرية وظهور الإنقياد والتعبد لله سبحانه وفق تلك الكيفيات المرسومة من قبله تعالى، وذلك يحقق غرضاً تربوياً، وإيحائياً تلقينياً يريد الله سبحانه له أن يتحقق.

ولأجل ذلك نجد: أن النبي (ﷺ) يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ويقول في الأذان والإقامة: أشهد أن محمداً رسول الله.. ويقول ذلك غيره.. ولا يصح منه الأذان ولا الإقامة، ولا يحصل على ثوابهما، ولا على ثواب الصلاة، ولا على آثارها بدون الإتيان بكل ما هو مرسوم فيها.

والرجل والمرأة يقرآن في دعاء واحد: ومن الحور العين برحمتك فزوّجنا.. ولا يعني ذلك: أن تقصد المرأة مضمون هذه الفقرة بالذات وبصورة تفصيلية، بل هي تقصد الإتيان بالمرسوم والمقرر.

وإذا سألت: هل يعقل أن تكون صلاة النبي (ﷺ) والولي (عليه السلام) كصلاة أي إنسان عادي آخر من حيث ثوابها، وتأثيراتها؟!

فإن الجواب هو: إن التفاوت إنما يكون فيما ينضم لذلك المرسوم من حالات الإخلاص والإقبال أو ما يصاحبه من تعب وجهد، فالثواب إنما هو بإزاء خصوصية إضافية (كالخشية) الخشوع والرهبنة والخضوع التي أنتجتها عوامل أخرى كمعرفة الله سبحانه، وكمال العقل، والسيطرة على الشهوات

والممول وعلى الحواس الظاهرة والباطنة.. أو أي جهد آخر إضافي قد بذل ووعد الله عليه بالثبوت المناسبة له على اعتبار: أن أفضل الأعمال أحمرها..

فاتضح مما تقدم: أن إتيان المعصوم بالعبادات المرسومة، ومنها الأدعية لا يستلزم أن يكون قد أصبح موضعاً لكل ما فيها من دلالات، فلا يكون استغفاره دليلاً على وقوع الذنب منه.

ثانياً: يقول بعض المهتمين بقضايا العلم: إن أجهزة جسم الإنسان تقوم بوظائف لو أردنا نحن أن نوجدنا بوسائلنا البشرية لاحتجنا ربما إلى رصف الكرة الأرضية بأسرها بالأجهزة: هذا على الرغم من أنه إنما يتحدث عن وظائف الجسد وخلاياه التي اكتشفت، مع أنه لم يتم اكتشاف الكثير الكثير منها حتى الآن فضلاً عن سائر جهات وجود هذا الإنسان.

فالله سبحانه يفيض الوجود والطاقة والحيوية على كل أجهزة هذا الجسد وخلاياه لحظة فليحظة، وهذه الفيوضات وطبيعة المهام التي تنتج عنها، وكل هذا التنوع وهذه التفاصيل المحيرة تشير إلى عظمة مبدعها في علمه وفي إحاطته، وفي حكمته، وفي تدبيره، وفي غناه، وفي قدرته .. و .. و ..

فإذا كان النبي والولي المعصومان يدركان هذه النعم التي لولا الله سبحانه لاحتجنا لإنجازها إلى أجهزة تغلف الأرض بكثرتها.

ويعرف أيضاً: بعمق أنه المحل الأعظم لتلك النعم ويعرف عظمتها وتنوعها في مختلف جهات وجوده ويجد ويحس بآثارها في جسده، وفي روحه ونفسه، وكيف أن كل ذرة في الكون مسخرة لأجله، ولأجل البشر كلهم حسبما صرح به القرآن الكريم، ويعرف الكثير من أسرار ملكوت الله

وخلاصته: أن النبي والولي يحس أكثر من كل أحد بقيمة وعظمة واتساع النعم التي يفيضها الله عليه.
فلا غرو إذن إذا كان يرى نفسه . مهما فعل . مذنباً، ومقصراً لعدم قيامه بواجب الشكر لذلك المنعم العظيم.. بل هو يبكي.. ويبكي من أجل ذلك، ولا يكف عن بذل الجهد.. وحين يقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟!
نجده يقول: أفلا أكون عبداً شكوراً.

ونوضح ذلك بالمثل، فنقول: إن من يريد تقديم هدية لسلطان أو ملك، فإنه قد لا يجد فيما يقدمه ما يناسب جلال السلطان وأبهة الملك، فيرى نفسه مقصراً فيما قدمه إليه.. بل ومذنباً في حقه.. تماماً كما كان لسان القبرّة التي أهدت لسليمان جرادة كانت في فيها، وذلك لأن الهدايا على مقدار مهديها.
وواضح أن حال المعصوم مع الله تختلف عن حالنا، فهو يعرف الله حق معرفته، ولأجل ذلك فإن عبادته له ليست خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، بل لأنه يراه أهلاً للعبادة، فهو يعبد عباد العارفين، والعالمين.. كما أنه يعرف أيضاً: أن موقعه يجب أن يكون موقع العبودية التامة، والخالصة، لأنه واقف على حقيقة ذاته في ضعفه، وفي واقع قدراته، وحقيقة قصوره وحاجته إليه في كل آن، كما هو واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.. ويرى نفسه مذنباً في هذا التقصير.. وقد يجز عليه ذلك فقدان لطف الله به، وهتك

العصم التي يكون بها قوته وثباته، ثم قطع الرجاء، وحبس الدعاء.. الخ..
ثالثاً: وتقريب آخر نقول:

إن نسيج الأدعية والأذكار حين يراد له أن يكون دعاءً أو ذكراً مرسوماً للبشر كلهم بجميع فئاتهم، ومختلف طبقاتهم وبلاتم جميع حالاتهم، وتوجهاتهم، فإنه يكون . بما له من المعنى . بحيث يتسع لتطبيقات عامة ومتنوعة، ويجمعها نظام المعنى العام.

ويساعد على اتساع نطاق تلك التطبيقات، ويزيد في تنوعها مدى المعرفة بمقام الألوهية، ومعرفة أياديه ونعمه وأسرار خلقه وخليقته تبارك وتعالى وما إلى ذلك.. من جهة.. ثم معرفة الإنسان بنفسه، وموقعه، وحالاته.. و.. من جهة أخرى.

فبملاحظة هذا وذاك يجد المعصوم نفسه . نبياً كان أو إماماً . في موقع التقصير، ويستشعر من ثم المزيد من الذل والخشية، والخشوع له تعالى.

فالقاتل والسارق والكذاب حين يستغفر الله ويتوب إليه، فإنما يستغفر ويتوب من هذه الذنوب التي يشعر بلزوم التخلص من تبعاتها، ويرى أنها هي التي تحبس الدعاء وتنزل عليه البلاء، وتهتك العصم التي تعصمه، ويعتصم بها، وتوجب حلول النقم به.

أما من ارتكب بعض الذنوب الصغائر، كالنظر إلى الأجنبية، أو أنه سلب ثملة جلب شعيرة، أو لم يهتم بمؤمن بحسب ما يليق بشأنه.. وما إلى ذلك..

فإنه يستغفر ويتوب من مثل هذه الذنوب أيضاً، ويرى أنها هي التي

تحبس دعاءه، وتهتك العصم التي تعصمه ويعتصم بها، وتحل النقم به من أجلها.
وهناك نوع آخر من الناس لم يقترف ذنباً صغيراً ولا كبيراً، فإنه حين يقصّر في الخشوع والتذلل أمام الله سبحانه، ولا يجد في نفسه التوجه الكافي إلى الله في دعائه وابتهاله، بل يذهب ذهنه يميناً وشمالاً.. فإنه يجد نفسه في موقع المذنب مع ربه، والعاق لسيدته، والمستهتر بمولاه. وهذه ذنوب كبيرة بنظره، لا بد له من التوبة والإستغفار منها.. وهي قد توجب عنده هتك العصم التي اعتصم بها، وحلول النقم، وحبس الدعاء، وقطع الرجاء، وما إلى ذلك.
أما حين يبلغ في معرفته بالله سبحانه مقامات سامية، كما هو الحال بالنسبة لأُمير المؤمنين (عليه السلام)، أو بالنسبة لرسول رب العالمين، فإنه لا يجد في شيء مما يقوم به من عبادة ودعاء وابتهال: أنه يليق بمقام العزة الإلهية.
بل هو يعد الإلتفات إلى أصل المأكل والمشرب والإقتصار على مثل هذه الطاعات تقصيراً خطيراً يحتاج إلى الخروج عنه إلى ما هو أسمى وأسنى، وأوفق بجلال وعظمة الله سبحانه، وبنعمه وبفضله وإحسانه وكرمه..
وهذا التقصير . بنظره . لا بد أن ينتهي إلى الحرمان من النعم الجلّي، التي يترصّدها، حينما لا يصل إلى درجات تؤهله لتقبلها، وكذلك الحال بالنسبة إلى نفوذ دعائه وحجبه عن أن يستنزل العطايا الإلهية الكبرى، أو

يرتفع به إلى مقامات سامية يطمع بها، ويطمح إليها.. كما أن النبي والوصي قد يجد نفسه غير متمكن من العصم التي يريد لها أن تكون منطلقاً قوياً يدفع به إلى ما هو أعلى وأسمى، وأجل.

وبعبارة أخرى: إنهم يرون: أن عملهم هو من القلّة والقصور بحيث يوجب حجب الدعاء، ووقوعهم بالبلاء، ومن حيث أنه غير قادر على النهوض بهم بصورة أسرع وأتم ليفتح لهم تلك الآفاق التي يطمحون لارتدادها، ما دام أن شوقهم إلى لقاء الله يدعوهم إلى الطموح إلى طي تلك المنازل بأسرع مما يمكن تصوره.

فما يستغفر منه الأنبياء والأوصياء، وما يعتبرونه ذنباً وجراً.. إنما هو في دائرة مراتب القرب والرضا وتجليات الألفاظ الإلهية.. وكل مرتبة تالية تكون كمالاً بالنسبة لما سبقها، وفي هذه الدائرة بالذات يكون تغيير النعم، ونزول النقم، وهتك العصم الخ.. بحسب ما يتناسب مع الغايات التي هي محطّ نظرهم (عائلاً).

والخلاصة: إن كل فئة من هؤلاء إنما تقصد الإستغفار والتوبة تطبيقاً للمعنى الذي يناسب حالها، وموقعها وفهمها ووعيها، وطموحاتها وخصوصيات شخصيتها، وحياتها وفكرها وواقعها الذي تعيشه، أي أنهم يقرؤون الأدعية ويفهمونها، ويقصدون من تطبيقات معانيها ما يناسب حال كل منهم، وينسجم مع معارفهم، وطموحاتهم.. ولكنها على كل حال أدعية مرسومة على البشر كلهم، وللبنشر كلهم.

لفت نظر:

وأخيراً.. فإننا نلفت القارئ الكريم إلى الأمور التالية:

أولاً: إن إنكار البعض أن يكون دعاء النبي (ﷺ) أو الإمام (عليه السلام) تعليمياً، ليس في محله، إذ لا ريب في أن ثمة أدعية قد جاءت على سبيل التعليم للناس، وبالأخص بعض الأدعية التي تعالج حالات معينة كالأدعية التي لبعض الأمراض أو لدفع الوسوسة أو لبعض الحاجات، وما إلى ذلك.. أو تريد بيان التشريع الإلهي للدعاء في مورد معين وقد لا يكون النبي (ﷺ) أو الإمام (عليه السلام) مورداً لذلك التشريع لسبب أو لآخر..

ثانياً: قوله: إن الإمام إنما يدعو الله من حيث هو إنسان، لا يحل المشكلة، فإنه إذا كان هذا الإنسان لم يرتكب ذنباً، ولا اقترف جريمة، فلماذا يطلب المغفرة الإلهية؟! ولماذا يبكي ويخشع؟! فإن الإنسانية من حيث هي لا تلازم كونه عاصياً.

وإن كان قد أذنب وأجرم بالفعل، فأين هي العصمة؟! وأين هو الجبر الإلهي . المزعوم من قبل هذا البعض . في عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟! .

ثالثاً: إن من الواضح: أن الذنوب المشار إليها في الأدعية لم يرتكبها الداعي جميعاً، فكيف إذا كان هذا الداعي هو المعصوم كما اعترف به هذا البعض.. وذلك يشير إلى صحة ما ذكرناه في الوجوه التي أشرنا إليها آنفاً وخصوصاً الأخيرة منها .

رابعاً: إن المراد بالمغفرة في بعض نصوص الأدعية خصوصاً بالنسبة إلى المعصوم، هو مرحلة دفع المعصية عنه، لا رفع آثارها بعد وقوعها..

كما أن الطلب والدعاء في موارد كثيرة قد يكون وارداً على طريقة الفرض والتقدير، بمعنى أنه يعلن أن لطف الله سبحانه هو الحافظ، والعاصم.. ولكن المعصوم يفرض ذلك واقعاً منه لا محالة لو لم يكن الله يكفي بلطف منه، فهو على حد قول أمير المؤمنين (عليه السلام)..

(لست بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني)^(١).
وقد شرحنا هذه الكلمة في بحث مستقل (كُتِبَ)، بعنوان: (لست بفوق أن أخطئ) فليراجعه من أراد..

١ - الكافي ج ٨ ص ٢٩٣ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٥٣ وج ٤١ ص ١٥٤ وج ٧٤ ص ٣٥٨ و ٣٥٩ ونهج البلاغة (ط دار التعارف بيروت) ص ٢٤٥ وتفسير الألوسي ج ٢٢ ص ١٨.

الفصل الثامن:
حديث الطير..

حديث الطير في النصوص:

نذكر هنا عدداً من نصوص حديث الطير، وهي التالية:

١ - عن جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه، عن علي (عليه السلام) قال: كنت أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في المسجد بعد أن صلى الفجر. ثم نهض ونهضت معه، وكان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك، فكان إذا أبطأ في الموضع صرت إليه لأعرف خبره، لأنه لا يتقار قلبي على فراقه ساعة، فقال لي: أنا متجه إلى بيت عائشة.

فمضى ومضيت إلى بيت فاطمة (عليها السلام)، فلم أزل مع الحسن والحسين، وهي وأنا مسروران بهما، ثم إني نهضت وصرت إلى باب عائشة، فطرقت الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟! فقلت لها: أنا علي.

فقالت: إن النبي (صلى الله عليه وآله) راقد.

فانصرفت ثم قلت: النبي راقد وعائشة في الدار؟! فرجعت وطرقت الباب.

فقالت لي عائشة: من هذا؟! فقلت: أنا علي.

فقلت: إن النبي على حاجة.

فانثنت مستحيماً من دقي الباب، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً.
فرجعت مسرعاً، فدققت الباب دقاً عنيفاً.

فقلت لي عائشة: من هذا؟

فقلت: أنا علي، فسمعت رسول الله (ﷺ) يقول لها: يا عائشة، افتحي [له] الباب.
ففتحت، فدخلت.

فقال لي: اقعد يا أبا الحسن، أحدثك بما أنا فيه، أو تحدثني بإبطائك عني؟!

فقلت: يا رسول الله، [حدثني]، فإن حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن، كنت في أمر كتمته من ألم الجوع، فلما دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ليس عندها شيء
تأتي به مددت يدي وسألت الله القريب المجيب، فهبط علي حبيبي جبرئيل (عليه السلام) ومعه هذا الطير . ووضع أصبعه
على طائر بين يديه . فقال: إن الله عز وجل أوحى إلي أن آخذ هذا الطير، وهو أطيب طعام في الجنة، فأنتيك به يا
مُحَمَّدُ.

فحمدت الله كثيراً، وعرج جبرئيل، ورفعت يدي إلى السماء، فقلت: اللهم يسر عبداً يحبك ويجني يأكل معي هذا
الطائر.

فمكنت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب، ورفعت يدي ثم قلت: اللهم

يسر عبداً يحبك ويحبني، وتحبه وأحبه، يأكل معي هذا الطائر، فسمعت طرقتك للباب وارتفاع صوتك، فقلت لعائشة: أدخلني علياً، فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إلي إذ كنت تحب الله وتحبني، ويحبك الله وأحبك، فكل يا علي .

فلما أكلت أنا والنبي الطائر قال لي: يا علي حدثني.

فقلت: يا رسول الله، لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضت أريدك، فجئت، فطرقت الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟!!

فقلت لها: أنا علي .

فقالت: إن النبي (ﷺ) راقد.

فانصرف، فلما صرت إلى الطريق الذي سلكته رجعت، فقلت: النبي راقد وعائشة في الدار لا يكون هذا.

فجئت، فطرقت الباب، فقالت لي: من هذا؟!!

فقلت لها: أنا علي .

فقالت: إن النبي (ﷺ) على حاجة.

فانصرفت مستحيماً، فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة، وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه

صبراً، وقلت: النبي (ﷺ) على حاجة وعائشة في الدار.

فرجعت، فدققت الباب الدق الذي سمعته، فسمعتك يا رسول الله

وأنت تقول لها: ادخلي علياً.

فقال النبي (ﷺ): أبيت إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميراء، ما حملك على هذا؟!!

فقالت: يا رسول الله، اشتهيت أن يكون أبي يأكل من الطير!

فقال لها: ما هو بأول ضغن بينك وبين علي. وقد وقفت على ما في قلبك لعلي. إنك لتقاتلينه!

فقالت: يا رسول الله، وتكون النساء يقاتلن الرجال؟!!

فقال لها: يا عائشة، إنك لتقاتلين علياً، ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أصحابي، فيحملونك عليه.

وليكونن في قتالك له أمر تتحدث به الأولون والآخرون.

وعلامه ذلك: أنك تركين الشيطان، ثم تبتلين قبل أن تبلغي إلى الموضع الذي يقصد بك إليه، فتنبح عليك

كلاب الحوآب، فتسألين الرجوع، فيشهد عندك قسامة أربعين رجلاً ما هي كلاب الحوآب، فتصيرين إلى بلد أهله

أنصارك، هو أبعد بلاد على الأرض إلى السماء، وأقربها إلى الماء.

ولترجعين وأنت صاغرة، غير بالغة [إلى] ما تريدن.

ويكون هذا الذي يردك مع من يثق به من أصحابه، إنه لك خير منك له، ولينذرنا ما يكون الفراق بيني وبينك

في الآخرة، وكل من فرق علي بيني وبينه بعد وفاي ففراقه جائز.

فقال: يا رسول الله، ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني!
فقال لها: هيهات هيهات، والذي نفسي بيده، ليكون ما قلت، حتى كأني أراه.
ثم قال لي: قم يا علي، فقد وجبت صلاة الظهر، حتى أمر بلالاً بالأذان، فأذن بلال، وأقام الصلاة، وصلى،
وصليت معه، ولم نزل في المسجد^(١).

٢ - عن أنس بن مالك قال: دخلت على محمد بن الحجاج، فقال: يا أبا حمزة، حدثنا عن رسول الله (ﷺ)
حديثاً ليس بينك وبينه فيه أحد.

فقلت: تحدثوا، فإن الحديث شجون يجر بعضه بعضاً.
فذكر أنس حديثاً عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال له محمد بن الحجاج: عن أبي تراب تحدثنا؟! دعنا من أبي
تراب!

فغضب أنس، وقال: لعلي تقول هذا؟! أما والله، إذ قلت هذا، فأحدثتك بحديث فيه سمعته من رسول الله
(ﷺ):

أهديت له (عليه السلام) يعاقيب، فأكل منها، وفضلت فضلة، وشيء من خبز، فلما أصبح أتيت به، فقال رسول الله
(ﷺ): اللهم ائني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطائر.

١ - بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٤٨ - ٣٥٠ وج ٣٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ والإحتجاج ج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٤ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٣٨٨ - ٣٩٢

فجاء رجل، فضرب الباب، فرجوت أن يكون من الأنصار، فإذا أنا بعلي (عليه السلام)، فقلت: أليس إنما جئت الساعة فرجعت؟!!

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم ائني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر.

فجاء رجل، فضرب الباب، فإذا به علي (عليه السلام)، فسمعه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: اللهم وإلي، اللهم وإلي (١).
٣ - عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن أبي هدبة، قال: رأيت أنس بن مالك معصوباً بعصابة، فسألته عنها، فقال: هذه دعوة علي بن أبي طالب (عليه السلام).
فقلت له: وكيف كان ذلك؟!!

فقال: كنت خادماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأهدي إلي طائر مشوي، فقال: اللهم ائني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر.

فجاء علي (عليه السلام)، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله)

١ - بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٤ ونجح الإيمان ص ٣٣٢ وغاية المرام ج ٥ ص ٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٥٢ و ٣٥٧ و ج ١٦ ص ١٩٧ عن مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي (ط طهران) ص ١٥٧.

يديه الثانية، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر.
فجاء علي (عليه السلام)، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فرفع رسول الله
(ﷺ) يديه الثالثة، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر.
فجاء علي (عليه السلام)، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي.
فرفع علي (عليه السلام) صوته، فقال: وما يشغل رسول الله عني؟!
فسمعه رسول الله (ﷺ)، فقال: يا أنس، من هذا؟!
فقلت: علي بن أبي طالب.
قال: ائذن له.

فلما دخل قال له: يا علي، إني قد دعوت الله عز وجل ثلاث مرات أن يأتيني بأحب خلقه إليه وإلي يأكل معي
من هذا الطائر، ولو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك.
فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله، إني قد جئمت ثلاث مرات، كل ذلك يردني أنس ويقول: رسول الله عنك
مشغول.

فقال لي رسول الله (ﷺ): يا أنس ما حملك علي هذا؟!
فقلت: يا رسول الله، سمعت الدعوة، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

فلما كان يوم الدار استشهديني علي (عليه السلام) فكتمته، فقلت: إني نسيته، فرفع علي (عليه السلام) يده إلى السماء، فقال: اللهم ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس، ثم كشف العصابة عن رأسه، فقال: هذه دعوة علي، هذه دعوة علي، هذه دعوة علي^(١).

٤ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: صنعت امرأة من الأنصار لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة أرغفة، وذبحت له دجاجة، فطبختها، فقدمته بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أبي بكر وعمر، فأتياه. ثم رفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم سق إلينا رجلاً رابعاً محباً لك ولرسولك، تحبه اللهم أنت ورسولك، فيشركنا في طعامنا، وبارك لنا فيه. ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم اجعله علي بن أبي طالب.

قال: فوالله، ما كان بأوشك أن طلع علي بن أبي طالب.

فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: الحمد لله الذي سرى بكم جميعاً، وجمعه وأياكم. ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انظروا، هل ترون بالباب أحداً.

قال جابر: وكنت أنا وابن مسعود، فأمر بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ،

١ - الأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة سنة ١٤١٧هـ) ص ٧٥٣ وراجع: روضة الواعظين ص ١٣٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٥ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٢ وج ٥٧ ص ٣٠١ .

فأدخلنا عليه، فجلسنا معه. ثم دعا رسول الله (ﷺ) بتلك الأرفة، فكسرها بيده، ثم غرف عليها من تلك الدجاجة، ودعا بالبركة، فأكلنا جميعاً حتى تملأنا شبعاً وبقيت فضلة لأهل البيت^(١).

٥ - وفي نص آخر: أن النبي (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام): ما أبطأك؟!

قال: هذه الثالثة، ويردني أنس.

قال النبي (ﷺ): يا أنس، ما حملك على ما صنعت؟!

قال: رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار!

فقال لي: يا أنس، أوفي الأنصار خير من علي؟! أوفي الأنصار أفضل من علي؟!^(٢).

ونقول:

-
- ١ - ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٢٠٤ وج ١٦ ص ٢١٥ وج ٣٠ ص ٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص ٧٧.
 - ٢ - بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٦ عن ابن المغازلي، والطرائف ص ١٨ و (ط الخيام - قم) ص ٧٣ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٢١ ص ٢٣٢ عن التبر الذباب، ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٦٦ وحياة الحيوان ج ٢ ص ٢٩٧ ونزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٢ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٩٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٤٩.

في هذا الحديث وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

رواة حديث الطير:

إن رواة حديث الطير كثيرون ونحن نذكر أقوال بعض أهل العلم، الذين أشاروا إلى هذا الأمر، فنقول:

١ . قال ابن شهر آشوب: روى حديث الطير جماعة منهم: الترمذي في جامعه، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والبلاذري في تاريخه، والخركوشي في شرف المصطفى، والسمعاني في فضائل الصحابة، والطبري في الولاية، وابن البيع في الصحيح، وأبو يعلى في المسند، وأحمد في الفضائل، والنطنزي في الإختصاص.

وقد رواه مُجَّد بن إسحاق، ومُجَّد بن يحيى الأزدي، وسعيد، والمازني، وابن شاهين، والسدي، وأبو بكر البيهقي، ومالك، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وعبد الملك بن عمير، ومسعر بن كدام، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس، وأبو حاتم الرازي، بأسانيدهم عن: أنس، وابن عباس، وأم أيمن.

ورواه ابن بطة في الإبانة من طريقين، والخطيب وأبو بكر في تاريخ بغداد من سبعة طرق.

وقد صنف أحمد بن مُجَّد بن سعيد كتاب الطير.

وقال القاضي أحمد: قد صح عندي حديث الطير.

وقال أبو عبد الله البصري: إن طريقة أبي عبد الله الجبائي في تصحيح

الأخبار يقتضي القول بصحة هذا الخبر، لإيراده يوم الشورى، فلم ينكر.
قال الشيخ: قد استدل به أمير المؤمنين (عليه السلام) على فضله في قصة الشورى بمحضر من أهلها، فما كان فيهم إلا
من عرفه وأقر به، والعلم بذلك كالعلم بالشورى نفسها، فصار متواتراً.
وليس في الأمة على اختلافها من دفع هذا الخبر.
وحدثني أبو العزيز كادش العكبري، عن أبي طالب الحربي العشاري، عن ابن شاهين الواعظ في كتابه (ما قرب
سنده) قال: حدثني نصر بن أبي القاسم الفرائضي، قال: محمد بن عيسى الجوهري، قال: قال نعيم بن سالم بن قنبر،
قال: قال أنس بن مالك، الخبر.
وقد أخرجه علي بن إبراهيم في كتاب قرب الإسناد، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس، وعشرة
عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد صح: أن الله تعالى والنبي يجبانه، وما صح ذلك لغيره، فيجب الإقتداء به، ومن عزي
خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه^(١).
ورواه أحمد بن حنبل في مسنده عن سفينة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

١ - مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١١٤ و ١١٥ و بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥١ و ٣٥٢.
٢ - بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٥ والطرائف ص ١٨ و (ط الخيام - قم) ص ٧٣ و كتاب الأربعين للمحاذي ص ٤٤٨.

واحتج به علي (عليه السلام) يوم الشورى، وأقروا له به، وإقرارهم به بمثابة رواية له ..
وقال المجلسي (رضوان الله تعالى عليه): (ورواه الشافعي ابن المغازلي في كتابه من نحو أكثر من ثلاثين طريقاً، فمنها ما يدل على أن ذلك قد وقع من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في طائر آخر)^(١).
قال أسلم: روى هذا الحديث عن أنس بن مالك: يوسف بن إبراهيم الواسطي، وإسماعيل بن سليمان الأزرق، وإسماعيل السدي، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وبمامة بن عبد الله بن أنس، وسعيد بن زري. قال ابن سمعان: سعيد بن زري. إنما حدث به عن أنس، وقد روى جماعة عن أنس، منهم: سعيد بن المسيب، وعبد الملك بن عمير، ومسلم الملائمي، وسليمان بن الحجاج الطائفي، وابن أبي الرجاء الكوفي، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، ونعيم بن سالم، وغيرهم .
أقول: روى ابن بطريق هذا الخبر بعبارة قريبة المضامين من مسند أحمد بسند، ومن مناقب ابن المغازلي بأربعة وعشرين سنداً، ومن سنن أبي داود بسنتين.
وقال الشيخ المفيد (قدس الله روحه) في كتاب الفصول، عند اعتراض السائل: بأن هذا الخبر من أخبار الآحاد، لأنه إنما رواه أنس بن مالك وحده، فأجاب: بأن الأمة بأجمعها قد تلقتة بالقبول، ولم يروا أن أحداً رده

١ - بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٥.

على أنس، ولا أنكر صحته عند روايته، فصار الإجماع عليه هو الحجّة في صوابه.
مع أن التواتر قد ورد بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) احتج به في مناقبه يوم الدار، فقال: أنشدكم الله، هل فيكم أحد قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم ائني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فجاء أحد غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال: اللهم اشهد.

فاعترف الجميع بصحته، ولم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) ليحتج بباطل، لا سيما وهو في مقام المنازعة، والتوصل بفضائله إلى أعلى الرتب التي هي الإمامة والخلافة للرسول (صلى الله عليه وآله)، وإحاطة علمه بأن الحاضرين معه في الشورى يريدون الأمر دونه، مع قول النبي (صلى الله عليه وآله): علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار^(١).
ما ذكره صاحب العقبات:

وذكر العلامة المتبحر السيد حامد حسين الموسوي الهندي في كتابه عقبات الأنوار، الجزء الرابع: طائفة من أسماء
رواة حديث الطير، بلغوا

١ - الفصول المختارة ص ٩٧ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ٤٣١ و ٤٣٢ و ج ٣٨ ص ٣٥٧ و ٣٥٨.

(٩١) شخصاً منهم: أبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، وعباد بن يعقوب الرواحي، وغيرهم. وعد (٢٥٠) كتاباً من مؤلفات أهل السنة نقلت هذا الحديث.

وقال الخوارزمي: (أخرج الحافظ ابن مردويه هذا الحديث بمئة وعشرين إسناداً^(١)).

وقال الذهبي في ترجمة الحاكم النيسابوري: وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً، قد أفردتها بمصنف، ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل^(٢).

المؤلفات في طرق حديث الطير:

وذكر صاحب عقبات الأنوار ثمانية كتب ألفت في طرق حديث الطير، وهي:

١ - طرق حديث الطير وألفاظه، لمحمد بن جرير الطبري المفسر، وصاحب التاريخ، والمتوفي سنة ٣١٠ هـ .

١ - مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٢٩ .

٢ - تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٤٢ والطبقات الشافعية ج ٤ ص ١٦٥ الطبقة الثانية. و خلاصة عقبات الأنوار ج ٧ ص ١٧٩ والغدير ج ١

ص ١٥٦ و تحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٥٤ وفتح الملك العلى للمغربي ص ١٣ .

- ٢ . كتاب حديث الطير، لأحمد بن مُجَّد بن سعيد، المعروف بإبن عقدة المتوفى سنة ٣٣٣ هـ .
- ٣ . كتاب طرق حديث الطائر، لأبي عبيد الله بن أحمد الأنباري المتوفى سنة ٣٥٦ هـ .
- ٤ . كتاب جمع طرق حديث الطير، لأبي عبد الله الحاكم النيشابوري، المعروف بـ (ابن البيع) صاحب المستدرک على الصحيحين، المتوفى سنة ٤٠٧ هـ .
- ٥ . كتاب طرق حديث الطير، لأحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠ هـ .
- ٦ . كتاب الطير لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .
- ٧ . كتاب طرق حديث الطير، لأبي طاهر مُجَّد بن أحمد بن علي، المعروف بابن حمدان، المتوفى سنة ٤٤١ هـ .
- ٨ . كتاب طرق حديث الطير لشمس الدين مُجَّد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .^(١)
- بين الحاكم والذهبي:

تقدم: أن الحاكم النيشابوري روى حديث الطير في مستدرکه، وصححه

١ - عبقات الأنوار ج ٤ (المقدمة).

على شرط الشيخين. وقال: رواه عن أنس جماعة من أصحابه، زيادة علي ثلاثين نفساً. ثم صحت الرواية عن علي، وأبي سعيد الخدري وسفيينة.

وبعدما تقدم نقول:

ذكر العلامة الحجة الشيخ مُحَمَّد حسن المظفر ما مؤداه: أن الحاكم رواه من طريقين: عن إبراهيم بن ثابت البصري القصار، عن ثابت البناني، عن أنس. فتعقبه الذهبي: بأن إبراهيم بن ثابت ساقط. ويرد عليه: أنه ذكر في ميزان الاعتدال: أنه لا يعرف حاله جيداً. فعدم معرفة الذهبي بحال الراوي جيداً لا يعني سقوط ذلك الراوي عند من عرفه جيداً. كما أن عدم معرفة الذهبي، لا يعني أن لا يعرفه غيره، وقد عرفه الحاكم وصحح حديثه على شرط الشيخين..

كما أن الذهبي تعقب الحديث الأول: بأن في سنده مُحَمَّد بن أحمد بن عياض، عن أبيه. فقال: ابن عياض لا أعرفه.

ولكنه قال في ميزان الاعتدال، في ترجمة مُحَمَّد بن أحمد بن عياض، بعد ما ذكر روايته لحديث الطير بالسند الذي ذكره الحاكم:

(قال الحاكم: هذا على شرط البخاري ومسلم، ثم قال الذهبي: الكل ثقات إلا هذا. يعني مُحَمَّداً، فأنا أتهمه به. ثم ظهر لي أنه صدوق)..

إلى أن قال: (فأما أبوه فلا أعرفه).

ونعود فنكرر: إن عدم معرفة الذهبي له لا تضر بعد ما عرفه الحاكم،

وصحح حديثه على شرط الشيخين^(١).

وكيفما كان، فإن الذهبي نفسه قد ألف في حديث الطير كتاباً، وقال عن طرق الحديث الكثيرة: إنها توجب أن له أصلاً.. فما معنى أن يتهم به هذا وذاك؟!|

كما أنه هو نفسه قد روى حديث الطير في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي بسند صحيح، لأنه رواه عن قطن بن نسير، عن جعفر بن سليمان الضبعي، (وهما من رجال مسلم) عن عبد الله بن المثني بن عبد الله بن أنس (وهو من رجال البخاري) عن أنس..

وعلى كل حال، فإن طرق حديث الطير كثيرة وغزيرة.. والمصادر التي أوردته أكثر وأغزر^(٢).

١ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨١.

٢ - إننا نحيل هنا على بعض المصادر التي ذكرت حديث الطير، ونترك سائرهما لمن أراد التتبع والإستقصاء، فنقول:

سنحاول أن نذكر شرطاً مما ذكره في إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ٥ ص ٣١٨ - ٣٦٨ وج ١٦ ص ١٦٩ - ٢١٩ وج ٢١ ص ٢٢٢ - ٢٤٢ وغير ذلك. فلاحظ:

صحيح الترمذي (ط الصاوي بمصر) ج ٥ ص ٣٠٠ والخصائص للنسائي ص ٢٩ ح ١٠ والمناقب لابن المغازي من ص ١٥٦ إلى ص ١٧٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٠٥ - ١٣٤. والمعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ٩٥ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص ٥٦٠ وعن

طبقات المحدثين بأصبهان، وعن الرسالة القوامية، ومناقب الصحابة للسمعاني، والجمع بين الصحاح للعبدي الأندلسي، وشرح الأرجوزة للآبي، ومفتاح النجا، وتجهيز الجيش والأربعون حديثاً لعطاء الله الشيرازي، ومناقب العشرة.

وراجع: مصابيح السنة ص ٢٠٢ والمناقب للخوارزمي (ط مركز النشر الإسلامي) ص ١٠٨ و ١١٥ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٩ . ٢١٤ .

وجامع الأصول (ط السنة المحمدية بمصر) ج ٩ ص ٤٧١ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٠ وتذكرة الخواص ص ٤٤ وعن شرح نوح البلاغة للمعتزلي (ط القاهرة) ج ٤ ص ٢٢١ وكفاية الطالب ص ١٤٤ . ١٥٦ . وذخائر العقبى ص ٦١ و ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (الخلفاء الراشدون) ص ٦٣٣ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٠٥ و ٣٥١ و ٣٥٠ و ٣٥٣ ومشكاة المصابيح (ط دلهي . الهند) ص ٥٦٤ وشرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدي (مخطوط) ص ١٩٠ وكنوز الحقائق ص ٢٤ وذخائر المواريث ج ١ ص ١٨ وينايع المودة ص ٥٦ و ٢٠٣ عن الترمذي، وأبي داود، والجزلي والبغوي.

وسعد الشموس والأقمار (ط التقدم العلمية بالقاهرة سنة ١٣٣٠) ص ٢٠٩ وتاريخ آل محمد ص ٥٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٠ و ١٣١ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه ج ٣ ص ١٣٠ و ١٣١ وجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ و ١٢٦) ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٦ والمواقف للأبجي (ط الأستانة مع شرح الجرجاني) ج ٢ ص ٦١٥ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٧٦ و ج ٣ ص ١٧١ و ج ٨ ص ٣٨٢ و ج ٩ ص ٣٦٩ والإتحاف ص ٨ وتاريخ

جرجان ص ١٣٤ وميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٢٩ و ٣٢١ و ج ٣ ص ٣٨٠ والعثمانية للجاحظ ص ١٣٤ و ١٣٩ و حياة الحيوان (ط القاهرة) ج ٢ ص ٣٤٠ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٢٣٢ - ٢٠٥ وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٣٩ ومنتخب كنز العمال (مطبوع بمماش مسند أحمد) ج ٥ ص ٥٣ وموضح أوهام الجمع والتفريق ج ٢ ص ٣٩٨ و ٣٠٤ ونزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٢ وشرح المقاصد ج ٢ ص ٢١٩ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٩٩ و ج ١ ص ٣٧ ونظم درر السمطين ص ١٠٠ وأرجح المطالب (ط لاهور) ص ٥٠٢ و ٥٠١ و مناقب سيدنا علي، للحيدرآبادي ص ١٧ وأشعة اللمعات (ط نول كشور) ج ٤ ص ٦٧٧ وشرح وصايا أبي حنيفة (ط إسلامبول) ص ١٧٦ والنكت الظرف على الأطراف (مطبوع مع تحفة الأشراف) ص ٩٤ وجمع الفوائد (ط بلدة ميرية في الهند) ج ٢ ص ٢١١ والرصف ص ٣٦٩ وكنز العمال (ط حيدر آباد . الدكن) ج ١٥ ص ١٤٧ ووسيلة النجاة (ط كلشن فيض . لكنهو) ص ١١٤ وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (ط بمبي) ص ٩٤ وقرة العينين (ط بشاور) ص ١١٩ و ١٦٦ وتقريب المرام للسنديجي (ط بولاق) ص ٣٣٢ وإتحاف السادة المتقين (ط الميمنية بمصر) ج ٧ ص ١٢٠ ومرقاة المفاتيح (ط ملتان) ج ١١ ص ٣٤٣ ومودة القرى (ط لاهور) ص ٨٧ وتفريح الآل والأحباب في مناقب الآل والأصحاب (ط الهند) ص ٣٠٨ والإدراك للواسطي (ط كانبور) ص ٤٦ والبريقة المحمودية (ط مصطفى الحلبي بالقاهرة) ج ١ ص ٢١١ ومرآة المؤمنين ص ٣٤ والمعيار والموازنة ص ٢٢٤ والكامل لابن عدي (ط بيروت) ج ٦ = = ص ٢٣٠٩ و ٢٤٤٩ و ج ٢ ص ٧٩٣ و ٧٧٣ و ج ٧ ص ٢٧٣٨ والجوهرة (ط دمشق) ص ٦٣ وعن مختصر تاريخ دمشق (مخطوط) ج ١٧ ص ١٤٤ و ١٤٥ .

وراجع: بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٤٨ . ٣٥٨ والأمالي للصدوق المجلس ٩٤ حديث ٣ ص ٣٨٩ والفصول المختارة ص ٦٠ فما بعدها، والطرائف ص ١٨ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٤٢ وعبقات الأنوار ج ٤ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٠ فما بعدها، والعلل المنتهية ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وتاريخ دمشق الكبير (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٢١هـ) ج ٤٥ ص ١٨٥ . ١٩٦ والأمالي للطوسي ص ١٥٩ وعن الإحتجاج ج ١ ص ١٠٤ . ١٠٥ واليقين ص ١١٣ وبشارة المصطفى ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

لا قيمة لهملجات ابن تيمية:

وذلك كله يدلنا: على أنه لا قيمة لقول ابن تيمية: إنه لم يرو حديث الطير أحد من أصحاب الصحاح، ولا صححه أئمة الحديث.

والحال: أنه رواه الترمذي، والنسائي، وصححه الحاكم، ورواه الذهبي بسند لا شبهة في صحته عندهم.

كما لا قيمة لقول ابن تيمية: إن الحديث عند أهل المعرفة والعلم من المكذوبات والموضوعات..

فإن كثرة طرق الحديث تمنع من تكذيبه، والحكم عليه بالوضع، كما أن الحاكم قد صححه على شرط الشيخين، والذهبي حكم بأن له أصلاً..

وليس في أهل العلم والمعرفة من حكم بكذب ووضع هذا الحديث،

إلا إن كان ابن تيمية نفسه، ومن هم على شاكلته ممن يتعصب على علي (عليه السلام)، ويجهد لإبطال فضائله، وردها^(١).
حدث واحد أم أحداث؟!:

هناك اختلافات بين عدد من نصوص حديث الطير.. وربما يجعل البعض هذا الاختلاف منشأ للقول بتعدد الوقائع التي تشابهت في بعض عناصرها. ولا مانع من ذلك، إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه أراد أن يكرر تأكيده على مضمون بعينه، فيعيد نفس الموقف كلما حضرت المناسبة التي تصلح له.
فتعدد الوقائع، واختلافها في بعض الخصوصيات الجانبية، أو اختلاف بعض الأشخاص فيها، لا يضر فيما يرمي النبي (صلى الله عليه وآله) إلى التأكيد عليه، ونشره في الناس.
ولذلك نلاحظ:

١. أن هناك رواية تقول: إن عائشة هي التي منعت علياً (عليه السلام) من الدخول.

وأخرى تقول: إن أنساً هو الذي منعه من ذلك.

وثمة رواية يظهر منها: أنه لم يمنع أصلاً^(٢).

١ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٣.

٢ - ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق الحمودي) ج ٢ ص ١٠٥ وتاريخ = مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٢٠٤ وج ١٦ ص ٢١٥ وج ٣٠ ص ٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص ٧٧.

أما الروايات الساكنة عن ذكر رده، فلعلها أرادت اختصار ما جرى، أو أنها سعت لحفظ ماء وجه أنس.
٢ . رواية الإحتجاج، التي تنص على منع عائشة لعلي (عليه السلام) تقول: إن جبرئيل هو الذي جاء بالطير من الجنة^(١).

وأخرى تقول: إن امرأة من الأنصار جاءت بها^(٢).

وثالثة تقول: جاءت بها أم سليم^(٣).

-
- ١ - راجع: الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٩٢ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٤٨ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٣٨٨.
 - ٢ - فرائد السمطين ج ١ ص ٢١٤ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٥٨ والمطالب العالية ج ٤ ص ٦٢ وتذكرة الخواص ص ٤٤ وعن مسند أحمد، وعن مناقب العشرة للنقشبندني ص ١٠ والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٢ والطرائف لابن طاووس ص ٧١ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٤٨ ونهج الإيمان ص ٣٣١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٦٠ و ج ٢١ ص ٢٣٩ و ٢٤٢.
 - ٣ - حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٣٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٦٦ = وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٧ ص ٤٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٢ ص ١٨١ و ١٨٣.

ولعل هذه الرواية لا تنافي سابقتها.

ورابعة تقول: جاءت بها أم أيمن^(١).

٣. هل الهدية كانت دجاجة طبختها امرأة من الأنصار؟!^(٢).

أم كانت من الجباري؟!^(٣).

١ - المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١١٤ و ١٣١ وموضح أوهام الجمع والتفريق (ط حيدرآباد) ج ٢ ص ٣٠٤ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥١ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٧٠ وأمالي المحاملي ص ٤٤٣ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٣٤ و ٣٦١ وج ١٦ ص ١٧١.

٢ - ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٢٠٤ وج ١٦ ص ٢١٥ وج ٣٠ ص ٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص ٧٧.

٣ - تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٦ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٣٩٠ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٠٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٤٤ وج ٥ ص ٣٥٩ وج ١٦ ص ١٧٣ وج ٣٠ ص ٢٤٢ = عن كفاية الطالب (ط الغري) ص ٦٢ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٦٢.

أم كانت نحامة مشوية، أم نحامات؟!^(١).

أم حجل مشوي، أم حجالات؟!^(٢).

أم قطاتان؟!^(٣).

١- مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٥٦ وكفاية الطالب ص ١٥٥ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٥٠ و ٢٥١ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٣١٠ وغاية المرام ج ٥ ص ٦٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٦ ص ٢٠٤ و ٣٠ ص ٢٤٤.

٢- ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١١٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ١٣٧ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٣١٠ ونظم درر السمطين ص ١٠٠ وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٣٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٧ ص ٤٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٢ ص ١٨١ و ١٨٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٠٧.

٣- مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٦١ ونهج الإيمان ص ٣٣٣ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٣١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٣٧ و ج ١٦ ص ٢٠١ وغاية المرام ج ٥ ص ٧١.

أم يعاقب؟!^(١).

٤ . هل كانت طيراً كما في أكثر الروايات؟!.

أو كانت طيرين؟!^(٢).

وقد يقال: لا منافاة بينهما، إذ لعل المراد بالطير اسم الجنس، الصادق على القليل والكثير..

أم كانت طوائر (أو أطيّار)^(٣)؟!.

١ - مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٥٨ والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٤ وغاية المرام ج ٥ ص ٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٥٦ وج ١٦ ص ١٩٧.

٢ - فرائد السمطين ج ١ ص ٢١٤ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٣٣ والمطالب العالية ج ٤ ص ٦٢ وتذكرة الخواص ص ٤٤ وعن مسند أحمد، وعن مناقب العشرة للنقشبندی ص ١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٦٠ وج ١٦ ص ١٧١ وج ٢١ ص ٢٣٩ و ٢٤٢ والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٢ والطرائف لابن طاووس ص ٧١ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٥٨ ونهج الإيمان ص ٣٣١ .

٣ - كفاية الطالب ص ١٥١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٥٨ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٦٨ وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣١٧ وعوالي اللآلي ج ١ ص ١٠٨ = ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٦ وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٥١ وعن حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٣ وأمالي المحاملي ص ٤٤٥ والعهود الحمديّة ص ١٥٩ والكامل لابن عدي ج ٧ ص ١٢٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٢٢ و ٣٣٧ و ٣٦١ وج ١٦ ص ١٧١ و ١٨١ و ٢٠١ وج ٣٠ ص ٢٤٥ و ٢٥٢ والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٥ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٣١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٣ وغاية المرام ج ٥ ص ٧١.

٥ - وهل ردوا علياً (عليه السلام) مرتين، ثم دخل في الثالثة؟! كما ورد في العديد من الروايات.

أم ردوه ثلاث مرات، ودخل في الرابعة؟!^(٦).

هذا بالإضافة إلى اختلافات أخرى لا حاجة إلى التعرض لها، وقد ظهر، وسيظهر شطر منها في سياق حديثنا

هذا..

ولا بأس بملاحظة النص التالي:

حديث الطير عن جابر:

وروي هذا الحديث عن جابر بطريقة مختلفة تماماً عما هو مروى عن

١ - فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٠ ص ٢٤٣ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٦٢.

غيره، حيث ذكر: أنه (ﷺ) بعث إلى أبي بكر وعمر، فجاء، ثم دعا الله أن يسوق إليهم رابعاً، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. ثم دعا أن يجعله علياً.

فجاء علي (عليه السلام). وليس في الرواية أنهم ردوه مرة بعد أخرى.

ثم ذكرت الرواية إشرارك ابن مسعود وجابر أيضاً^(١).

فإذا صحت هذه الرواية، فهل لنا أن نحتفل أنه (ﷺ) أراد أن يسمع أبا بكر وعمر مقالته في علي (عليه السلام)، لأنه كان يعلم بما يطمحان إليه، ويدبران له، كما كانت تصرفاتهما تشي به، فأراد أن يبين لهما: أن الإمامة والخلافة حق لعلي (عليه السلام)، لأنه أحب الخلق إلى الله تعالى. فلا يحق لهما منازعته في هذا الحق..

علي أفضل الخلق (عليه السلام):

وقد دل الحديث: علي أن علياً (عليه السلام) أفضل الخلق بعد رسول الله (ﷺ)، لأنه يقول: إنه (عليه السلام) أحب الخلق إلى الله تعالى.. وقد استثنى الرسول، لأنه هو القائل لذلك.. ولقيام الإجماع على أنه

١ - ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٢٠٤ وج ١٦ ص ٢١٥ وج ٣٠ ص ٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص ٧٧.

ليس أحب إلى الله منه .

المراد بحب الله لعلي (عليه السلام):

والمراد بحب الله له ليس هو هذا الإنفعال النفساني الذي يسميه البشر حباً، لأنه تعالى منزّه عن الإنفعالات والتغيرات .

بل المراد به: هو كثرة الثواب، والتوفيقات، والهدايات المترتبة على كثرة طاعات علي (عليه السلام)، وعلى اتصافه بالصفات الحسنة ..

فلا بد من وجود فضيلة، أو خصلة كريمة، أو عمل حسن لدى علي (عليه السلام) يوجب ثواب الله تعالى، وإكرامه له ..

ولأجل ذلك قال تعالى: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)**^(١)، فإن اتباع الرسول طاعة، وعمل حسن، يوجب المزيد من ثواب الله تعالى . ولذلك ترتب حب الله لهم على متابعتهم للرسول .

ومن الواضح: أنه لا يمكن أن يثيب الله العاصي، والمقصر، أكثر من المطيع المكثّر من الأعمال الصالحة، لحكم العقل بقبح تفضيل الناقص على الكامل، والعاصي على المطيع، والجاهل على العالم. والمتقدم في الكمالات المتفوق فيها على فاقدتها أو القاصر فيها .

ولعلك تقول:

لعله (عليه السلام) كان في ذلك الوقت أحب الخلق إلى الله، ثم صار

١ - الآية ٣١ من سورة آل عمران .

غيره أحب إلى الله منه.

ونجيب:

بأن جعل الإمامة والخلافة يدل على أنه (عليه السلام) كان هو الأفضل في جميع الأحوال وسائر الأزمنة.. إذ لا يجوز جعل الخلافة لغير الأفضل كما سنوضحه في الفقرة التالية:

الخلافة للأفضل:

وإذا كان (عليه السلام) هو الأفضل كان هو الأحق بالخلافة، ولذلك نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر من الله تعالى خليفة، ووصياً وإماماً للناس من بعده، وأخذ له البيعة من الناس يوم الغدير، ونص عليه في مقامات كثيرة قبل ذلك وبعده، وإلى حين وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويقبح من الحكيم، ولا يجوز عند العقل القويم تقديم غير الأفضل على الأفضل.. فكيف يجوز تقديم من لم تثبت له فضيلة إلا من طريق محببه ومؤيديه المستفيدين من سلطانه؟! بل قد ثبتت له هفوات عديدة على لسان نفس هؤلاء الناس، فضلاً عما رواه غيرهم.

تقديم المفضل على الفاضل:

ولعلك تقول:

إن المعتزلة البغداديين لا يرون بأساً بتقديم المفضل على الفاضل لحكمة يراها. وقال المعتزلي في شرحه لنهج

البلاغة: (الحمد لله الذي قدم

المفضول على الفاضل لحكمة اقتضاها التكليف^(١).

ونجيب:

بأن التقديم لم يكن من الله تعالى، ليقال: إن ذلك ينقض ما قلناه، بل الناس هم الذين قدموا من يصفونه بالمفضول. وإنما فعلوا ذلك بأهوائهم، وما ظنوه منافع شخصية لهم. وقد خالفوا بهذا الذي فعلوه أمر الله تعالى، الذي جعل الفاضل خليفة عليهم دون سواه..

فلا معنى لقول المعتزلي: إن الله هو الذي قدم أبا بكر، ولا سبيل لادعاء وجود حكمة اقتضاها التكليف دعت إلى ذلك.. فإن الملتزمين بخلافة أبي بكر لا يدعون الخلافة له بالنص، بل يدعونها له بالانتخاب في السقيفة. مع العلم بأنه حتى الانتخاب في السقيفة لم يحصل. بل الذي حصل هو التغلب بواسطة التهديد، وإثارة الإنقسامات والخلافات، وبالضرب على الوتر العشائري، والعصبية والمنافسات القبلية كما أوضحناه في هذا الكتاب حين الكلام حول أحداث السقيفة..

شك علي (عليه السلام) في كلام عائشة:

لقد كان علي (عليه السلام) يتعامل مع موضوع الأمن الشخصي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بكل دقة وحكمة، فلا مجال للتعامل بمنطق غرض النظر والتغاضي، لإمكان أن تتسلل بعض السلبات من خلال هذا التغاضي بالذات، ولذلك نلاحظ: أنه يبادر إلى التدقيق في معاني

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي، الجزء الأول، خطبة الكتاب..

كلام عائشة وفي مراميه، ويسعى لاتخاذ جانب الحيطه والحذر، ويتساءل (عليه السلام) عن مغزى كلام عائشة، ويزنه بميزان الحكمة، فلم يره مقبولاً ولا معقولاً وفق ما يعرفه من النبي (صلى الله عليه وآله). إذ لا يستقيم أن تكون عائشة في الدار والنبي (صلى الله عليه وآله) راقداً..

ثم أشار (عليه السلام) إلى تناقض كلام عائشة في المرة الثانية، حيث قالت له: إن النبي (صلى الله عليه وآله) على حاجة. وهذا لا يستقيم، إذ كيف يكون راقداً، ويكون على حاجة خلال لحظات، وتكون عائشة في الدار.

والمفروض: أن تكفي هي النبي حاجته، ولذلك عاد مسرعاً في المرة الثالثة، ودق الباب دقاً عنيفاً، ثم ظهر صدق ما فكر به، إذ لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) راقداً، ولا كان على حاجة..

وظهر أن عائشة أرادت إبعاد علي (عليه السلام) عن نبيل الوسام الذي رصده (صلى الله عليه وآله) لمن يحب الله ورسوله، ويرسله الله ليأكل معه من ذلك الطير.. وأنها تريد أن يكون أبوها هو الذي يأكل من الطير، ويفوز بذلك الوسام..

عائشة تحقد على علي (عليه السلام):

وقد صرح (صلى الله عليه وآله): بأن عائشة، قد ردت علياً (عليه السلام)، انطلاقاً من ضغن في قلبها على علي (عليه السلام). وليس

الأمر مجرد حب الخير لأبيها.

واللافت: أن النبي (ﷺ) حين أخبر عائشة بأن الضغن هو الذي دعاها لرد علي (عليه السلام) في المرتين، وبأنه (ﷺ) يعرف بما في قلبها على علي (عليه السلام) لم تنكر هي ذلك..

ثم أخبرها النبي (ﷺ) بتفاصيل ما يجري بدقة، لا مجال معها لاحتمال حصول بدء في شيء من ذلك، فقد أخبرها بجرمها لعلي، وبأنها تركب الشيطان، وتبجحها كلاب الجواب.. وبغير ذلك مما يجري لها، وبأنها سترجع صاغرة، لا تبلغ ما تريد. وبغير ذلك التنسيق الأمني:

وتضمنت رواية الإحتجاج: أن النبي (ﷺ) كان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلم علياً بذلك. فإذا أبطأ أسرع علي (عليه السلام) إليه، ليعرف خبره.

ويبدو: أن هذا من الإحتياطات الأمنية التي كان علي (عليه السلام) متكفلاً بها، فقد كان (عليه السلام) يتولى حراسة النبي (ﷺ)، وقد اختار أسطوانة في المسجد يصلى عندها، وهو يؤدي مهمته هذه.. وها هو هنا يريد أن يبقى (عليه السلام) على علم مسبق بالمواضع التي يكون فيها، ثم هو يريد أن يبقى على علم بما يجري له. وفي بدر كان يتفقد رسول الله (ﷺ) باستمرار، ليطمئن على سلامته.

وفي بعض النصوص أيضاً: أنه (ﷺ) إذا أراد أن يدخل إلى الحجرة، كان شخص يدخل إليها قبله. حيث إن التعليل الأقرب لذلك

هو إرادة الإطمئنان إلى خلو المكان من كل ما يخشى منه .
وهذا احتياط محمود، فإن المتربصين شراً برسول الله (ﷺ) كثيرون، وهو يتعرض لمؤامرات مختلفة من المشركين واليهود، والمنافقين، وحتى من بعض أصحابه المتظاهرين بمحبته، والحريصين على ملازمته.. وقد نفرُوا به ناقتَه ليلة العقبة، لكي تلقيه إلى الوادي.. وذلك بعد عودته من غدير خم، أو من تبوك..
فلا عجب إذا كان قلب علي (عليه السلام): لا يسكن ولا يثبت، ولا يستقر على فراقه (ﷺ) ساعة واحدة، وذلك خوفاً وقلقاً عليه، ومحبته له..

غير أن الأكثر إثارة هنا: أنه (ﷺ) حتى حين يريد أن يدخل إلى بيت إحدى نساءه كان يخبر علياً (عليه السلام) بذلك.. فهل كان أيضاً (ﷺ) لا يشعر بالأمن، أو كان علي (عليه السلام) يقلق عليه حتى في هذه المواضع؟!
النبي (ﷺ) يردُّ أبا بكر وعمر:

وورد في بعض نصوص حديث الطير: أنه أتى النبي (ﷺ) وعنده طائر، فقال:

اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطير.

فجاء أبو بكر، فرده.

ثم جاء عمر، فرده.

(وفي نص آخر: ثم جاء عثمان فرده). ثم جاء علي، فأذن له^(١).

ونقول:

إن ظاهر هذه الرواية: أن رسول الله (ﷺ) هو الذي ردهم، وأذن لعلي (عليه السلام)، ومعنى ذلك: أن المرودين لم يكونوا أحب خلق الله إلى الله تعالى..

بل تدل الرواية: على أنهم يستحقون الفضيحة بين الناس، وإسقاط محلهم، وإثارة الشبهة حولهم والريب فيهم، والتساؤل عما أوجب لهم هذه العقوبة المسقطة للمقام.

وهل جاء أبو بكر بدعوة عائشة، ثم جاء عمر بدعوة حفصة، ثم جاء عثمان بإشارة أحد محبيه عليه؟! أم أن مجيئهم جميعاً كان بمحض الصدفة، أو بتدبير إلهي؟!!

١ - خصائص الإمام علي بن أبي طالب للنسائي ص ٥١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٣٨٨ وعن أبي يعلى، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٠٧ وعن مختصر تاريخ دمشق (مخطوط) ج ١٧ ص ١٤٤ و ١٤٥ ومسنند أبي يعلى ج ٧ ص ١٠٥ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٥٤ وإمتاع الأسماع ج ٧ ص ٢٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣١٩ و ٣٢٤ و ج ٢١ ص ٢٣٠ و ٢٣٥ و ج ٣٠ ص ٢٥٣.

قد يقال: إن النص التالي يقرب احتمال أن تكون عائشة وحفصة أشارتا على أبيهما بالمجيء، لنيل وسام عظيم تحفو له النفوس، وتطمح إليه الأنظار، والنص هو التالي:
اللهم اجعله أبي:

قال أبو يعلى: حدثنا قطن بن بشير، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا عبد الله بن مثنى، حدثنا عبد الله بن أنس، عن أنس بن مالك، قال:

أهدي لرسول الله (ﷺ) حجل مشوي بخبزه وضيافة (كذا)، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطعام.

فقلت عائشة: اللهم اجعله أبي.

وقالت حفصة: اللهم اجعله أبي.

وقال أنس: وقلت: اللهم اجعله سعد بن عبادة.

قال أنس: فسمعت حركة بالباب^(١).. ثم ذكر مجيء علي (عليه السلام) ،

١ - ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١١٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٣٨٧ وشرح الأخبار ج ١ ص ٤٢٨ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٣١١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٣٣ و ج ٢١ ص ٢٢٨ و ج ٣٠ ص ٢٤٢.

ورده إياه .. إلخ..

أمنيات عائشة وحفصة:

وعن تمنيات عائشة المشار إليها نقول:

هل أرادت عائشة البر بأبيها، فتمنت له أن يكون أحب الخلق إلى الله؟! وكذلك أرادت حفصة؟! أم أن المطلوب هو الحصول على ما ينفع أباهما في أن يرضى به الناس خليفة بعد رسول الله (ﷺ)؟! وبغض النظر عن هذا وذاك، نلاحظ ما يلي:

إن هذا الحديث يدل على عدم صحة ما يزعم: من أن النبي (ﷺ) سئل عن أحب الناس إليه، فقال: عائشة.

فقالوا له: من الرجال؟!

فقال: أبوها^(١).

١- مسند أحمد ج ٤ ص ٢٠٣ وج ٦ ص ٢٤١ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٩٢ وج ٥ ص ١١٣ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٧ ص ١٠٩ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٨ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ وفضائل الصحابة للنسائي ص ٨ والمستدرک للحاكم ج ٤ ص ١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٧٠ وج ٧ ص ٢٩٩ وج ١٠ ص ٢٣٣ وشرح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٥٣ وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٨١ وج ١٨ ص ١٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٧٦ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ١٢١ وبغية الباحث ص ٢٨٩ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٦٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٣٩ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٠٩ و ٣٢٦ وج ١٦ ص ٤٠ والمعجم الكبير ج ٢٣ ص ٤٣ و ٤٤ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣ ص ٩٦٧ وج ٤ ص ١٨٨٣ والجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٣٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٢ ص ١٣٣ و ٥٠٠ و ٥١٠ و ٥٢٣ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٢٥٣ و ٤٦٦ وفيض القدير ج ١ ص ٢١٨ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٢٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٢١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٧٦ وج ٨ ص ٦٧ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٩٩ وج ٣٠ ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ وج ٤٤ ص ٢٢١ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٣ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٣٥ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٢ و ١٤٧ و ١٤٨ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٤٩ والإصابة ج ٤ ص ١٤٩ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٣٨٦ ولسان الميزان ج ٣ ص ٢١٦ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٤٦ والوفاي بالوفيات ج ١٦ ص ٣٤٢ و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٢٨٣ وج ٥ ص ٢٣٨ وج ٨ ص ١٠٠ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٤٠٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٣٣ وج ٣ ص ٥٢٠ و ٥٢١ وج ٤ ص ٤٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٧٠ و ٢٥٥ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٠٢ والإيضاح لابن شاذان ص ٢٥٤ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٥٥ وذخائر العقبى ص ٣٥ والصوارم المهركة ص ٣٢٢ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٢٤ وج ٤٩ ص ١٩٢.

فإن ذلك لو صح لم يكن مجال للتمني، بل سوف تتيقن عائشة بأن أباهما هو المطلوب، وهو الفائز بهذا الوسام.
كما أنه لم يكن لتمني حفصة معنى..

أبو بكر لم يكن معروفاً بالفضل:

ثم إن هذا يدل على أن عائشة وحفصة وأنساً لم يكونوا يعرفون فضلاً لأبي بكر يميزه عن عمر، أو عن سعد بن عبادة. ولذلك قالت عائشة وحفصة: اللهم اجعله أبي..
وقال أنس: اللهم اجعله سعد بن عبادة.

مع أن المفروض هو: أن هؤلاء قرييون من الرسول، ويمكنهم سؤاله عن أي شيء!! فكيف انقلبت الأمور بين ليلة وضحاها، وصار أبو بكر أفضل الناس وأحب الناس إلى الله ورسوله. كما يقول محبوبه، ومن هم من حزيه؟!
فشل السياق على الإمتيازات!!:

وكشاهد على ما سبق، ولكن في سياق آخر، نقول:

لقد وجدنا من عائشة وحفصة تصرفاً مشابهاً في أكثر من موقف ومقام، فقد تسابقتا إلى تقديم أبيهما في قضية الصلاة بالناس في مرض رسول الله (ﷺ)، حيث أمرت عائشة أباهما، وأمرت حفصة أباهما بالصلاة بالناس.
فصلى أبو بكر، فبادر بالنبي (ﷺ) رغم مرضه إلى

عزله .. كما ذكرناه في كتابنا هذا .. وفي كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ).

ومرة أخرى يتسابقان أيضاً في هذا المجال.

فعن ابن عباس: لما مرض رسول الله (ﷺ) مرضه الذي مات فيه قال: ادعوا لي علياً.

قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر؟!

قالت حفصة: ندعو لك عمر؟!

قالت أم الفضل: ندعو لك العباس؟!

فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً (عليه السلام) فسكت.

فقال عمر: قوموا عن رسول الله (ﷺ) (١).

وفي نص آخر: أنه (ﷺ) قال: ادعو إليّ حبيبي، فدعوا أبا بكر، ثم عمر، فأعرض عنهما، فدعوا له علياً، فلما

رآه أفرج له الثوب

١- مسند أحمد ج ١ ص ٣٥٦ ومناقب آل أبي طالب (ط الأضواء) ج ١ ص ٢٩٣ و (ط أخرى) ج ١ ص ٢٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٠٣ عنه، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٢١ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٣٩١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٣٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٣٣ و ٣٥ والجمل للمفيد ص ٢٢٧ وسفينة النجاة للتكايفي ص ١٤٩ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٣٩٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٢ ص ٨٩.

الذي كان عليه، ثم أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه^(١).
ومن طريق أهل البيت (عليهم السلام): أن عائشة دعت أباهما، فأعرض عنه، ودعت حفصة أباهما فأعرض عنه، ودعت
أم سلمة علياً (عليها السلام)، فواجه طويلاً ثم أغمي عليه^(٢).
وقد ذكرنا هذه الروايات مع مصادرها في آخر الجزء السابع من هذا الكتاب في فصل: أحداث جرت في مرض
النبي (صلى الله عليه وآله) تحت

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٠٣ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٩٣
ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٧٠ والمناقب للخوارزمي ص ٦٨ وشرح الأخبار ج ١ ص ١٤٧ والأمثالي للطوسي ص ٣٣٢ والطوائف
لابن طاووس ص ١٥٤ والعقد النضيد والدر الفريد ص ٩٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ١٧٥ وكشف الغمة ج ١ ص ١٠٠ والدر
النظيم ص ١٩٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٢٨ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٥٥ و ٤٧٣ و ج ٣٨ ص ٣٠٨ و ٣١٢ و خلاصة عبقات الأنوار
ج ٣ ص ٢٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٣٣٥ و ج ١٥ ص ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ج ٢١ ص ٦٧٠ و ٦٧١ و ج ٢٢ ص ٢١٢ و
٢١٣ و ج ٣٠ ص ٦٥٢ و ج ٣١ ص ٥٢ وراجع: عمدة القاري ج ١٨ ص ٧١ وبشارة المصطفى ص ٣٧٣.
٢ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٠٣ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٢١ والدر النظيم
ص ١٩٤.

عنوان: علي (عليه السلام) يروي ويستدل. وقد ذكرنا هناك بعض ما له ارتباط بهذه الروايات.

حب الرجل لقومه:

ويبقى أن نشير إلى أن الروايات تذكر: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال حين سمع جواب أنس: (الرجل يحب قومه). كما ذكرته بعض النصوص.

ونقول:

ألف: إن مراجعة النصوص والمقارنة بينها تظهر: أن ثمة محاولة للتصرف فيما خاطب به النبي (صلى الله عليه وآله) أنساً بعد سماع جوابه، وذلك بهدف تلطيف الجواب مهما أمكن.

بل قد يظهر من بعضها: أنه (صلى الله عليه وآله) كان بصدد التعبير عن الرضا، أو الإستحسان لتصرف أنس. والتصرف بكلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى هذا الحد غير مقبول، لأنه يصل إلى حد الخيانة، والإفتراء على رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

ب: لا شك في أن النبي (صلى الله عليه وآله) يدين تصرف أنس، لأكثر من سبب، أهونها: أنه قد انساق وراء العصبية الجاهلية التي ذمها الله ورسوله والأئمة الطاهرون، وحذروا منها أشد تحذير.

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): من كان في قلبه حبة خردل من

عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية^(١).

وعنه (عليه السلام): من تعصب أو تُعصِبَ له، فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه.

وفي نص آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (الإيمان) بدل (الإسلام)^(٢).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: من تعصب عصبه الله بعصاة

١ - الكافي ج ٢ ص ٣٠٨ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٨٤ و ٢٨٩ عن الكافي، والأماشي للصدوق ص ٣٦١ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٧٠٤ و ثواب الأعمال ص ٢٤١ و (ط منشورات الشريف الرضي) ص ٢٧١ و وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٣٧١ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٢٩٦ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٢٥٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٧١.

٢ - الكافي ج ٢ ص ٣٠٧ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٩١ و ٢٨٣ و ثواب الأعمال ص ٢٤١ و وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٣٧٠ و ٣٧٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٢٩٦ و ٢٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٣٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٢٥٠ ومعارج اليقين للسيزواري ص ٤٦١ وأعلام الدين للدليمي ص ٤٠١ والإثنا عشرية للحر العاملي ص ١٩٦ و ١٩٧ ونور الثقلين ج ٥ ص ٧٢.

من نار^(١).

ولا شك في أن تعصب أنس لم يكن للحق وأهله، بل كان تعصباً جاهلياً.

فأولاً: إنه أنكر الخير على أهل الخير، وغمطهم حقهم.

ثانياً: إنه أساء إليهم، واستخف بهم، وبمقامهم، بإرجاعهم ثلاث أو أربع مرات.

ثالثاً: إنه لم ينفذ أمر رسول الله (ﷺ). بل خانه، كما ذكره ابن أبي داود.

رابعاً: صرحت رواية عن أنس بأنه يقول: إن الذي حملة على رد علي (عليه السلام) ثلاث مرات هو الحسد له (صلوات

الله عليه)^(٢).

خامساً: إنه (ﷺ) قد أنكر على أنس أن يرى أن أحداً من الأنصار أفضل من علي (عليه السلام)، وبين له: أن هذا

الظلم الشنيع

١ - الكافي ج ٢ ص ٣٠٨ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٨٤ و ٢٩١ وثواب الأعمال ص ٢٤١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٣٧١ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٢٩٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٤٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٧٢ ومعارج اليقين للسبزواري ص ٤٦١ والإثنا عشرية للحر العاملي ص ١٩٦.

٢ - مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٧٤ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ١٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٠ ص ٢٤٩.

لعلي (عليه السلام)، ولأجل ذلك ينكر عليه، ويقول:

(يا أنس، أوفي الأنصار خير من علي؟! أوفي الأنصار أفضل من علي (عليه السلام)؟!)(^١) .

وهذا يجعل أنساً مصداقاً للتفسير الوارد للعصبية المذمومة، فقد سئل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن العصبية،

فقال:

العصبية التي يأثم عليها صاحبها: أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين.

وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه. ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم (^٢) .

-
- ١ - بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٦ ومناقب الإمام علي لابن المغازي ص ١٦٦ وحياة الحيوان ج ٢ ص ٢٩٧ ونزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٢ والطرائف ص ١٨ و (ط الخيام . قم) ص ٧٣ وعن النير المذاب، والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٨ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٦ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٩٣ وغاية المرام ج ٥ ص ٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٦ ص ١٩٦ .
- ٢ - الكافي ج ٢ ص ٣٠٨ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٨٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٣٧٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٢٩٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٤١ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٢٥١ ونور الثقلين ج ٥ ص ٧٣ والإثنا عشرية للحر العاملي ص ١٩٧ وراجع: طبقات خليفة ص ٢٠٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٣٢ .

أما العصبية المحمودة، فقد بينها أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المفصلة، بقوله: (فإن كان لا بد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور)^(١).

سادساً: إن ملاحظة نصوص الحديث تشير: إلى أن أنس بن مالك قد مؤّه على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). بل في بعضها: أنه كذب عليه ثلاث مرات.. وهذا يضاعف علامة استفهام كبيرة حول مدى استقامة أنس، وحول ما يدعى عدالة كل من رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يستدلون على ذلك بآيات القرآن، وقد ذكرنا أن الآيات لا تدل على ذلك^(٢).

والحديث الذي يكذب فيه أنس على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعترف هو بذلك هو التالي:
عن أنس: بعثني أم سليم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطير مشوى، ومعه أرغفة من شعير، فأتيته به، فوضعت بين يديه، فقال: يا أنس، ادع لنا من يأكل معنا من هذا الطير، اللهم آتنا بخير خلقك.

١ - راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ١٥٠ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ٤٧٢ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٢٥١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ١٦٦ ونور الثقلين ج ٤ ص ٣٣٨ وحياة الإمام الحسين (عليه السلام) للقرشي ج ١ ص ٤١٦.
٢ - راجع: صراع الحرية في عصر المفيد.

فخرجت فلم تكن لي همة إلا رجل من أهلي آتية فأدعوه، فإذا أنا بعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فدخلت فقال: أما وجدت أحداً؟!!

قلت: لا.

قال: انظر فنظرت، فلم أجد أحداً إلا علياً.

ففعلت ذلك ثلاث مرات، ثم خرجت، فرجعت، فقلت: هذا علي بن أبي طالب يا رسول الله.

فقال: ائذن له. اللهم وإلي، اللهم وإلي، وجعل يقول ذلك بيده، وأشار بيده اليمنى يحركها^(١).

بل هو قد صرح في رواية أخرى عنه: بأنه إنما رد علياً (عليه السلام) في المرات كلها حسداً منه، فراجع^(٢). فإن هذا أشنع

وأبشع أن تجد صحابياً يحسد أحب الخلق إلى الله ورسوله، ويجعل نفسه مصداقاً لقوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)^(٣)، ولقوله تعالى: (حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)^(٤).

سابعاً: في حديث آخر يعترف أنس: أنه يرد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه كذب على علي أيضاً.

١ - حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٣٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٤٦.

٢ - تقدمت مصادر ذلك.

٣ - الآية ٥٤ من سورة النساء.

٤ - الآية ١٠٩ من سورة البقرة.

فهو يقول: لما وضع بين يديه قال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير.
قال أنس: أريد أن يأكله رسول الله (ﷺ) وحده. فجاء علي: فقلت رسول الله نائم.
قال: فرفع يده ثانية، وقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجاء علي فقلت: رسول
الله نائم.

قال: فرفع يده الثالثة: فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطير.
قال أنس: كم أرد على رسول الله (ﷺ). أدخل.
فلما رآه قال: اللهم وإلي، فأكلا جميعاً^(١).
ملاحظة: قوله: اللهم وإلي، يريد أن يعطف كلمة إلي على كلمة إليك، ليصير الكلام هكذا: بأحب خلقك إليك
وإلي..

دلالات أخرى في حديث الطير:
وفي نص آخر يقول أنس: فلما دخل مسح رسول الله وجهه، ثم مسح رسول الله بوجه علي، ثم مسح وجه علي
فمسحه بوجهه. فعل ذلك ثلاث مرات.
فبكى علي، ثم قال: ما هذا يا رسول الله؟!

١ - كفاية الطالب ص ١٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٤٤.

فقال: ولم لا أفعل بك هذا؟! وأنت تسمع صوتي، وتؤدي عني، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي.
ثم قال رسول الله (ﷺ): اللهم إني سألتك أن تأتيني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطير، فجئت به. اللهم وإنه أحب خلقك إلي (١).

ونقول:

دل هذا الحديث على أمور عديدة، نذكر منها:

١. أن الرسول (ﷺ) قد مسح وجهه أولاً، ثم مسح وجهه علي (عليه السلام). أي أنه أراد أن يبارك على علي (عليه السلام) بآثار وجهه هو (ﷺ). ثم مسح وجهه علي (عليه السلام)، وأخذ من آثاره ومسح بها (ﷺ) وجهه الشريف، لينال هو (ﷺ) من بركات وجهه علي (عليه السلام).

وقد كرر ذلك ثلاث مرات، طلباً للمزيد من الثواب، ولتأكيد المعنى في الأذهان بصورة نهائية..

وهذا يبطل ما يزعمه بعض الناس من حرمة التبرك، واعتباره من الشرك.

٢. إن علياً (عليه السلام) قد بكى فرحاً برضوان الله تبارك وتعالى،

١ - مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٦ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ١٤١ و ١٤٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٢٨.

ولم يبك حزناً على شيء فاته، كما لم يأخذه الزهو والغرور، بل اعترف لله بالعبودية، وأن ما به من نعمة وفضل فمن الله سبحانه..

ولأجل ذلك سأل رسول الله (ﷺ) عن السبب الذي أوجب أن يفعل به ما فعله، فإنه لم ير نفسه مستحقاً لشيء من ذلك.

٣ - إنه (ﷺ) علل تبركه بعلي (عليه السلام) بثلاثة أمور:

الأول: أنه يسمع صوته. أي بنحو لا يتيسر لغيره. أي أنه يسمعه في كل زمان ومكان.. وحيثما كان. فدل ذلك على أن الله تعالى قد حباه بهذه المنحة التي لا ينالها إلا من اختاره الله لأمر عظيم.. ولأنه يستحق هذا الأمر لأهلية واستعداد كان فيه.

كما أنه يشير بذلك إلى أنس ليعرفه أن علياً كان مطلعاً على الأمر، غير أنه كان يعامله بالعفو والصفح. كما أن ذلك يتضمن دلالة وإشارة إلى صفة من صفات إمامته (عليه السلام).

الثاني: إنه يؤدي عنه. فدل ذلك على خلافته له، وعلى أنه حامل الأمانة بعده، ولا يكلف بهذه المهمة إلا من كان من الأولياء والأصفياء، الذين تلمس البركة والزيادة والسمو الروحي والمادي منه.

الثالث: إنه يملك من المعارف والعلوم ما ليس لدى أحد سواه، فهو القادر على حل المشكلات، وإزالة الخلافات بعلمه الصائب، وحرصه على شرع الله، وعلى كل حقائق الدين، ومن كان كذلك، فإن التماس البركة منه يكون أولى وأكثر، لأنه عالم عامل بعلمه.

لا أهمية لأكل الطير:

وقال ابن تيمية: إن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم هنا يناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل معه. فإن إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الأكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا^(١).

وأجاب العلامة الحجة الشيخ محمد حسن المظفر بما يلي:

بل هنا أمر عظيم، وهو تعريف الأحب إلى الله للناس، بدليل وجداني، فإنه أكد من اللفظ، وأقوى في الحجة. كما عرفهم نبي الهدى (ﷺ): أن علياً حبيب الله في قصة خيبر، بإخبارهم: بأنه يعطي الراية من يحبه الله ورسوله، ويجب الله ورسوله، وأن الفتح على يده.

على أنه يكفي في المناسبة رغبة النبي (ﷺ) بأن يأكل مع أحب الخلق إلى الله، وإليه^(٢).

ألا يعرف النبي (ﷺ) أحب الخلق إلى الله؟!:

وقال ابن تيمية أيضاً: هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة، لأنهم يقولون: إن النبي (ﷺ) كان يعرف أحب الخلق إلى الله. وإنه جعله خليفة من بعده. وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحب

١ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٣.

٢ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٣.

الخلق إلى الله..

وأجاب العلامة الحجة المظفر أيضاً: بإننا لا نعرف وجه الدلالة على أنه لا يعرف.

أتره لو قال: ائني بعلي، يدل على عدم معرفته له؟!

وكيف لا يعرفه، وقد قال كما في بعض الأخبار: اللهم ائني بأحب الخلق إليك وإلي؟!

وقال لعلي في نصٍ آخر: ما حبسك علي؟!

وقال له في بعضها: ما الذي أبطأ بك؟!

فالنبي (ﷺ) كان عارفاً، لكنه أجهم في الكلام ليحصل التعيين من الله سبحانه، فيعرف الناس: أن علياً (عليه السلام)

هو الأحب إلى الله تعالى بنحو الإستدلال^(١).

حديث الطير لا ينافي النبوة:

قال علي بن عبد الله الداهري: سألت ابن أبي داود بالري عن حديث الطير، فقال: إن صح حديث الطير فنسبوة

النبي (ﷺ) باطلة، لأنه يحكي عن حاجب النبي (ﷺ) خيانة، وحاجب النبي لا يكون خائناً^(٢).

١ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٣.

٢ - تاريخ مدينة دمشق ج ٢٩ ص ١٧٩ و (ط دار الفكر) ج ٢٩ ص ١٧٩ ترجمة = عبد الله بن سليمان بن الأشعث، المعروف بأبي بكر بن أبي داود الأزدي السجستاني، والكامل لابن عدي ج ٤ ص ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٣١ و ٥١٧.

ونقول:

أولاً: لا ملازمة بين خيانة حاجب النبي، وبين بطلان نبوة ذلك النبي.. فقد يكون الحاجب مؤمناً، وقد يكون منافقاً وفاسقاً، وقد يكون عالماً وقد يكون جاهلاً.. وقد.. وقد..

ثانياً: قال تعالى: (صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ)^(١). فهل كفر زوجة نبي، أو كفر ابن نوح يطل نبوة ذلك النبي؟!

حديث الطير وعموم الأفضلية:

وأشكل في المواقف وشرحها على الحديث: بأنه لا يفيد أنه أحب إليه في كل شيء، لصحة تقسيم وإدخال لفظ الكل والبعض، ألا ترى أنه يصح أن يستفسر ويقال: أحب إليه في كل الأشياء، أو في بعض الأشياء، فلا يدل على الأفضلية مطلقاً.

والجواب: أن الإطلاق مع عدم القرينة على الخصوص يفيد العموم في مثل المقام، ألا ترى أن كلمة الشهادة تدل على التوحيد، وبمقتضى ما ذكرناه

١ - الآية ١٠ من سورة التحريم.

ينبغي أن لا تدل عليه، لإمكان الإستفسار بأنه لا إله إلا هو في كل شيء، أو في السماء، أو في الأرض، إلى غير ذلك، فلا تفيد نفي التشريك مطلقاً، وهذا لا يقوله عارف، والعجب منهما أن يقولوا ذلك، وهما يستدلان على فضل أبي بكر بقوله تعالى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى) (١). زاعمين: أن المراد بالأتقى أبو بكر، فيكون أفضل. والحال أنه يمكن الإستفسار بأنه الأتقى في كل شيء، أو في بعض الأشياء، مضافاً إلى أنه لا يصح حمل الحديث على إرادة الأحب في بعض الأمور، وإلا لجاء مع علي (عليه السلام) كل من هو أحب منه بزعمهم في بعض الأمور كالشيخين، لاستجابة دعاء النبي (صلى الله عليه وآله)، والحال أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد ردهما كما في حديث النسائي، ونحن نمنع أن يكون أحد أحب إلى الله سبحانه بعد النبي (صلى الله عليه وآله) من علي (عليه السلام) في شيء من الأشياء، لما سبق في المبحث الثاني من مباحث الإمامة: أن الإمام أفضل الناس في كل شيء، فيكون أحب إلى الله تعالى في كل شيء (٢).

١ - الآية ١٧ من سورة الليل.

٢ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

الفصل التاسع:
من أحاديث الإمامة..

النداء بالولاية بعد الغدير:

وقبل وفاة النبي (ﷺ) بتسعة عشر يوماً كان النداء بالولاية، الذي رواه الإمام الكاظم، عن أبيه عن جده (عليه السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:

أمرني رسول الله (ﷺ) أن أخرج فأنادي في الناس: ألا من ظلم أجيئاً أجره فعليه لعنة الله. ألا من تولى غير مواليه فعليه لعنة الله. ألا ومن سب أبويه فعليه لعنة الله.

قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): فخرجت فناديت في الناس كما أمرني النبي (ﷺ).

فقال لي عمر بن الخطاب: هل لما ناديت به من تفسير؟!

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: فقام عمر وجماعة من أصحاب النبي (ﷺ)، فدخلوا عليه، فقال عمر: يا رسول الله، هل لما نادى علي

من تفسير؟!

قال: نعم، أمرته أن ينادي: ألا من ظلم أجيئاً أجره فعليه لعنة الله، والله يقول:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ^(١)، فمن ظلمنا فعليه لعنة الله.
وأمرته أن ينادي: من توالى غير مواليه فعليه لعنة الله، والله يقول: (الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ^(٢)، ومن
كنت مولاه فعلي مولاه، فمن توالى غير علي فعليه لعنة الله.
وأمرته أن ينادي: من سب أبويه فعليه لعنة الله، وأنا أشهد الله وأشهدكم أني وعلياً أبو المؤمنين، فمن سب أحدنا
فعليه لعنة الله.

فلما خرجوا قال عمر: يا أصحاب محمد، ما أكد النبي علي في الولاية في غدیر خم، ولا في غيره، أشد من تأكيده
في يومنا هذا.

قال خباب بن الأرت: كان هذا الحديث قبل وفاة النبي (ﷺ) بتسعة عشر يوماً ^(٣).
ونقول:

١ - إن هذا النداء بمضمونه، لا بد أن يشير لدى الناس أكثر من سؤال، فإن الأمور التي نادى بها لا يجهل الناس
حرماتها، وليس في النداء بها إبهام في معناها القريب والظاهر. ولكن نفس هذا الوضوح هو منشأ الغموض،

١ - الآية ٢٣ من سورة الشورى.

٢ - الآية ٦ من سورة الأحزاب.

٣ - بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٨٩ عن ابن طاووس، وغاية المرام ج ٣ ص ٢٣٢ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٩٣.

- فيأنهم يعلمون: أن وضوحه يجعل النداء به على هذا النحو غير مفهوم.
- ولو كان ثمة من يحتاج إلى تذكير وتأكيد على الحرمة، فيمكن القيام بذلك في الجلسات، وفي خطب الجمعة، وعند حضورهم لصلاة الجماعة وما إلى ذلك.
- فإذا وجد الناس للوهلة الأولى أنه ضرورة للنداء، فلا بد أن تنور الأسئلة لديهم عن سبب ذلك ومغزاه..
- ٢ . ثم إنهم لا بد أن يتساءلوا عن الجامع الذي برر جمع هذه الثلاثة، في نداء واحد، إذ لماذا ربط (ﷺ) بين ظلم الأجير أجره، وبين تولي الإنسان غير مواليه؟! ثم ما الذي برر ضم هذين إلى موضوع سب الأبوين؟!
- ٣ . كما أن تولي أمير المؤمنين (عليه السلام)، وانتدابه للقيام بهذا النداء، يثير هو الآخر التعجب والتساؤل..
- ٤ . ولأجل ذلك بادر عمر بن الخطاب إلى سؤال علي (عليه السلام) عن تفسير ذلك، ولكنه لم يجد الجواب عند علي (عليه السلام)، بل أحال علم ذلك على الله ورسوله.. فزاد بذلك الحماس لمعرفة الدوافع والأسباب، واتسعت دائرة الإتهامات، وكثر المهتمون باستجلاء الحقيقة..
- ٥ . ولم يعد الأمر مقصوراً على عمر، بل تعداه إلى غيره، فقام معه جماعة من أصحاب النبي (ﷺ)، فدخلوا على رسول الله (ﷺ) وسألوه عن الأمر.. ولم نجدهم يفعلون مثل ذلك في الحالات المشابهة، فدل ذلك على أنهم رأوا أن النداء يتضمن أمراً خفياً، وأنه

يعنيهم الإطلاع عليه .

٦ . وكانت المفاجأة الكبرى لعمر في تفسير رسول الله (ﷺ) لمضمون النداء، حيث ظهر له أنه يضارع في خطورته وأهميته ما جرى في يوم عرفة، وفي يوم الغدير . وأنه مكمل لهما .

فالمراد بالأجير: أهل البيت (عليهم السلام)، وعلى الأمة أن تؤدي لهم (عليهم السلام) أجر إبلاغ الرسالة بنص القرآن الكريم:
(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١) .

والمراد بالمولى الذي يجب توليه، ويلعن الله من تولى غيره هو علي (عليه السلام)، الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم . وهو - كرسول الله (ﷺ) - مولى كل مؤمن ومؤمنة .

والمراد بالأب الذي لا يجوز سبه، ويلعن الله تعالى من يسبه هو علي أيضاً .

٧ . يبدو لنا: أن قوله في الفقرة الثالثة: من سب أبويه فعليه لعنة الله، كان هو المفتاح الذي أراد رسول الله

(ﷺ) أن يفتح به أبواب الحيرة أمام عمر وغيره من الصحابة، حيث لا بد أن يستوقفهم الحديث عن سب الأبوين

، في حين أن المتعارف هو الحديث عن عقوقهما في مقابل برهما .

واللافت هنا: أن علياً (عليه السلام) قد سب على منبر أهل الإسلام

١ - الآية ٢٣ من سورة الشورى .

حوالي ألف شهر.

٨ . وقد اعترف عمر بن الخطاب نفسه مباشرة هنا بأن التأكيد على الولاية في هذا النداء أشد مما جرى في غدیر خم وغيره من شأن هذا أن يضاعف من مسؤوليته عما جرى حين وفاة رسول الله (ﷺ)، وسوف يصعب عليه التماس العذر لنفسه. وكذلك التماس الناس له العذر في ذلك ..

٩ . ولا ينبغي أن نحمل الإشارة هنا إلى أنه قد ظهر أن الذي تعارف عليه الناس هو إرادة الأب والأم معاً من كلمة (الأبوين)، ولكن قد ظهر في هذه الرواية: أن المراد بهما: النبي (ﷺ)، وعلي (عليه السلام).. وذلك على القاعدة التي أطلقها رسول الله (ﷺ): (أنا وعلي أبوا هذه الأمة).

١٠ . وقد أظهر ما جرى: أنه (ﷺ) كان يمارس أرقى الأساليب المؤثرة في تركيز المفهوم في اذهان الناس.. وبصورة تفرض على الآخرين الحرص بأقوى صوره على اقتناص الفكرة التي يريد إبلاغهم إياها قبل أن يتفوه بها.. رغم أن تلك الفكرة قد تكون مرةً بالنسبة لأولئك الناس.. وربما يكونون في الحالات العادية من أشد الناس اهتماماً بخنقها، وبالتعتيم عليها، ومصادرتها، أو اغتيالها من عقول الناس، فإن لم يمكنهم ذلك عملوا على مسحها، وتشويهها بكل الوسائل..

إخراج الإمامة عن دائرة الإختيار:

١ . عن ثابت، عن أنس، قال: انقضَّ كوكب على عهد رسول الله

(ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): انظروا إلى هذا الكوكب، فمن انقضَّ في داره، فهو الخليفة من بعدى.
فنظروا، فإذا هو قد انقضَّ في منزل علي (عليه السلام)، فأُنزل الله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
عَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (١) (٢).

٢ - وفيه أيضاً: بسنده إلى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي
(ﷺ)، إذ انقضَّ كوكب، فقال رسول الله (ﷺ): من انقضَّ هذا النجم في منزله، فهو الوصي من بعدى.
فقام فتية من بني هاشم، فنظروا، فإذا الكوكب قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب (عليه السلام). قالوا: يا رسول
الله، قد غويت في حب علي (عليه السلام)، فأُنزل الله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

١ - الآيات ١ - ٤ من سورة النجم.

٢ - المناقب لابن المغازي ص ٢٦٦ رقم الحديث ٣١٣، والعمدة لابن البطريق ص ٩٠ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٠ وراجع: مدينة المعاجز ج ٢
ص ٤٣٥ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٥ ولسان الميزان ج ٢ ص ٤٤٩ وكشف اليقين ص ٤٠٨ والشهب
الثواقب للشيخ محمد آل عبد الجبار ص ٦١ وغاية المرام ج ١ ص ٢٢٨ و ج ٤ ص ٢٣١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٨٦ و ٣٥٣
وج ١٤ ص ٢٩٧ و ١٥ ص ٢١٠ .

عَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) إلى قوله تعالى: (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) (١) (٢).

٣ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: اجتمع أصحاب رسول الله (ﷺ) ليلة في العام الذي فتح فيه مكة، وقالوا: يا رسول الله، من شأن الأنبياء، أنهم إذا استقام أمرهم أن يوصوا إلى وصي، أو من يقوم مقامه بعده، ويأمر بأمره، ويسير في الأمة بسيرته.

فقال (ﷺ): قد وعدني ربي بذلك، أن يبين لي ربي عز وجل من يختاره للأمة خليفة بعدي. ومن هو الخليفة على الأمة: بأنه ينزل

١ - الآيات ٧ - ١ من سورة النجم.

٢ - المناقب لابن المغازلي ص ٣١٠ رقم الحديث ٣٥٣، والعمدة لابن البطريق ص ٧٨ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٩٢ وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ١ ص ٥٥٦ والصراط المستقيم ج ١ ص ٢٣٢ والطرائف لابن طاووس ص ٢٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٢ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٤٤٤ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٤٣٦ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١١٩ وتفسير فرات ص ٤٥١ وخصائص الوحي المبين ص ٩٥ ونهج الإيمان ص ١٩٨ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٦٢٠ والشهب الثواقب للشيخ محمد آل عبد الجبار ص ٥٧ وغاية المرام ج ٢ ص ١٤٥ وج ٤ ص ٢٣١ وشرح إحقاق الحق (المحققات) ج ٣ ص ٣٣٦ وج ٤ ص ٨٥ وج ١٤ ص ٢٩٤ وج ١٥ ص ١٣٦ وج ٣٠ ص ٧٨.

من السماء نجم، ليعلموا من الوصي بعدي.
قال: فلما فرغوا من صلاتهم، صلاة العشاء الآخرة، في تلك الساعة. والناس ينظرون ما يكون، وهي ليلة مظلمة، لا قمر فيها، وإذا بضوء قد أضاء منه المشرق والمغرب.
وقد نزل نجم من السماء إلى الأرض، وجعل يدور على الدور، حتى وقف على حجرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وله شعاع عظيم هائل.
وقد أضاءت بشعاعه الدور، وقد فزع الناس، وصار على الحجرة.
قال: فجعل الناس يكبرون ويهللون، وقالوا: يا رسول الله، نجم من السماء، قد نزل على ذروة حجرة دار علي بن أبي طالب (عليه السلام).
قال: فقام، وقال: هو - والله - الوصي من بعدي، والقائم بأمري، فأطيعوه ولا تخالفوه، وقدموه ولا تتقدموا عليه، فهو والله خليفة الله في أرضه بعدي.
قال: فخرج الناس من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله).
فقال واحد من المنافقين: ما يقول محمد في ابن عمه إلا بالهوى، وقد ركبت الغواية حتى لو أمكن أن يجعله نبياً، لجعله نبياً.

قال: فنزل جبرئيل (عليه السلام) وقال: يا محمد، ربك يقرؤك السلام، ويقول لك اقرأ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

عَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (١) (٢).

ونقول:

١ - إن انقضاض كوكب من السماء، وسقوطه في موضع بعينه ليس من الأمور التي تخضع لإرادات الناس العاديين، بل هو حدث كوني لا يرى الناس أن لهم فيه حيلة، ولا إلى بلوغه وسيلة..
كما لا سبيل لهم إلى تحديد موقع سقوط الكوكب، إذا لم يقع على مرأى مباشر منهم. فقول رسول الله (ﷺ) لهم: من انقضَّ في داره فهو الخليفة من بعدي، لا يمكن إلا أن يكون بوحى من الله تبارك وتعالى.. إذ لا يعقل أن تجعل الإمامة والخلافة، وقيادة الأمة وهدايتها معلقة على الصدفة المحضة، فلعل الكوكب قد وقع في الصحراء، أو في إحدى ساحات أو طرقات وأزقة المدينة، ولم يقع في دار أحد. أو وقع في داركافر، أو منافق أو جاحد، أو امرأة أو مجنون. أو جاهل أو ما إلى ذلك.. فهل يمكن أن تسلم الأمة لأمثال هؤلاء؟!

٢ - إن رسول الله (ﷺ) كان قد بين لبني هاشم،

١ - الآيات ١ - ٤ من سورة النجم.

٢ - در بحر المناقب (مخطوط) لابن حسنويه الموصلية الحنفي ص ١٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٨٦ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٣٥ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص ١٧٢ وراجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٢٤٣ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ١٦١.

ولغيرهم في مناسبات كثيرة من هو الإمام والخليفة من بعده، ومن ذلك حديث إنذار العشيرة الأقربين.
ولكن النفوس تأبي، والأهواء تمنع من الإستسلام والرضا.. فكانوا ينسبون النبي (ﷺ) إلى الهوى والعصبية في ذلك.

فكان الله تعالى أراد أن يخرج هذا الأمر عن دائرة اختيار رسول الله (ﷺ)، ليفهمهم أن الأمر قرار إلهي، لا حيلة للنبي، ولا لغيره فيه. فما عليهم إلا الرضا به، والبخوع له. والكف عن إثارة الهواجس الباطلة بالطريقة التي لا يرضاها الله تبارك وتعالى..

٣. ما ذكرته الرواية الأخيرة، من أن أحد المنافقين خرج، وهو يتهم رسول الله (ﷺ) بالعمل بالهوى، وبأنه قد ركبته الغواية في علي (عليه السلام)، ربما كان قبل انقضاء الكوكب، وبعد إخبار النبي (ﷺ) بانقضاضه.. ثم لما حصل ما حصل نزلت الآيات المباركة.

فإن هذا هو المسار الطبيعي للحدث، إذ لا معنى لأن يتهم ذلك المنافق النبي (صلى الله عليه وآله) بالعمل بالهوى والغواية، بعد ظهور هذه المعجزة العظيمة، التي كان قد أخبرهم بها قبل وقوعها.

أولئك هم خير البرية:

وروي عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي (ﷺ)، فأقبل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال النبي (ﷺ): قد أتاكم أخي.

ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة.
ثم قال: إنه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية،
وأعظمكم عند الله منزلة.

قال: فنزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ^(١).

قال: وكان أصحاب محمد رسول الله (ﷺ) إذا أقبل علي (عليه السلام) قالوا: قد جاء خير البرية ^(٢).
ونقول:

نلاحظ هنا ما يلي:

١ - الآية ٩ من سورة الحشر.

٢ - ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق (تحقيق المحمدي) ج ٢ ص ٤٤٢ وتاريخ مدينة دمشق (تحقيق الشيري) ج ٢ ص ٣٧١
وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة الكوفي ص ٢١٩ وبشارة المصطفى ص ١٩٦ و ٢٩٦ والمناقب للخوارزمي ص ١١١ وكشف الغمة ج ١
ص ١٥١ وج ٢ ص ٢٣ وينايع المودة ج ١ ص ١٩٦ والأمالى للطوسي ص ٢٥١ والمختصر للحلي ص ١٦٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٤٠٧ وبحار
الأنوار ج ٣٨ ص ٥ وغاية المرام ج ٣ ص ٢٩٩ و ٣٠٢ وج ٥ ص ٥ و ١٨٦ وج ٦ ص ٥٥ وشرح إحقاق الحق (المللحات) ج ٤ ص ٢١٧ وج ١٤
ص ٢٥٨.

- ١ . صرحت الرواية: بأن هذا الذي جرى كان بجوار الكعبة، فدل ذلك على أن هذه القضية قد حصلت إما في عمرة القضاء، أو في فتح مكة، أو في حجة الوداع.
- ٢ . إنه (ﷺ) يقول لأصحابه حين أقبل علي (ﷺ): (قد أتاكم أخي..). مع أن الحاضرين قد رأوا علياً (ﷺ) مقبلاً، كما رآه رسول الله (ﷺ). مما يعني: أنه (ﷺ) قد اتخذ من إقبال علي (ﷺ) ذريعة للحديث عن علي (ﷺ)، وإبلاغهم أمراً يرى (ﷺ) أن إبلاغهم له لازم وضروري..
- وهذا الأمر إما للتأكيد على أمر سبق بيانه، أو هو تأسيس لأمر جديد، أو هما معاً، وهذا هو الظاهر كما بينته المضامين التي صدرت عنه (ﷺ) ..
- ٣ . إنه (ﷺ) قد ذكر في هذه الرواية ما يلي:
- ألف: ما هو بمثابة التذكير بأمر سابق، يريد للناس أن لا ينظروا إليه على أنه حدث عابر، بل هو أمر له أهميته البالغة، ويراد التأسيس والبناء عليه، ألا وهو موضوع أخوة علي (ﷺ) لرسول الله (ﷺ)، التي تجلت في عملية المؤاخاة في مطلع الهجرة وقبلها.
- ب: تقرير أمور هامة وأساسية لصيانتها عن التلاعب، وإفشال محاولات إنكارها، ألا وهي كونه (ﷺ) أولهم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله.

٤ - إنه (ﷺ) بين أمرين:

أولهما: أفضلية علي (عليه السلام) على جميع الصحابة في ذاته، وشخصيته الإسلامية، فهو أولهم في الإيمان، وأولهم في العمل والممارسة، فإنه أوفاهم بعهد الله.

ثانيهما: إنه (ﷺ) فضل علياً (عليه السلام) عليهم بأمور ترتبط بالحكومة والسلطة، وهي: كونه أقومهم بأمر الله، وأعددهم في الرعية، وأقسمهم بالسوية، والأقوم بأمر الله، فقد أخرجهم (ﷺ) عن عمومهم بذكر الرعية والقسمة.. ليدل بصورة واضحة على أنه يريد أن يسد أمامهم باب منافسته (عليه السلام) في أمر الحكومة والولاية.

٥ - إنه (ﷺ) قد وجه خطابه إلى الصحابة بصورة مباشرة، فقال: أولكم، أوفاكم، أقومكم، أعدلكم، أقسمكم، أعظمكم. وإنما لم يقل: أول الناس مثلاً، لكي يمنع من ظهور أي تأويل، أو توهم يريد أن يدعي: أنه يتحدث عن سائر الناس، ولم يقصد الحاضرين عنده، أو الصحابة.. أو كبارهم.. أو نحو ذلك..

٦ - وقوله (ﷺ): أعظمكم عند الله مزية يشير إلى أن هذا الأمر قد ترك آثاره في مجال أسمى وأعظم من أن يمكنهم التصرف أو الإخلال فيه، لأنه أصبح قراراً إلهياً ماضياً..

وقد نزلت فيه آية مباركة تحسم كل جدل، ولا ينالها خطأ ولا خلل، ألا وهي قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ

الْبَرِيَّةُ^(١)

٧ . إن الطريقة التي اتبعها الرسول (ﷺ) في بيان ما يريد، جاءت فريدة ورائعة، حيث أرفق الحدث بحركة غير متوقعة، وهو: أنه (ﷺ) التفت إلى الكعبة وضربها بيده، ليدهم على أن ثمة أمراً اقتضى هذا التصرف الخارج عن المؤلف.. لا بد أن يتلمسه المتأمل حين ينتهي الحدث، ليكتشف مبرراته، ثم يبقى يعيش في ذهنه، ويتمكن من استحضاره من خلال تذكره لهذه الحركة التي تشده، فتستخرجه من أعماق الذاكرة، وتحضره أمامه، ليتبصره وهو على درجة عالية من التألق والوضوح.

أما لو أورد (ﷺ) كلامه بعفوية وترسل، لكان على الذاكرة أن تبذل جهداً كبيراً للعثور عليه بين ذلك الركام الهائل من الصور المتناثرة.. وربما لا توفق للعثور عليه أصلاً..

٨ . وقد ترك هذا الحدث أثره الظاهر في نفوس الناس، إلى حد أنهم كانوا إذا أقبل علي (ﷺ) قالوا: (قد جاء خير البرية).

٩ . وبذلك يكون (ﷺ) قد أقام الحجة عليهم، وأكد حضورها في عقولهم وقلوبهم، حين ربطها بهذا الحدث، الذي أصبح يتبادر إلى أذهانهم بصورة عفوية، فتجذره في عمق الوجدان، وتمازج مع المشاعر، التي تنطلق لتعبر عن نفسها بعفوية ظاهرة.

١٠ . إن ضرب الكعبة بيده، ربما أريد به لفت النظر إلى أن ما يريد أن

١ - الآية ٩ من سورة الحشر.

يقرره له مساس بالكعبة وحفظها.. وتأکید موقعها ومكانتها في النفوس..

كما أنه مرتبط بالتوحيد الذي تمثله الكعبة، وهي الرمز الأعظم والثابت له على مدى العصور والدهور. فلا بد من الإنقياد والطاعة لله الواحد تبارك وتعالى، والقبول بأن الأمر له.. وأن على الناس أن لا ينقادوا لأهوائهم، وأن لا يستجيبوا لطموحاتهم في أقدم الأمور، وأشدّها حساسية.

١١ . وبعد.. فإن هذه الروايات قد وردت في مصادر لا تمت إلى الشيعة بصلة.. وقد دونها أناس لا يقولون بالإمامة، أو فقل: لا ينسجمون في مذاهبهم الإعتقادية مع نظام الإمامة، وما يترتب على الإعتقاد به من واجبات ومسؤوليات.

وربما يمكن الاستفادة أمور أخرى من النص المتقدم، وقد يكون بعضها أدق وأعمق، وأوضح وأصرح مما ذكرناه، غير أننا نكل أمر البحث عنها وبلورتها إلى القارئ إن شاء.

ألف حديث في جلسة واحدة:

عن أم سلمة زوجة النبي (ﷺ) قالت: قال رسول الله (ﷺ) في مرضه الذي توفي فيه: ادعوا لي خليلي.

فأرسلت عائشة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله (ﷺ) وجهه، وقال: ادعوا لي خليلي.

فرجع أبو بكر، وبعثت حفصة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله

(ﷺ) وجهه، وقال: ادعوا لي خليلي.

فرجع عمر، وأرسلت فاطمة (رضي الله عنها) إلى علي، فلما جاء قام رسول الله (ﷺ)، فدخل، ثم جلت علياً (رضي الله عنه) بثوبه.

قال علي (رضي الله عنه): فحدثني بألف حديث، يفتح كل حديث ألف حديث، حتى عرقت وعرق رسول الله (ﷺ) فسأل علي عرقه، وسأل عليه عرقي^(١).

وهذا الحديث بهذا المضمون عن بشير الدهقان، عن أبي عبد الله (رضي الله عنه)، وعن غيره كثير^(٢).
وتقول:

أوردنا هذا الحديث، لنشير: إلى أنه لا مجال للإشكال عليه بأنه كيف يحدث النبي (ﷺ) بألف حديث في مثل هذه العجالة؟! فإن هذا مما لا يمكن حدوثه في العادة.

١- الخصال للصدوق ج ٢ ص ٦٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٦١ وبصائر الدرجات ص ٣٣٣ والإختصاص للمفيد ص ٢٨٥ وينايع المعاجز ص ١٤٨ وغاية المرام ج ٥ ص ٢٢٣.

٢- بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٦٣ و ٤٦١ و ج ٢٦ ص ٢٩ و ج ٤٠ ص ١٣٠ والخصال للصدوق ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٤٥ والإختصاص للمفيد ص ٢٨٣ والفصول المهمة للحر العاملي ج ١ ص ٥٦٢ وينايع المعاجز ص ١٤٧ ونهج السعادة ج ٧ ص ٤٦٥ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٤٤٤ وغاية المرام ج ٥ ص ٢٢٢.

ونجيب:

أولاً: من الذي قال: إن هذا التعليم كان بالوسائل العادية.. وباللغة والألفاظ المتعارفة والمألوفة. فلعل ثمة طريقة أو لغة أخرى يمكن اختزال الألفاظ فيها إلى أقل القليل، وبنحو لا يחדش في دلالاتها؟! ومن الذي قال: إن هذه المناجات لم تستمر ساعة أو ساعتين أو أكثر، ولا سيما مع تصريح الرواية بعرق النبي والوصي (صلى الله عليهما وآلهما) حتى سال عرق كل منهما على الآخر. ثانياً: إن العلم نور يقذفه الله في القلب^(١)، فلعل الله تعالى قد تصرف في النبي وفي علي (صلى الله عليهما وآلهما) حتى أمكن نقل هذا النور منه إليه، فحمل عنه ألف حديث يفتح له من كل حديث ألف حديث. وفي الروايات ما يشير إلى انتقال علم الإمامة أو أسرارها بطرق غير عادية، لحظة اجتماع الإمام السابق باللاحق، قبيل وفاة السابق^(٢).

-
- ١- فيض القدير ج ٤ ص ٥١٠ وتفسير ابن أبي حاتم ج ١٠ ص ٣١٨٠ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٠.
 - ٢- راجع على سبيل المثال: الأمالي للصدوق ص ٧٥٩-٧٦٢ وبحار الأنوار ج ٩ ص ٤٩٠-٣٠٣ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١ ص ٢٧١-٢٧٤ وروضة الواعظين ص ٢٢٩-٢٣٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٨٢ و ٤٨٣ ومدينة المعاجز ج ٧ ص ١٥٨-١٦٤ و ٣٢٩-٣٣٢ ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ١٩٣-١٩٦ وموسوعة الإمام الجواد = للقزويني ج ١ ص ٢١٩-٢٢٤ وإعلام الوري ج ٢ ص ٨١-٨٥ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٢٠-١٢٣.

أم سلمة تشهد لعلي (عليه السلام):

عن علي بن محمد بن المنكدر، عن أم سلمة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله)، وكانت من ألطف نساءه، وأشدهن له حباً بعد زوجته خديجة (عليها السلام)، قال: وكان لها مولى يحضنها ورباها، وكان لا يصلي صلاة إلا سب علياً وشمته.

فقالت: يا أبة، ما حملك على سب علي؟!!

قال: لأنه قتل عثمان وشرك في دمه.

قالت له: لولا أنك مولاي وربيتني، وأنت عندي بمنزلة والدي ما حدثتك بسر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن اجلس

حتى أحدثك عن علي وما رأيت في حقه.

قالت: أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان يومي، وإنما كان يصيبني في تسعة أيام يوم واحد، فدخل النبي وهو يخلل

أصابعه في أصابع علي (عليه السلام) واضعاً يده عليه، فقال: يا أم سلمة، أخرجي من البيت، وأخليه لنا.

فخرجت وأقبلا يتناحيان، وأسمع الكلام، ولا أدري ما يقولان، حتى إذا قلت: قد انتصف النهار، وأقبلت فقلت:

السلام عليك يا رسول الله، ألعج؟!!

فقال النبي (ﷺ): لا تلجي، وارجعي مكانك.

ثم تناجيا طويلاً حتى قام عمود الظهر، فقلت: ذهب يومي، وشغله علي، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، ألع؟!

فقال النبي (ﷺ): لا تلجي.

فرجعت، فجلست مكاني، حتى إذا قلت: قد زالت الشمس، الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي، ولم أر قط يوماً أطول منه، فأقبلت أمشي حتى وقفت فقلت: السلام عليك يا رسول الله، ألع؟!

فقال النبي (ﷺ): نعم تلجي.

فدخلت وعلي واضع يده على ركبتي رسول الله (ﷺ)، قد أدنى فاه من أذن النبي (ﷺ)، وفم النبي (ﷺ) على أذن علي يتساران، وعلي يقول: أفأمضي وأفعل؟!

والنبي يقول: نعم.

فدخلت، وعلي معرض وجهه حتى دخلت، وخرج.

فأخذني النبي (ﷺ) وأفعدني في حجره، فأصاب مني ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والإعتذار، ثم قال: يا أم سلمة، لا تلوميني، فإن جبرئيل أتاني من الله بما هو كائن بعدي، وأمرني أن أوصي به عليك من بعدي، وكنت جالساً بين جبرئيل وعلي، وجبرئيل عن يميني وعلي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن أمر عليك بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة، فاعذريني ولا تلوميني، إن الله عز وجل اختار من كل أمة نبياً، واختار لكل

نبي وصياً، فأنا نبي هذه الأمة، وعلي وصيبي في عترتي، وأهل بيتي، وأمتي من بعدي^(١).
ونقول:

نحتاج إلى التذكير هنا بالعديد من الأمور، نذكر منها:

١ - إن مكانة علي (عليه السلام) لدى أم سلمة لا تعدلها مكانة أحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).. وإذا كانت (رضوان الله تعالى عليها) أشد نساء النبي حباً له (صلى الله عليه وآله)، فلا بد أن تكون أشدهن حباً لمن يحبه رسول الله (صلى الله عليه وآله).. ولا سيما بملاحظة أقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه، وعظيم ثناء الله تعالى عليه..
وبذلك يتأكد: أن قداسة ومكانة علي عندها، وموقعه في منظومتها الإعتقادية يجعلها في غاية التوتر، والنفور ممن ينحرف عنه ويميل إلى غيره،

١ - الطرائف لابن طاووس ص ٨ و (ط مطبعة الخيام) ص ٢٤ والمناقب للخوارزمي ص ٨٨ وفرائد السمطين باب ٥٢ حديث ٢٢٢ وبشارة المصطفى ص ٧٠ بسند آخر (نقلًا عن هامش تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي ج ٣ ص ٩)، والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص ١٨٢ والصراف المستقيم ج ٢ ص ٢٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٨ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٠٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١١٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه الأصفهاني ص ١٠٥ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٠١ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٢٠٠ وغاية المرام ج ٦ ص ٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٧٦ وج ١٥ ص ١٧١.

فكيف بمن يناوئه ويعاديه، أو يسبه ويشتمه؟!

فإذا كان الذي رباها يسب علياً (عليه السلام)، ويشتمه عند كل صلاة، فالمتوقع أن ترفضه، وتنفر منه، وتقف منه موقفاً في غاية السلبية، لأنه يمس أقدس شخصية عندها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).. ولكن الملاحظ هنا: أنها ليس فقط لم تفعل شيئاً من ذلك، وإنما عاملته معاملة هي غاية، في الرفق، واللطف به، والأدب معه، وضبط النفس.

وقد تصرفت معه بطريقة فتحت بها باب فهمه، وأيقظت وجدانه، وأطلقت بصيرته من عقال التعصب الأعمى على آفاق مفعمة بالصفاء والنقاء، والتأمل الواعي والهادي.. وأخذت بيده إلى سبيل الرشاد والسداد، فتاب وأناب، وشملته ألطاف الرب الرحيم التواب، الغفور، والوهاب..

وقدمت أم سلمة النموذج الأمثل للمرأة العاقلة، التي تعي مسؤولياتها، فتبادر إلى القيام بها على أكمل وجه، وأتمه. ٢ . إنها (رحمها الله) قد مهدت لما تريد بإفهامها إياه أنها لا تتعامل معه بانفعالاتها وتعصبها الذي يريد أن يفرض خياره وقراره على الآخرين، بل تتعامل معه من موقع الحرص عليه، وابتغاء الخير له، والعرفان بالجميل والوفاء لحقه، من حيث أنه هو البادئ بالفضل عليها بالتربية والرعاية لها. ثم من موقع الإحترام والإكبار، لا من الإستهانة به والإستهتار بمقامه، فأخبرته بأنها تنظر إليه على أنه بمنزلة والدها..

٣ . ثم إنها (رضوان الله تعالى عليها) اعتبرته موضعاً لثقتها، وأهلاً لإيثارها إياه بسر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وميزته بذلك عن غيره،

وهذا يزيدُه رضاً بنصحها، واطمئناناً إلى صدق نيتها ولهجتها تجاهه، وابتغائها المصلحة له ..
٤ - إن هذه الرواية بينت: أن علياً (عليه السلام) قد علم بما هو كائن بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من الرسول نفسه، الذي كان يتلقى ذلك من جبرئيل (عليه السلام) في نفس اللحظة .. وجبرئيل إنما يخبر عن الله سبحانه ..
ثم تلقى من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأوامر والتوجيهات الإلهية بطريقة تعامله مع تلك الحوادث. وكان جبرئيل هو الذي يأمره بإبلاغ علي (عليه السلام) بتلك التوجيهات ..
فدل ذلك على أن علياً (عليه السلام) لا يتعامل مع الأمور بانفعالاته، واجتهاداته الشخصية، وإنما وفق خطة إلهية مرسومة ومبينة. فلا مجال للطعن في أي موقف يتخذه (عليه السلام)، ولا يمكن نسبة التقصير أو الخطأ فيه إليه بأي حال من الأحوال.

٥ . يلاحظ: أن الأمر لم يقتصر على إخبار علي (عليه السلام) بما يكون بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في خصوص حياة علي (عليه السلام)، بل أخبره (صلى الله عليه وآله وسلم) بما هو كائن بعده إلى يوم القيامة، وأعطاه توجيهاته وأمره فيه .. فدل ذلك: على أن لعلي (عليه السلام) نوعاً من الحضور والتعاطي بنحو من الأنحاء مع تلك الأحداث المستمرة إلى يوم القيامة، وإن لم ندرك نحن بصورة تفصيلية كيفية، وآفاق ومدى هذا الحضور، وذلك التعامل وحدود ذلك التأثير.

الفصل العاشر:
أحقاد.. وآثار..

الحديقة.. تذكّر بالضغائن:

١ - عن أنس وأبي برزة وأبي رافع، وعن ابن بطة من ثلاثة طرق: أن النبي (ﷺ) خرج يمشي إلى قبا، فمر بحديقة، فقال علي: ما أحسن هذه الحديقة!!
فقال النبي (ﷺ): حديقتك يا علي في الجنة أحسن منها. حتى مر بسبع حدائق على ذلك.
ثم أهوى إليه فاعتنقه، فبكى (ﷺ)، وبكى علي (عليه السلام).
ثم قال علي (عليه السلام): ما الذي أبكاك يا رسول الله؟!
قال: أبكي لضغائن في صدور قوم لن تبدو لك إلا من بعدي.
قال: يا رسول الله، كيف أصنع؟!
قال (ﷺ): تصبر، فإن لم تصبر تلق جهداً وشدة.
قال: يا رسول الله، أتخاف فيها هلاك ديني؟!
قال: بل فيها حياة دينك^(١).

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) = ج ١ ص ٣٨٦ عن مسند أبي يعلى، واعتقاد الأشنهي، ومجموع أبي العلاء الهمداني، وعن الإبانة لابن بطة، وبحار الأنوار ج ٤ ص ٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٣٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣١ ص ١١.

٢ . وقال (صلى الله عليه وآله) في خير: يا علي، اتق الضغائن التي لك في صدر من لا يظهرها إلا بعد موتي،
(أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) ^(١) . ثم بكى النبي (ﷺ)، فقيل: مم بكاؤك، يا رسول الله؟!
قال: أخبرني جبرئيل (عليه السلام): أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه، ويقاتلونه ويقتلون ولده، ويظلمونهم بعده ^(٢) .
٣ . قال الحميري:

وقد كان في يوم الحدايق عبرة وقول رسول الله والعين تدمع

١ - الآية ١٥٩ من سورة البقرة.

٢ - المناقب للخوارزمي ص ٦٢ والأماشي للطوسي ص ٣٥١ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٤٥ وج ٣٧ ص ١٩٢ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٥ وكشف اليقين ص ٤٦٧ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٢٨ والعقد النضيد والدر الفريد ص ٧٧ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٨٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٦٦ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٧٠٥ وينايع المودة ج ٣ ص ٢٧٩ وغاية المرام ج ١ ص ١٢٣ وج ٢ ص ٨٥ وج ٣ ص ١٩١ و ٢٠٢ وج ٤ ص ٧٧ وج ٦ ص ٣١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٤.

فقال علي مم تبيكي؟ فقال: من ضغائن قوم شرهم أتوقع عليك، وقد يبدوها بعد ميتتي فماذا هديت الله في ذاك يصنع^(١) وتقول:

ما أحسن هذه الحديقة!!:

ذكرت الرواية: أن حسن الحديقة لفت نظر علي (عليه السلام)، فعبر عن إعجابه بحسنها لرسول الله (صلى الله عليه وآله).. ثم أعجبه الثانية، والثالثة إلى السابعة، فكان في كل ذلك يظهر (عليه السلام) إعجابه بما يراه من حسن تلك الحدائق.. وهذه الشهادة من علي (عليه السلام) وموافقة النبي (صلى الله عليه وآله) له تدلنا على أن إنشاء الحدائق في المدينة، قد قطع أشواطاً واسعة في الرقي والإزدهار، ولعلنا لا نجد له مثيلاً في أيامنا هذه.. وذلك، لأن الحسن إنما هو نتيجة تناسق دقيق لأمر يراد لها أن تتخذ أوضاعاً مختلفة لتكوّن صورة مختارة للتعبير عن معنى يختزنه ذلك التناسق، ويراد الإيحاء به في المرثيات، أو المسموعات، أو في أي شيء آخر. ومن غير علي (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أرهف حساً، وأصفى قريحة، وأعلى ذوقاً، وأدق نظراً، وأوفى شعوراً بالحسن

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٨٧ وأعيان الشيعة ج ٣ ص ٤٢٥.

وبالجمال، وبقيمته ومزاياه؟!

فإذا شهد (عليه السلام) بالحسن في مورد، فإن أحداً لن يساوره شك في واقعية هذه الشهادة، لأن علياً (عليه السلام) يمثل القمة في كل شيء، ومنه تبدأ الدقائق والحقائق وإليه تنتهي..

الحسن من نعيم الجنة:

وبديهي: أن الحسن إذا كان من مفردات نعيم الجنة، سواء في ذلك حسن حدائقها، أو حسن حورها، أو حسن ولدائها المخلدين. فلا بد من أن يكون المؤمنون قادرين على إدراك هذا الحسن، والتمتع به.

وسيكون إدراكهم قوياً وراقياً ودقيقاً، وإحساسهم مرهفاً بمقدار ما أهلتهم له أعمالهم، واكتسبوه بجهدهم وجهادهم، وتضحياتهم في الحياة الدنيا.

ومن يمكن أن يدعي أنه يملك من ذلك ما يضارع أو يداي ما لدى خير الأنبياء، وسيد الأوصياء (عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام)؟!

ما الذي أبكاك يا رسول الله؟!:

وحين يحزن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمر، إلى حد أنه يبكي له، فإن علياً (عليه السلام)، لا بد أن يحزن لحزنه (صلى الله عليه وآله)، لأنه نفسه، وحببيه، وأخوه.

وإذا كان الإمام الصادق (عليه السلام) يقول عن الشيعة (رضوان الله تعالى عليهم): رحم الله شيعتنا، خلقوا من فاضل طينتنا، يفرحون لفرحنا،

ويحزنون لحزننا^(١). فهل يمكن أن نتصور علياً (عليه السلام) لا يفرح لفرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهما قد خلقا من نور واحد، ومن شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتى؟!^(٢).

١- شجرة طوبى ج ١ ص ٣ و ٦ وراجع: الخصال ص ٦٣٥ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ١١٤ وج ٤٤ ص ٢٨٧ والعوالم، الإمام الحسين (عليه السلام) ص ٥٢٥ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص ١٥٢ ولواعج الأشجان ص ٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١١٧ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٦٦٧ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٦٦ ومكيال المكارم ج ٢ ص ١٥٦ والمجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة ص ٧٣ و ١٦٢.

٢- المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٢٤١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٠ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ٢٦٣ ونظم درر السمطين ص ٧٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٦٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٦٤ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٩٦ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٢٦٥ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٥ و ٥٥٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٢٨٣ والدر المنثور ج ٤ ص ٤٤٤ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٢٧٠ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣١١ وج ٦ ص ١١ وخصائص الوحي المبين ص ٢٤٢ و ٢٤٦ والخصال للصدوق ص ٢١ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٧٨ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكويتي ج ١ ص ٤٧٦ و ٤٨٠ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٥٧٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ١ ص ٥٠٦ والصراط المستقيم ج ١ ص ٢٢٨ وبحار = الأنوار ج ٢١ ص ٢٧٩ وج ٢٢ ص ٢٧٨ وج ٣٥ ص ٢٥ و ٣٠١ وج ٣٦ ص ١٨٠ وج ٣٧ ص ٣٨ وج ٤٠ ص ٧٨ وج ٩٩ ص ١٠٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ١٣٥ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٢٣ وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٦٦ وج ٧ ص ١٨٠ - ١٨٤ وج ٩ ص ١٥٠ - ١٥٩ وكتاب فضائل الخمسة ج ١ ص ١٧١.

ضعائن تبدو بعد وفاة الرسول (ﷺ):

وعن الضعائن التي أشار إليها رسول الله (ﷺ) نقول:

إنه (ﷺ) يخبر عن أمر غيبي، تلقاه من جبرئيل، وحدد له من تفاصيله، ما تقشعر له الأبدان، وتنبو عنه وتأباه النفوس.

ولا شيء يوجب نشوء هذه الضعائن إلا أنه (ﷺ) قد وترهم، وأبار كيدهم، وأسقط عنفوان الباطل فيهم..

أو أنهم حسدوه لفضائله وميزاته، وما حباه الله به.

أو أنهم وجدوا فيه ما يمنعهم من بلوغ أهدافهم، وتحقيق مآربهم، وطموحاتهم الباطلة..

أو أنهم أبغضوا فيه التزامه بالحق، وحمائته له، وسحقه مناوئيه..

ما يهمُّ علياً (ﷺ):

وقد بين علي (ﷺ): أن ما يهمله ليس هو ما يتعرض له من ظلم، ومنع حق، وقتال، وقتل للأولاد والذرية،

وسائر أنواع الأذى، بل ما

يهمه هو: حفظ الدين والحق، ولذلك قال: (أتخاف فيها هلاك ديني)؟!^(١).

آية اللعن:

والذي يدعو للتأمل قول النبي (ﷺ): (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)^(٢)، مع أن هؤلاء الملعونين يعدون أنفسهم، ويعددهم كثير من جملة المسلمين، والآية ترشد إلى مطلوية لعن الناس لهم، ومحبيته. فدعوى مرجوحية اللعن بصورة مطلقة تصبح في غير محلها. ولهذا البحث مجال آخر..

مبغض علي (عليه السلام) رديء الولادة:

عن زيد بن يثيع قال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: رأيت رسول الله (ﷺ) قال: وقد خيمت خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام): - أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد، رديء الولادة . فقال رجل: يا زيد، أنت سمعت من أبي بكر هذا؟!

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٨٦ .
٢ - الآية ١٥٩ من سورة البقرة.

قال: إي ورب الكعبة^(١).

ونقول:

١ - إن الروايات المصرحة بأن مبغض علي (عليه السلام) رديء الولادة أو ابن زنا كثيرة، رواها أهل السنة والشيعة على حد سواء.. وهذا الخبر واحد منها. وكذلك الخبر الآتي.

٢ - إن زيد بن يثيع يقسم على أنه قد سمع ذلك من أبي بكر بعد أن سأله سائل: إن كان قد سمع ذلك منه حقيقة.. حيث يبدو أن السائل لم يتعقل صدور هذا الأمر من أبي بكر، الذي نازع علياً (عليه السلام) في الخلافة، وجرت الأمور على النحو المعروف. وحصل ما حصل..

٣ - إنه (صلى الله عليه وآله) قد جعل رداء الولادة وطيبها مرتبطة بجم ثلاثة آخرين غير علي (عليه السلام)، وهم فاطمة والحسنان (عليه السلام).. وهذا لا ينافي إقتصار سائر الروايات على ذكر علي (عليه السلام)،

١ - الفصول المثة ج ٣ ص ٢٨٨ عن فرائد السمطين ج ٢ ص ٣٧٣ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص ١٩ والمناقب للخوارزمي ص ٢٩٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ١٧٤ وشرح إحقاق الحق ج ٩ ص ١٦٥ وج ١٨ ص ٤١٥ وج ٢٥ ص ٢٣٨ وج ٢٦ ص ٢٥٩ وج ٢٧ ص ٩٥ وج ٣٣ ص ٨٩ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٥١٥ والغدير ج ١ ص ٣٣٦ وج ٤ ص ٣٢٣ والنص والإجتهد ص ٩٠ عن سمط النجوم ج ٢ ص ٤٨٨ والرياض النظرة (ط مكتبة الخانجي بمصر) ج ٢ ص ١٨٩.

فإن إثبات شيء لشيء لا يعني الإحصار به، بل قد يشاركه غيره فيه ..

النبي (ﷺ) يشهر علياً (عليه السلام):

عن أنس بن مالك قال: كان النبي (ﷺ) إذا أراد أن يشهر علياً في موطن أو مشهد علا على راحلته، وأمر الناس أن ينخفضوا دونه.

وإن رسول الله (ﷺ) شهر علياً يوم خيبر، فقال:

يا أيها الناس، من أحب أن ينظر إلى آدم في خلقه . وأنا في خلقي . وإلى إبراهيم في خلته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى يحيى في زهده، وإلى عيسى في سنه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب، إذا خطر بين الصفيين كأنما يتقلع من صخر، أو يتحدر من دهر.

يا أيها الناس، امتحنوا أولادكم بحبه، فإن علياً لا يدعو إلى ضلالة، ولا يبعد عن هدى، فمن أحبه فهو منكم، ومن أبغضه فليس منكم.

قال أنس بن مالك: وكان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق علي، وإذا نظر إليه يوجّهه بوجهه تلقاءه، وأوماً بإصبعه: أي بني تحب هذا الرجل المقبل؟!
فإن قال الغلام: نعم، قبله.

وإن قال: لا، حرف (لعل الصحيح: ضرب) به الأرض، وقال له: الحق بأمك، ولا تلحق أبيك بأهلها [كذا]، فلا حاجة لي فيمن لا يحب علي

بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

ونقول:

نستفيد من هذا النص أموراً، نذكر منها:

- ١ - إنه قد تكرر إشهار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) في المواطن والمشاهد . حتى أصبح مألوفاً للناس..
 - ٢ - إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتخذ وضعاً خاصاً للقيام بعمله هذا، صار الناس يعرفون طريقته، وحالاته، فإذا رأوا تلك الحالات عرفوا أن ثمة أمراً يرتبط بعلي، وأنه يريد إشهاره وإعلانه، وهو أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلو على راحلته، ويأمر الناس بالإخفاض دونه، وهذا الذي جرى في خير كان أحد تلك المشاهد.
 - ٣ - ودلت الصفات التي أطلقها (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمير المؤمنين (عليه السلام) على أنه قد حوى من صفات الكمال والجمال أتمها وأفضلها، فقد حوى من صفات آدم (عليه السلام) صفات كماله في خلقته، ومن صفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخلاقه الفاضلة، وأخذ أيضاً خلة إبراهيم، ومناجاة موسى، وزهد يحيى، وسن (أو سنة) عيسى .
- أي أنه (عليه السلام) قد حاز الصفات التي امتاز بها الأنبياء، وجاراهم

١ - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (ط بيروت) ج ٢ ص ٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٢٨٨ و (ط مكتبة المرعشي) ج ١٥ ص ٦١١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٥ ص ٦١١ و ج ٢١ ص ٣٦٤.

بها، حتى إن النظر إليه يكفي عن النظر إلى جميع الأنبياء، لأن الناظر إلى كل شخص لا بد أن ينجذب إلى الصفة التي كملت فيه حتى امتاز بها. ولكنه حين ينظر إلى علي (عليه السلام)، فإنه ينجذب إلى جميع الصفات، لأنها امتازت كلها فيه ..

٤ . ويلاحظ: أنه (صلى الله عليه وآله) قد وقف هذا الموقف في خيبر بالذات، ليدل على أن ما جرى على يد علي (عليه السلام) لا ينبغي أن يتعامل معه بنظرة ضيقة ومحدودة، تجعل من علي (عليه السلام) مجرد رجل شجاع وقوي. بل لا بد أن ينظر إلى علي (عليه السلام) كله في صفاته الخلقية، والخلقية، والنفسية، والإيمانية، ومقاماته الروحية، وفضائله، وفي نهجه، وفي هداه وكمالاته كلها.

٥ . وأقوى تحذير يمكن أن نتصوره لمن يختار مناوأة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعاداته هو هذا البيان الصريح والقاطع الذي يضع من يعاديه من أهل الهوى والعصية الجاهلية أمام أصعب الخيارات، حيث يطعن في شرفه، ويضع علامة استفهام على طهارة مولده.

٦ . وقد أصبح هذا البيان النبوي معياراً، يكشف الناس به الخفايا، ويظهرون به الخبايا، لأنهم على يقين من صدق نبيهم، ومن أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ..
وقد كان جابر (رضي الله عنه) يقول: كنا نبور أولادنا بحب علي بن أبي

طالب^(١)، وعن عبادة بن الصامت مثله. والروايات حول ذلك كثيرة.

وقد اضطر كثير من الناس من أعداء علي (عليه السلام) إلى التظاهر بحب علي (عليه السلام) لإثبات براءتهم مما يرميهم به الناس، مع أن قرائن الأحوال لا تؤيد هذه البراءة..

إمتحان الأولاد بحب علي (عليه السلام):

روى الصفوري الشافعي: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر أصحابه يوم خيبر بأن يمتحنوا أولادهم بحب علي بن أبي طالب، فإنه لا يدعو إلى ضلالة ولا يبعد عن هدى، فمن أحبه فهو منكم، ومن أبغضه فليس منكم.

قال أنس: فكان الرجل بعد ذلك يقف بولده على طريق علي، فيقول: يا بني أتحب هذا؟!!

فإن قال: نعم، قبله.

١ - شرح الأخبار ج ١ ص ٤٤٦ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٥ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٤٤٩ وراجع: الرواشح السماوية للأستاذ آبادي ص ١٣٧ والغدير ج ٣ ص ٢٦ و ج ٤ ص ٣٢٢ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ١٧٧ وراجع: الإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ١٥٨ و ١٦٠ وتفسير جوامع الجامع ج ٣ ص ٣٧٢ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٠ و ج ٦ ص ٤٨٢ ونهج الإيمان ص ٤٥٦ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ١٦١ وشرح إحقاق الحق ج ٧ ص ٢٦٦ و ج ١٤ ص ٦٥٦ و ج ١٧ ص ٢٥٠ و ج ٢١ ص ٣٦٥ - ٣٦٧.

وإن قال: لا، طلق أمه وتركه معها^(١).

عن عبادة الصامت قال: كنا نبور أولادنا بحب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإذا رأينا أحدهم لا يحب علي بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا، وأنه لغير رشدة.

ثم قال الجزري: لغير رشدة: ولد زنا. وهذا مشهور من قديم وإلى اليوم، أنه ما يبغض علياً إلا ولد زنا^(٢).

عن أبي سعيد الخدري: كنا معشر الأنصار نبور أولادنا بحبهم علياً (عليه السلام)، فإذا ولد فينا مولود فلم يحبه، عرفنا أنه ليس منا.

قوله: نبور: نختبر ومنتحن^(٣).

ونقول:

إن هذه الأحاديث قد تضمنت أموراً تحتاج إلى بسط في البيان، ربما لا نستطيع أن نوفره في الوقت الحاضر، غير

أننا نشير إلى ما يلي:

١ - نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٨ والمحاسن المجتمعة (مخطوط) ص ١٦١ عن الزهر الفاتح، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٧ ص ٢٤٩ وج ٣٠ ص ٣٠١.

٢ - أسنى المطالب ص ٥٧ والغدير ج ٣ ص ٢٦ وج ٤ ص ٣٢٢.

٣ - أسنى المطالب ص ٥٨ والغدير ج ٤ ص ٣٢٢ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ١٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢١ ص ٣٦٧ و ٣٦٨.

اختبار المولود:

إن موضوع الحب والبغض أمر قلبي جواني، لا بد من الإحساس به وإدراكه قبل التعبير عنه بالكلمة، أو بالإشارة ونحوها. والمولود لا يكون مؤهلاً عادة لمثل هذا الإمتحان..

وإذا كان الحب والبغض يحتاج إلى محفزات، ولنفترض أن ذلك الطفل قد كبر حتى صار عمره عدة سنوات، فإن أجواءه قد لا تسمح له بالتعرف على محاسن علي (عليه السلام)، حيث يكون له عالمه الخاص به، واهتماماته المناسبة لسنه، فما معنى أن يمتحن المولود بحب علي (عليه السلام) ..

وهل يمكن الإعتماد على ما يظهره المولود إذا كان لا يتعقل ما يقول، ويتابع غيره فيما يقول وفيما يفعل؟! فلعله ابتلى بمن كان يعلمه بغض علي (عليه السلام)، ويوحي إليه بما ينفره منه.. فكيف تؤاخذ أمه على أمر من هذا القبيل، ثم تتهم به، وتطلق، وتمزق العائلة؟!!

ويمكن أن يجاب: بأن الله تعالى يقول: **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)** ^(١). فلو لم يؤته الله سبحانه حب علي (عليه السلام) وإمكان التعبير عنه، وإلهامه الصواب والصدق فيه، لم يعرض الله كرامة أمه للخطر، وحياتها للإنتكاس. ومن الذي قال: إنه تعالى لم يوجد بين القلوب والأرواح علاقات وروابط لا تنالها إدراكاتنا، تجعلها تتواصل، وتتحاب وتتنافر بصورة

١ - الآية ٧ من سورة الطلاق.

طبيعية، وحتى من دون أن يتم لقاء وتعارف مباشر بين الأشخاص. فقد روي: أن الأرواح جند مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف^(١).

وقيل: من القلب إلى القلب سبيل^(٢).

هذا المعيار حساس:

وقد لوحظ: أن هذا المعيار الذي جعله الله، قد جاء في غاية الحساسية والأهمية، بالنسبة للناس الغيورين على نسائهم، والمهتمين بسلامة شرفهم، وطهارة ذيلهم.

١- راجع: روضة الواعظين ص ٤٩٢ والأُمالي للصدوق ص ٢٠٩ وعلل الشرائع ج ١ ص ٨٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٨٠ ومختصر بصائر الدرجات ص ٢١٤ وراجع: المسائل السروية ص ٣٧ والتحفة السنينة (مخطوط) ص ٨٤ ونهج السعادة ج ٨ ص ٢٥٤ وعون المعبود ج ١٣ ص ١٢٤ وراجع: بصائر الدرجات ص ١٠٩ و ٤١١ وكتاب المؤمن للحسين بن سعيد ص ٣٩ والإعتقادات في دين الإمامية للصدوق ص ٤٨ والإختصاص للمفيد ص ٣١١ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٢٨٨ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ١٩٧ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٢٦٥ و ج ٥ ص ٢٤١ و ٢٦١ و ج ٦ ص ٢٩٤ و ج ٢٥ ص ١٤ و ج ٤٥ ص ٤٠٤ و ج ٥٨ ص ٣١ و ٦٣ و ٦٤ و ٧٩ و ٨٠ و ١٠٦ و ١٣٤ و ١٣٩ و ١٤٤ و ج ٦٥ ص ٢٠٥ و ٢٠٦.

٢- راجع: تفسير الألويسي ج ٢٣ ص ٢١٤.

وهو بنفسه يثير الحماس لممارسة هذا الإختبار، ويثير الخوف والرهبة منه أيضاً.. ويدعو للحذر من مخالفته مقتضياته. والتحفظ من تبعات الفشل في الإمتحان فيه.
كما أنه معيار لمدى ثقة الإنسان المؤمن، بربه ونبيه.

الحادثة في خير:

وبما أن العناية الإلهية، والألطف الربانية، والكرامة الظاهرة لكل ذي عينين قد تجلت في معركة خير، بنحو يوجب اليقين، وزوال أدنى شك أو ريب بها، فمن الطبيعي أن يطلق النبي (ﷺ) هذا المعيار البالغ في دقته وحساسيته، وآثاره على المشاعر، وخطورته على البنية العائلية . من الطبيعي أن يطلقه (ﷺ) - في خصوص هذه المناسبة، ليتمكن للناس أن يفهموه وأن يستوعبوه، وأن يتقبلوه بنفوس أبية، وبأرجحية وحمية، وهكذا كان..

الباب الثالث عشر:

المرض .. والوفاة ..

الفصل الأول:

وصايا النبي (ﷺ) في مرض الوفاة..

إبعثي بها إلى علي (عليه السلام):

عن سهل بن سعد قال: كان عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبعة دنانير وضعها عند عائشة، فلما كان في مرضه قال: يا عائشة، ابعثي الذهب إلى علي، ثم أغمي عليه، وشغل عائشة ما به، حتى قال ذلك مراراً، كل ذلك يغمى على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويشغل عائشة ما به، فبعث به إلى علي فتصدق به^(١).

ونقول:

١. لا نرى مبرراً لتواني عائشة عن امتثال أمر النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا سيما بعد أن كرره عليها مراراً، إلا أنها لم تشأ أن ترسلها إلى علي (عليه السلام)، الذي كانت لا تطيق ذكره بخير أبداً..

١- سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٥٠ عن ابن سعد والطبراني برجال الصحيح، وراجع: مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٢٤ والعهود المحمدية للشعراني ص ١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٣٩ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٥١٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٢٧ والمعجم الكبير ج ٦ ص ١٩٨ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٧٢.

٢ . ألا يعتبر ما فعلته عائشة من موجبات الأذى لرسول الله (ﷺ) ..

٣ . لا نستطيع أن نصدق أن الناس قد تركوا النبي (ﷺ) وحده في مرض موته، بحيث تشغل به زوجته بمفردها، وهل يمكن أن تتركه فاطمة، وسائر زوجاته، والحسنان، وزينب، وغيرهن؟! ..

بل إن نفس الرواية قد صرحت بوجود أشخاص آخرين كان يمكنها أن تبعث الدنانير مع واحد منهم.. وهو نفس الشخص الذي بعث النبي (ﷺ) الدنانير معه، بعد أن استنقذها من عائشة..

بل إن نفس قوله (ﷺ): ابعثي الذهب إلى علي، يدل على تمكنها من فعل ذلك، وأن الأشخاص الذين يمكن أن يطلب منهم ذلك كانوا في متناول يدها.

وصية رسول الله (ﷺ):

عن إبراهيم بن شيبه الأنصاري، قال: جلست إلى الأصعب بن نباته، قال: ألا أقرئك ما أملاه علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فأخرج إلي صحيفة، فإذا مكتوب فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(هذا ما أوصى به محمد رسول الله (ﷺ) أهل بيته وأمته. وأوصى أهل بيته بتقوى الله ولزوم طاعته.

وأوصى أمته بلزوم أهل بيته.

وأهل بيته يأخذون بحجة نبيهم (ﷺ)، وإن شيعتهم يأخذون بحجهم يوم القيامة.
وإنهم لن يدخلوكم باب ضلالة، ولن يخرجوكم من باب هدى^(١).
وتقول:

- ١ - إن هذه الرواية ذكرت: أن علياً (عليه السلام) أملى وصية رسول الله (ﷺ) على الأصبع، ولم تذكر: أن هذه الوصية كانت مكتوبة عند علي (عليه السلام)، فيحتمل أن يكون (عليه السلام) قد أملاها على الأصبع من حفظه.
- ٢ - لا يشترط في الوصية أن تكون مكتوبة، بل تكفي الوصية بالقول.
- ٣ - ويؤكد هذه الوصية شهرة علي (عليه السلام) باسم الوصي.. وقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب طائفة من الأشعار المتضمنة لإطلاق لفظ (الوصي) عليه.. وهذه النصوص بالقياس إلى سائر ما تضمن هذا الوصف له، نقطة من بحر، لا مجال للإحاطة به..
- ٤ - إن علياً (عليه السلام) لا يكتفي بمجرد نقل الوصية إلى الأصبع بالقول. بل هو يملئها عليه ليكتبها، لتكون وثيقة يمكن أن تتداولها

١ - راجع: نظم درر السمطين ص ٢٤٠ وينايع المودة ص ٢٧٣ و(ط دار الأسوة) ج ٢ ص ٣٦٥ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ٢ ص ١٦٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٧٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ٤٧٧ وج ١٨ ص ٥٠٤.

الأيدي، وليثبت مضمونها، كنص ثابت المضمون، في منأى عن النسيان، وعن النقيصة والزيادة، أو النقل بالمعنى.
٥ . والوصية صرحت بأنها معنية بفريقيين من الناس هما: أهل بيت النبي (ﷺ) أولاً. والأمة ثانياً.

وقد أوصى أهل بيته (عليهم السلام) بأمرين:

أولهما: تقوى الله سبحانه..

والثاني: لزوم الطاعة له تبارك وتعالى..

ولو اقتصر على الأمر بتقوى الله، فقد يفسر ذلك بمجرد الخوف، الذي لا يستتبع عملاً. ولكنه حين ذكر لزوم الطاعة والإستقامة عليها، فإنه يكون قد قرن الشعور القلبي بالحركة العملية، التي أَرادها حائزة لوصف الدوام والمتابرة الدؤوب، لأنه يريد لهم أسوة، وقدوة للأمة، أي أن المطلوب هو الكون معهم، وعدم الإستقلال، أو الإستبداد بشيء دونهم.

وهذه هي حقيقة اتخاذهم أئمة وقادة في كل الأمور. إذ لا يكفي مجرد الخضوع لسلطتهم، إن تسلموا زمام السلطة.

٦ . قد أكد ذلك (ﷺ) حين بين أن المطلوب هو أن يكون التعامل معهم على حدّ تعاملهم هم مع نبيهم،

حيث قال عن أهل البيت (عليهم السلام): (وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيهم).

٧ . إن المراد بأهل بيته، أهل بيت النبوة، وليس المراد الساكنين معه في البيت، ولا مطلق الذرية.

وهم . أعني أهل بيت النبوة . أناس مخصوصون، بينهم (ﷺ)

حين نزلت آية التطهير، وهم الذين كانوا معه تحت الكساء: علي وفاطمة، والحسنان (عليهما السلام).

وأضافت نصوص أخرى: بقية الأئمة الاثني عشر (صلوات الله وسلامه عليهم).

٨. ثم انتقل (عليه السلام) لبيان: أن من كان من شيعتهم في الدنيا سوف ينتفع بهذا التشيع في الآخرة، حيث سيأخذ بحجزته، ليدخل الجنة معهم.

٩. قد ذكر (عليه السلام) ما دل على أن التشيع لهم، معناه الإلتزام بخطهم واتباعهم، والكون معهم، لأنهم لا يدخلون من يكون معهم في باب ضلالة، ولا يخرجونه من باب هدى.

١٠. قلنا فيما سبق: إن هذه الروايات قد رواها غير الشيعة، ودونوها في كتبهم، فإن أراد بعض الناس أن يرفضها، فعليه أن يقدم مبرراً معقولاً، يوضح سبب رواية علمائهم وروايتهم لها، وعلل إيرادهم لها في مصادرهم..

درع وسيف وبغلة الرسول (صلى الله عليه وآله):

عن إبراهيم بن إسحاق الأزدي، عن أبيه قال: أتيت الأعمش سليمان بن مهران أسأله عن وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: ائت محمد بن عبد الله فاسأله.

قال: فأتيته، فحدثني عن زيد بن علي (عليه السلام).

قال: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة، ورأسه في

حجر علي (عليه السلام)، والبيت غاص بمن فيه من المهاجرين والأنصار، والعباس قاعد قدامه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عباس، أتقبل وصيتي، وتقضي ديني، وتنجز مواعيدي؟!!

فقال: إني امرؤ كبير السن، كثير العيال، لا مال لي.

فأعادها عليه ثلاثاً كل ذلك يردّها عليه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سأعطيها رجلاً يأخذها بحقها، لا يقول مثل ما تقول ثم قال: يا علي أتقبل وصيتي،

وتقضي ديني، وتنجز مواعيدي؟!!

قال: فخنقته العبرة، ولم يستطع أن يجيبه، ولقد رأى رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذهب ويجيء في حجره.

ثم أعاد عليه.

فقال له علي (عليه السلام): نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فقال: يا بلال، ائت بدرع رسول الله.

فأتى بها.

ثم قال: يا بلال، ائت براية رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فأتى بها.

ثم قال: يا بلال، ائت ببغلة رسول الله بسرجها ولجامها.

فأتى بها.

ثم قال: يا علي، قم فاقبض هذا بشهادة من في البيت من المهاجرين

والأنصار، كي لا ينازحك فيه أحد من بعدي.

قال: فقام علي (عليه السلام) حتى استودع جميع ذلك في منزله، ثم رجع^(١).
وتقول:

١ . لعل إسحاق الأزدي قد لاحظ: أن الشريعة السمحاء تحث على الوصية، وأن الله تعالى ورسوله قد أمرا بالوصية قبل حلول المنية، فلا يعقل أن يكون (صلى الله عليه وآله) أول من خالفه، فسأل عنها ليعرف مضمونها، وما آل حالها في مجال الإلتزام والتطبيق..

كما أنه كان يرى أن الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم يقرون لعلي (عليه السلام) بالوصاية .. وإن كان بعضهم يحاول التكتم على مضمونها بإظهار عدم العلم بما وبه، أو يضطرب ويتناقض في بيان ذلك المضمون، فأحب أن يسمع ما يقوله الأعمش في ذلك..

٢ . لقد رأينا الأعمش قد أحال السائل على غيره .. فلماذا أحاله؟! ولماذا اختار محمد بن عبد الله بالذات، ليكون هو المجيب؟!
ونجيب بما يلي:

ألف: بالنسبة لسبب الإحالة فالذي يبدو لنا هو أن الأعمش كان يجاذر من الجهر بالحقيقة، لأنها سوف تكلفه غالياً عند السلطان، وعند الأخطبوط الأموي، ومن يدور في فلكه وسائر المناوئين لعلي أمير المؤمنين

١ - علل الشرائع ج ١ ص ١٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٥٩.

(عليه السلام) من الخوارج وغيرهم.

ب: إنه آثر أن يعطي إ حالته على الغير قدرأ من الصدق والواقعية، حين اختار من يعرف أنه سيجهر بالحقيقة ولو بدرجة محدودة، ويكون قد دلنا بذلك على أنه هو أيضاً. أعني الأعمش . يقول بنفس ما يقول محمد بن عبد الله ..

٣ . صرحت الرواية: بأن النبي (صلى الله عليه وآله) حين مات كان رأسه في حجر علي (عليه السلام) وهذا يكذب ما ينقل عن عائشة من أنه (صلى الله عليه وآله) مات ورأسه بين حاقنتها وذاقنتها.

٤ . تقول الرواية: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أوصى والبيت غاص بمن فيه من المهاجرين والأنصار.. فدل على أن المنع من كتابة الكتاب لم يفدهم في صد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الوصية لعلي، وإتمام الحجّة على الناس في هذا الشأن.. وإن كانت وصيته غير مكتوبة. فإن ذلك لا يقلل من قيمته، إذ لا يشترط في الوصية أن تكون مكتوبة.

٥ . إن المطلوب هو: الوصية بأمر محدود جداً مثل قضاء الدين، وإنجاز العداات .. وليس المطلوب الوصية بالخلافة والإمامة، لأن الأمر لله تعالى في يضعه حيث يشاء، كما صرح به رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر من مرة وقد عينه الله ورسوله لهم، وصدر منه النص عليه في مناسبات عديدة، ثم نصبه لهم يوم غدير خم وبايعوه.

٦ . وقد عرض النبي (صلى الله عليه وآله) في وصيته هذه أمورأ يسيرة، وهي قبول وصيته، وقضاء دينه، وإنجاز عدااته .. وبدأ بعرض هذه الأمور

على عمه العباس.

ولكن العباس رفض قبول ذلك، متذرعاً بكبر السن، وكثرة العيال، وبأنه لا مال له .. ويلاحظ على ذلك الأمور التالية:

ألف: إن العباس هو أقرب الناس نسباً إلى رسول الله (ﷺ)، ويفترض أن يعتبره مصدر كرامته وعزته حتى بمنطق العصبية، فضلاً عن كرامة الله تعالى له بمقام النبوة، فيندفع إلى تلبية أي طلب له، وتوفير كل الحاجات، والمساعدة في أي شأن يحتاج فيه إلى المساعدة.

ب: إن العباس كان مبعجلاً عند أقرانه لأسباب عديدة، وسيزيده اعتماد النبي (ﷺ) عليه، وإيكال تنفيذ الأمور إليه رفعة شأن، وعلو مقام ..

ج: إن العباس - فيما نعلم - كان من أصحاب الأموال، الذين نحروا الإبل ليطعموا المشركين في مسيرهم إلى بدر لحرب النبي (ﷺ)، وكانوا ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً من الإبل، فأين ذهبت أمواله، وعلى أي شيء أنفقها؟! وكيف يكون عند عثمان من الأموال ما جهز به جيش العسرة إلى تبوك حسب زعمهم الذي أثبتنا كذبه، ويصبح العباس بين ليلة وضحاها لا مال له يقضي به دين رسول الله الذي قد لا يكون سوى دراهم يسيرة جداً لعلها لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة؟! إذ لا شك في أن العباس لم ينفق أمواله في سبيل الله .. ولا في الصدقات، ولا في غير ذلك من الطاعات والمبرات!!

فهل من المعقول أن يفضل العباس بضعة دراهم على الفوز بمقام (الوصي) لأكرم رسول، وأفضل الخلائق؟!
د: ما شأن كبير السن بهذه الأمور البسيطة التي طلبها منه رسول الله (ﷺ)، والتي لا تحتاج لأي حركة أو جهد؟
مع أن مع العباس أبناءه القادرين على معاونته، والمستعدين لطاعة أوامره.
٥ - ألم يفهم العباس من تكرار الرسول طلبه ثلاث مرات أنه (ﷺ) كان حريصاً على أن يقبل العباس منه هذه المهمة؟!!

و: على أنه لا شيء يدل على أنه (ﷺ) كان يريد من العباس أن ينفق أمواله في قضاء دين الرسول، بل لعله يريد منه أن يتولى إنجاز عاداته، وقضاء دينه مما تركه هو نفسه (ﷺ).
غير أن العباس قد فهم ذلك وقد ترك النبي (ﷺ) ليفهم ما يشاء، وليسمع الناس، وليروا إصرار النبي (ﷺ)، ورفض العباس فإن ذلك مطلوب له أيضاً، لأنه يريد أن يفهم الناس معنى بعينه، كما سيتضح..
٧ - وقد ظهر ذلك المعنى الذي أراده (ﷺ) في تعامله وفي كلمات النبي (ﷺ) مع علي (عليه السلام) فقد أشهد الحاضرين في ذلك البيت على إقباض علي (عليه السلام) درعه، ورايته، وبغلته بسرجها وبلجامها، ففهم أن الغرض من هذا الإشهاد هو المنع من منازعة أحد له في ذلك..

٨ . إنه (ﷺ) لم يطلب أن يقبل وصيته في هذه الأمور الثلاثة بعد صرفه النظر عن العباس إلا من علي (عليه السلام) .. مخاطباً إياه باسمه، كما خاطب العباس باسمه، ليدل على أن هذا التحديد والتعيين مقصود له (ﷺ) ..

ولعل من ثمراته أن يبطل دعاوى العباسيين المتوقعة بن لهم حقاً بشيء من الأمر، استناداً إلى الأقربى النسبية إلى رسول الله (ﷺ) ..

وإذا بطل الاستناد إلى الأقربى النسبية، فستبطل كل دعاوى الحق بالاستناد إلى الإشتراك إلى القرشية بطريق أولى، حيث استدل أبو بكر وعمر على الأنصار في السقيفة: بأنهم أولياء النبي (ﷺ) وعشيرته، فهم أحق بسلطانه.

٩ . ولا بد من التأمل ملياً في سر اختيار رسول الله (ﷺ) هذه الأمور الثلاثة دون سواها، واختصاص علي (عليه السلام) بها، وهي: الدرع، والراية، والبعلة، ثم اشتراطه (ﷺ) على بلال أن يأتي بالبعلة بسرجها ولجامها.

فهل يريد (ﷺ) أن يقول لنا: إن الدرع رمز للحرب، التي يحتاج إليها خليفته (ﷺ) للدفاع عن الإسلام وأهله، فإذا انضم إلى الراية التي رمز القيادة، وعنوان السلطان، فإن الصورة تصبح أكثر وضوحاً، وأقوى تعبيراً..

أما البعلة فهي التي عرف اختيار رسول الله (ﷺ) لها للتنقل في المواقع المختلفة، وفي أكثر الحالات، في السلم، وفي الحرب أيضاً،

مصرحاً بأنه اختارها لأنها تتواضع عن خيلاء الخيل، وترتفع عن الحمار، وشيمة الأنبياء التواضع، والتوسط في أمورهم كلها..

وهذا كله يشير إلى أنه لعلي (عليه السلام) مواقعته وصفاته وسماته، وأخلاقه، وحالاته.

١٠. وفي نفس هذا السياق نلاحظ: أنه (صلى الله عليه وآله) لم يقل: يا بلال إئت بدرعي، ورايتي، وبغلتني، بل أضاف الكلام في المواضع الثلاثة إلى كلمة (رسول الله)، فقال: درع رسول الله، وراية رسول الله، وبغلة رسول الله، مع أنه لو أورد الكلام على النحو الأول لكان أيسر وأخصر..

ولكنه (صلى الله عليه وآله) أراد أن يؤكد هذا المفهوم في ذهن القارئ، ويرسخه مملئاً بخصوص هذا اللثام، ليظهر به الخصوصية التي يريد للناس أن يتلقفوها بوضوح تام.

١١. ثم يزيد الأمر وضوحاً، بتصريحه (صلى الله عليه وآله) بأنه يريد أن يُشهد الحاضرين من المهاجرين والأنصار على إقباضه هذه الأمور الثلاثة لعلي (عليه السلام): فدل ذلك على أنه ليس بصدد إعطائه أمراً عادياً، فإن الناس حين يريدون إعطاء درع أو راية لأحد، لا يرون أنهم بحاجة إلى الإشهاد، فضلاً عن إشهاد من حضر من المهاجرين والأنصار.

١٢. ثم إنه (صلى الله عليه وآله) بالغ بالتصريح والتوضيح حين أعرب عن هدفه من هذا الإشهاد، فقال: (كي لا ينازعك فيه أحد من بعدي)، إذ لماذا يتخوف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من منازعة أحد علياً (عليه السلام) في خصوص هذه الأمور؟!

وما المبرر لأن يتوقع (ﷺ) منهم ذلك، وألم ينازع الناس علياً في بعض ما هو أعلى ثناءً، وأعظم أهمية وشأناً بنظر الناس من درع وراية وبغلة؟!

أليس لأن هذه الأمور الثلاثة معنى هاماً يدعوهم إلى النزاع عليها، واستلابها من علي (عليه السلام)؟! ويريد النبي (ﷺ) أن يضيق ويضيّع عليهم الفرص للحصول عليها؟!

وهل لهذا كله تفسير معقول غير ما قلناه في معناه ومغزاه؟!

وصايا النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام):

عن علي (عليه السلام) قال: (أوصاني النبي (ﷺ) إذا أنا مت، فغسلني بست قرب من بئر غرس، فإذا فرغت من غسلني، فادرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي. قال: ففعلت. فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيمة).

وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام)^(١).

وعن عمرو بن أبي شعبة قال: (لما حضر رسول الله (ﷺ) الموت دخل عليه علي (عليه السلام) فأدخل رأسه معه ثم قال: يا

١ - بصائر الدرجات ص ٣٠٤ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ وج ٢٢ ص ٥١٧ و ٥١٤ عنه، ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ١٨٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ١٩٠ ومستدرکات علم رجال الحديث ج ١ ص ٦٤٩.

علي، إذا أنا مت فاغسلني، وكفني، ثم أقعدني، وسائلني، واكتب^(١).

وكان فيما أوصى النبي (ﷺ) به علياً (عليه السلام) قوله:

(ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وأمسح بها وجهك).

ثم وجهني إلى القبلة.

وتول أمري.

وصل علي أول الناس.

ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي.

فأخذ علي (عليه السلام) رأسه، فوضعه في حجره..

إلى أن تقول الرواية:

ثم قُبِضَ (ﷺ)، ويد أمير المؤمنين تحت حنكه، ففاضت نفسه (ﷺ) فيها، فرفعها إلى وجهه، فمسح بها.

ثم وجَّهَهُ، وغمضه، ومد عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره^(٢).

١ - بصائر الدرجات ص ٣٠٣ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢١٣ و ٢١٤ وج ٢٢ ص ٥١٨ عن بصائر الدرجات، وعن الخرائج والجرائح، والكاظمي.

وراجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٤١٥ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٦ ص ٧٥.

٢ - الإرشاد للمفيد ص ٩٤ - ٩٨ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٨٧ وبحار الأنوار = ج ٢٢ ص ٤٧٠ و ٥٢١ عنه، وعن إعلام الوري ص ٨٢.

٨٤ و (ط أخرى) ١٤٣ - ١٤٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٦٧ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٠٣ ومصباح الفقيه (ط.ق)

ج ١ ق ٢ ص ٣٤٦ وجواهر الكلام ج ٤ ص ١١ وراجع: قصص الأنبياء للراوندي ص ٣٥٧ والدر النظيم ص ١٩٤ والحجة على الزاهب إلى

تكفير أبي طالب للسيد فخار بن معد ص ٣٠٤.

وكان مما أوصى به رسول الله (ﷺ) أن يدفن في بيته الذي قبض فيه .
ويكفن بثلاثة أثواب . أحدهما: يمان .
ولا يدخل قبره غير علي (عليه السلام) ^(١) .

وفي نص آخر عن ابن عباس: لما مرض رسول الله (ﷺ)، وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر، فقال له:
فذاك أبي وأمي يا رسول الله، من يغسلك منا، إذا كان ذلك منك؟!
قال: ذاك علي بن أبي طالب، لأنه لا يهتم بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك .
فقال له: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، فمن يصلي عليك منا إذا كان

١ - بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ و ج ٨٧ ص ٣٧٩ عن الطوائف ص ٤٢ و ٤٣ و ٤٥ و جامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٢٣١ و ٢٣٤ و ٣٥٠ و وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٧٧٩ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٠٦ .

ذلك منك؟!

قال: مه رحمك الله!

ثم قال لعلي: يا ابن أبي طالب، إذا رأيت روعي قد فارقت جسدي فاغسلني.

إلى أن قال: واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري، [ثم أخرجوا عني ساعة، فإن الله تعالى أول من يصلي علي] فأول من يصلي علي الجبار ﷺ من فوق عرشه، ثم جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل [ثم ملك الموت]. في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل، ثم الحافون بالعرش، ثم سكان أهل سماء فسماء، [ثم ادخلوا علي زمرة زمرة، فصلوا علي، وسلموا تسليماً].

ثم جأ أهل بيتي ونسائي، الأقربون فالأقربون. يومون إيماءً، ويسلمون تسليماً، لا يؤذوني بصوت نادبة، ولا مرئنة.

[قال أبو بكر: فمن يدخل قبرك؟!]

قال: الأدني فالأدني من أهل بيتي، مع ملائكة لا تروهم.

قوموا نادوا عني إلى من وراءكم.

فقلت للحارث بن مرة: من حدثك هذا الحديث؟!]

قال: عبد الله بن مسعود].

وذكر الثعلي ما يقرب من هذه القضية، لكنه ذكر اسم أبي بكر بدل عمار، وعلي.

ثم إن ما وضعناه بين قوسين إنما هو من رواية الثعلبي^(١).
وفي نص آخر: أوصى أن يخرجوا عنه، حتى تصلي عليه الملائكة^(٢).
ويذكر نص آخر: أن مما أوصى به النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) قوله:
(يا علي، كن أنت وابنتي فاطمة، والحسن والحسين، وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبر خمساً وانصرف. وذلك بعد
أن يؤذن لك في الصلاة.
قال علي (عليه السلام): بأبي وأمي، من يؤذن غداً؟!
قال: جبرئيل (عليه السلام) يؤذنك.
قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون علي فوجاً فوجاً، ثم نساءؤهم، ثم الناس بعد ذلك^(٣).

-
- ١ - الأملاني للصدوق ص ٧٣٢ و ٧٣٣ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٠٧ و ٥٣١ عنه، وكشف الغمة ص ٦ - ٨ و (ط دار الأضواء - بيروت) ج ١ ص ١٧ عن الثعلبي، وروضة الواعظين ص ٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٢٣١.
٢ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٢٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٨٥.
٣ - بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ و ج ٧٨ ص ٤٢ و ٤٣ و ٤٥ عن الطوائف، وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣٥٠ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٧٧٩.

الوصية حين الإحتضار:

وحين أغمي على رسول الله (ﷺ) في مرض موته جاء الحسن والحسين (عليهما السلام) يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله (ﷺ)، وأراد علي (عليه السلام) أن ينحيهما عنه.

فأفاق رسول الله (ﷺ)، ثم قال: يا علي، دعهما، أشتمهما ويشماني، وأتزود منهما ويتزودان مني.

ثم جذب علياً (عليه السلام) تحت ثوبه، ووضع فاه على فيه، وجعل يناجيه.

فلما حضره الموت قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك، فقد جاء أمر الله، فإذا فاضت نفسي، فتناولها بيدك، وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري، وصل علي أول الناس، ولا تفارقتني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله عز وجل.

وأخذ علي (عليه السلام) برأسه فوضعه في حجره، وأغمي عليه، فبكت فاطمة، فأومأ إليها بالذنو منه، فأسر إليها شيئاً تحلل وجهها، القصة.

ثم قضى، ومد أمير المؤمنين يده اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسح به، ثم وجهه، ومد عليه أزاره، واستقبل بالنظر في أمره^(١).

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٠٣ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٢١ و ٥٢٢ والأمالي للصدوق ص ٧٣٦.

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة عدة وقفات هي التالية:

هل أغمي على النبي (ﷺ):

لا مجال لتأييد حديث إغماء الرسول الأعظم (ﷺ)، الذي معناه: الغيبوبة، وفقد الشعور بما حوله. أما إن أريد به معنى لا يتضمن الغيبوبة، ولا ينافي معرفته وشهوده لكل ما هو مكلف بالشهادة عليه فلا مانع منه.. كأن يكون المراد بالإغماء: عدم قدرته على التكلم مع الناس أو نحو ذلك، مما لا ينافي كمال إدراكه لكل ما كان يدركه قبل عروض هذه الحالة له..

أما بالنسبة لسائر ما تضمنته الرواية، فرمما يكون قد مضى بعض ما يفيد في بيان ما يرمي إليه، وقد يمر معنا بعضه الآخر، إن اقتضى الأمر ذلك..

النبي (ﷺ) بعد موته:

تقدم قوله (ﷺ): اغسلني، وكفني، ثم أقعدني، وسائلني، واكتب.. وهو يدل على أمرين:

أولهما: إنه (ﷺ) حي حتى بعد موته، وأن حياته هذه هي غير حياة الشهداء..

الثاني: أن كلامه حجة بعد مماته، كما هو حجة في حال حياته..

ويشهد لحياته بعد الموت ما يلي:

١ - ورد في زيارتنا للمعصومين (عليه السلام) - والنبي أعظم منهم

شأناً: (أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد سلامي)^(١).

٢ - بل قالوا: إن الأخبار قد تواترت بحياة النبي (ﷺ) في قبره، وكذلك سائر الأنبياء (عليهم السلام)^(٢).

٣ - وقالوا أيضاً: إن صلاتنا معروضة على النبي (ﷺ)، وإن سلامنا يبلغه، وهم أحياء عند ربهم كالشهداء^(٣).

ويؤكد ذلك النص القرآني على: أن النبي (ﷺ) شاهد على أمته، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)^(٤). وقال تعالى عن شهادة النبي (ﷺ) على جميع الأنبياء: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً)^(٥). فهو

١ - راجع: عدة الداعي ص ٥٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٣٦٤ و ٥١٦ و ٥٢٣ ومستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٣٤٥ وبحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٩٥.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٦٦ و ٤٨٦ وج ١٢ ص ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٦٠ عن إنباه الأركياء بحياة الأنبياء، وعن التذكرة للقرطبي، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٨٢ و ٨٤ و ٤٣٢ وج ٣٥ ص ٣٨٥.

٣ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٥٥ عن الأنوار في أعمال الأبرار للأردبيلي الشافعي، وعن التذكرة للقرطبي. وراجع: فتاوى عبد القاهر بن طاهر البغدادي، وتنوير الخلق للسيوطي ص ٥.

٤ - الآية ٤٥ من سورة الأحزاب.

٥ - الآية ٤١ من سورة النساء.

شَهِيدَ عَلِيٍّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، مَعَ أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يَكُنْ قَدْ وُلِدَ بَعْدَ.. بَلْ كَانَ وَلَا يَزَالُ نُورًا مَحْدَقًا بِالْعَرْشِ.. فَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شَهَادَتَهُ عَلَى الْأُمَّةِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى خُصُوصٍ مِنْ عَاشَوْا مَعَهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ..

عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الْوَصِيِّ وَالْإِمَامِ:

وَقَدْ دَلَّ أَمْرُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِأَنَّ يَضَعُ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَسَمَاعَهُ مِنْهُ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى:

أَنَّ لِعَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خُصُوصِيَّةً لَيْسَتْ لِأَحَدٍ سِوَاهُ، وَهِيَ تَرْتَبُطُ بِعِلْمِ الْإِمَامَةِ، وَاخْتِيَارِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، لِخُتْمِهِ بِهَذَا الْعِلْمِ، لِيَكُونَ دَلِيلًا وَشَاهِدًا عَلَى اخْتِصَاصِهِ بِالْإِمَامَةِ نَفْسَهَا.

لِأَنَّ الْإِمَامَةَ تَنْبَتُ بِطَرَقِ ثَلَاثَةٍ:

الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ: الْإِخْتِيَارِ الْإِلَهِيِّ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ، وَالِدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِالنَّصِّ الصَّرِيحِ.

الطَّرِيقِ الثَّانِي: ثُبُوتُ أَنَّ لَدَيْهِ الْعِلْمَ الْخَاصَّ الَّذِي يُؤَثِّرُ اللَّهُ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَقَدْ دَلَّتِ الرَّوَايَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى

أَنَّ لَدَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الطَّرِيقِ الثَّلَاثِ: إِعْطَاؤُهُ مَقَامًا لَا يَكُونُ إِلَّا لِنَبِيِّ أَوْ لِإِمَامٍ، مِثْلَ مَقَامِ الشَّاهِدِيَّةِ عَلَى الْأُمَّةِ، أَوْ إِقْدَارِهِ عَلَى تَصَرُّفَاتِ

لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَقَامُ النَّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ، أَوْ إِكْثَالِ أُمُورٍ إِلَيْهِ لَا يَصِحُّ إِكْثَالُهَا إِلَى غَيْرِ الْمُعْصُومِ، الَّذِي هُوَ

نَبِيٌّ أَوْ وَصِيٌّ نَبِيٍّ، مِثْلَ أَنْ يَتَوَلَّى غَسْلَهُ، وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ.

علي (عليه السلام) يقضي الدين، وينجز العداة:

وفي الروايات الكثيرة أن علياً (عليه السلام) هو الذي يقضي دين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وينجز عداته، ويبرئ ذمته^(١).

١- كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ج ١ ص ١٣٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٨٠ و ٣٨١ وج ٢٨ ص ٥٥ وج ٣٦ ص ١٠٩ و ٣١١ و ٣٥٥ وج ٣٨ ص ١ و ٧٣ و ١٠٣ و ١١١ و ٣٣٤ وج ٣٩ ص ٣٣ و ٢١٦ وج ٧٢ ص ٤٤٥ وج ٩٩ ص ١٠٦ والخصال ج ٢ ص ٨٤ والأُمالي للصدوق ص ٤٥٠ و عيون أخبار الرضا (عليه السلام) " ج ١ ص ٩ وكفاية الأثر ص ٧٦ و ١٣٥ و ٢١٧ و مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ١ ص ٤٣٢ و شرح الأخبار ج ١ ص ١١٣ و ١١٧ و ٢١١ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص ١٤٠ والأُمالي للطوسي ص ٦٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٩٦ وج ٢ ص ٢٤٧ وج ٣ ص ١٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٩٢ والعمدة لابن البطريق ص ١٨١ والمزار لابن المشهدي ص ٥٧٧ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ١ ص ٥٠٧ والطرائف ص ١٣٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٣ عن المناقب لابن المغازلي الشافعي ص ٢٦١ ح ٣٠٩ وبشارة المصطفى للطبري ص ١٠١ و ٢٥٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٤١ ونهج الإيمان ص ١٩٦ و ٤٤٠ وفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) " لابن عقدة الكوفي ص ٢٠٤ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٦٢٤ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٠٩ ومسند الإمام الرضا (عليه السلام) " للعطاردي ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٣ ص ٢٥٢.

الفصل الثاني:

جيش أسامة والكتاب الذي لم يكتب..

تجهيز جيش أسامة:

ومن الأحداث التي جرت في مرض النبي (ﷺ) تجهيزه لجيش أسامة، وجعل الصحابة فيه، بما فيهم أبو بكر وعمر^(١)، وحثه له على المسير، ولكن الصحابة تناقلوا وسوفوا، رغم أنه (ﷺ) لعن من تخلف عن جيش أسامة^(٢).

١- راجع: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٧٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٤٧٤ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٩١ وج ٣ ص ٢١٥ وأسد الغابة ج ١ ص ٦٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٧٢ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٦ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٠ وج ٤ ص ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٤٨ وسمط النجوم العوالي للعاصمي ج ٢ ص ٢٢٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٥٩ وج ٦ ص ٥٢ والكامل ج ٢ ص ٣١٧ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣٤ وعن السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣٣٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٧٠ ومنتخب كنز العمال ج ٤ ص ١٨٠ وحياة مُجَّد ص ٤٦٧.

٢- راجع: الملل والنحل (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٢٣ و (بها مش الفصل لابن حزم) ج ١ ص ٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٥٢ عن كتاب السقيفة لأحمد = بن عبد العزيز الجوهري وراجع: المسترشد للطبري ص ١١٢ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤٣١ و ٤٣٢ ونفحات اللاهوت ص ١١٣ وتشبيد المطاعن ج ١ ص ٤٧ ومعالم المدرستين ج ٢ ص ٧٧ ووصول الأخبار إلى أصول الأخبار ص ٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٤١ و ٥٢٧ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢١ والسقيفة وفدك للجوهري ص ٧٧ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢٥٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٢٠٩ والنص والإجتهد ص ٤٢ والمراجعات ص ٣٧٤ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢١٨.

والذي يعنينا من هذا الحدث أمران:

الأول: لماذا لم يكن علي (عليه السلام) في ذلك الجيش؟!

الثاني: إذا لم يكن علي (عليه السلام) في هذا الجيش، فلماذا نذكر نحن هذا الحذف هنا في سيرة علي (عليه السلام)؟!

علي (عليه السلام) ليس في جيش أسامة:

أما بالنسبة لعدم دخول علي (عليه السلام) في جيش أسامة، فنقول:

ألف: إن ظاهر الحال يشير إلى أن المسلمين كانوا يعلمون بأن علياً (عليه السلام) لم يجعل في ذلك الجيش، ولم يشمله

أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للصحابة بالالتحاق به، ولذلك لم يعترض أحد من الصحابة على تخلفه عنه (عليه السلام).

كما أن جميع المسلمين والمحدثين، والناقلين، والمؤرخين لم يشيروا إلى أية شبهة، أو تساؤل حول ذلك، بل أرسلوه

إرسال المسلمات، مع يقين

راسخ بأنه لو جعله في ذلك الجيش لكان هو الأمير عليه .
كما أن الشيعة ما زالوا يشنعون على أبي بكر وعمر لأجل تخلفهما عن جيش أسامة، ولم نجد أحداً نقض عليهم بتخلف علي (عليه السلام) ..

وأعداء علي (عليه السلام) من الأمويين والعباسيين أيضاً لم يشنعوا عليه في ذلك، ولا أوردوه في مناظراتهم، وكانوا وما زالوا يتلمسون المهارب والأعدار لأبي بكر وعمر فيما صدر منهما.

ب: إن جعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) وصياً بأمر من الله تعالى، والبيعة له في يوم الغدير يمنع من جعله إياه في جيش أسامة، لا سيما وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يتوقع أن ينزل به القضاء لحظة بعد أخرى، فقد أخبرهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بدنو أجله، وأنه يوشك أن يدعى فيجيب.. ولا بد أن يغسله ويصلي عليه، ويدفنه وصيه من بعده.

كما أنه لم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) ليجعله مولى للناس، وأولى بهم من أنفسهم، ثم يجعل أسامة أميراً عليه، والمتصرف فيه، والامر والناهي له.

ج: ورد في رسالة كتبها أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى شيعته قوله:
(وقد كان نبي الله أمر أسامة بن زيد على جيش، وجعلهما (يعني أبا بكر وعمر) في جيشه.
وما زال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن فاضت نفسه يقول: (انفذوا جيش أسامة).

فمضى جيشه إلى الشام، حتى انتهوا إلى أذرعات الخ..^(١).

فلو كانت حاله (عليه السلام) في التخلف عن جيش أسامة حال غيره لم تصح منه الإشارة إلى تخلفهما، وعصيانهما أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لماذا جيش أسامة؟!:

ذكر العلماء (رحمهم الله): أن بعث جيش أسامة، وجعل الصحابة كلهم فيه، كان ضمن سياسة معينه، لم يزل الكثيرون يحاولون تجاهلها، ويصرون على عدم الإعتراف بها..

ويؤكد ذلك: أن المهمة التي أوكلت إلى أسامة لم تكن تفوت بالتأجيل وكان (صلى الله عليه وآله) مريضاً، وكان أيضاً قد أخبرهم بقرب حضور أجله.

فالسؤال هنا هو:

ما معنى إصراره (صلى الله عليه وآله) على هذا البعث؟!:

ولماذا يجعل فيه كبار صحابته؟!:

ولماذا يلعن من يتخلف عنه؟!:

والجواب:

هو أنه (صلى الله عليه وآله) أراد أن يبعد المناوئين لعلي (عليه السلام) عن

١- الخطبة في بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٧-١٢ وكشف المحجة ص ١٧٦ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) للميرجهاني ج ٤ ص ٧٤ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢٠٥ والإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي مهراڻ ج ١ ص ٧٩.

المدينة، ليبرم أمر خلافته في غيابهم، لكي يضعفوا عن منازعته، والخلاف عليه..

وإنما اختار أسامة للإمارة عليهم، رداً لجماع أهل الجماع منهم، ودفعاً لأي نزاع في المستقبل، وتفويتاً للفرصة على من يريد أن يتخذ من السن ذريعة للخلاف على من نصبه الله تعالى ورسوله (ﷺ) لهم علماً وإماماً..

ولكن امتناعهم من امتثال أمر رسول الله (ﷺ)، وطعنهم في تأمير أسامة، وتثاقلهم عن الخروج، وتسويفهم حتى مضى حوالي نصف شهر، وتوفي (ﷺ) لم يستطع أن يحجب عن الناس المعاني والدلالات التي أراد (ﷺ) أن يفهمها للناس وللأجيال إلى يوم القيامة من إجراءاته هذا..

هذا.. وقد تكلمنا حول كثير مما يرتبط بهذا الأمر في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ج ٣٢ فلا بأس للرجوع إليه.

رزية يوم الخميس:

ثم كان من الأحداث التي جرت إبان مرض رسول الله (ﷺ)، ما عرف برزية يوم الخميس، على حد تعبير ابن عباس: (يوم الخميس، وما يوم الخميس، الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله (ﷺ) وبين كتابه) أو نحو ذلك^(١).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٧ وراجع: نفحات اللاهوت ص ١١٧ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٠٨ و ج ٣ ص ٦٩٣ و ٦٩٥ و ٦٩٩ ومسنند أحمد = ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٣٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٣٨ و ج ٧ ص ٩ و ج ٨ ص ١٦١ و (ط دار ابن كثير) ج ١ ص ٥٤ و ج ٤ ص ١٦١٢ و ج ٥ ص ٢١٤٦ و ج ٦ ص ٢٦٨٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٧٦ و (ط دار إحياء التراث) ج ٣ ص ٢٢٥٩ و شرح مسلم للنووي ج ١١ ص ٨٩ وعمدة القاري ج ٢ ص ١٧٠ و ج ١٨ ص ٦٢ و ٦٣ و ج ٢١ ص ٢٢٥ و ج ٢٥ ص ٧٦ وفتح الباري ج ٨ ص ١٣٢ والمثل والنحل للشهرستاني (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٢٢ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٣٩ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٣٣ و ج ٤ ص ٣٦٠ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥٦٢ والجمع بين الصحيحين ج ٢ ص ٩ ومسنند أبي عوانة ج ٣ ص ٤٧٦ والدر لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٧٠ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٥٥ و ج ٦ ص ٥١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٤٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٨ و ٢٧١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٧١ والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٣٤٧ و ٣٤٩ ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ج ٦ ص ١٩ و ٢٥ و ٣١٦ و ٥٧٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٧ ص ١٨٤ وسلوة الكتيب بوفاة الحبيب لابن ناصر الدين الدمشقي ج ١ ص ١٠٧ والبدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ج ٥ ص ٥٩ وسمت النجوم العوالي لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي ج ٣ ص ٣٥٦ والأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي العليمي ج ١ ص ٢١٦ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٥١ و ٤٩٨ و مجمع النورين ص ٢٠٣ وموسوعة الإمام علي = (عليه السلام) " في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٤٠٧ ومنهاج الكرامة ص ١٠٣ ونهج الحق ص ٣٣٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٩٤ و ٤٢٤ و ٤٢٦ والدرجات الرفيعة ص ١٠٣ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٤ ص ٣٧ . ومعجم الرجال والحديث لمحمد حياة الأنصاري ج ١ ص ١٢٧ و ج ٢ ص ٣ و ٩٧ و ١١١ و ٢٢٩ والمسترشد للطبري (الشيوعي) ص ٦٨١ وتشبيد المطاعن ج ١ ص ٣٥٥ . ٤٣١ . ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٠٣ وأمالى المفيد ص ٣٧ والطرائف ص ٤٣٣ واليقين ص ٥٢١ وسعد السعود ص ٢٩٧ وكشف المحجة لثمرة المهجة ص ٦٥ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٦ و ١٠٠ ووصول الأخيار إلى كتاب الأخبار ص ٧٣ والصورم المهركة ص ١٩٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٣٤ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٧٣ و ٤٧٤ و ج ٣٠ ص ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٤ و ٥٣٦ و ٥٥٢ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) " للشيرازي ص ٣٨٤ و ٣٨٨ والمراجعات ص ٣٥٣ والنص والإجتهد ص ١٤٩ والغدير ج ٣ ص ٢١٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٤٢٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٨٠ وغاية المرام ج ٦ ص ٩٥ والفصول المهمة في تأليف الأمة ص ١٠٥ .

وذلك أنه لما اشتد برسول الله (ﷺ) وجعه قال: (إيتوني بكتاب (أو بكتف ودواة) أكتب لكم كتاباً لا (أو لن) تضلوا بعده) أو (لا يظلمون ولا يُظلمون)، وكان في البيت لخط، فنكل عمر، فرفضها رسول الله (ﷺ).

فقال عمر: إن النبي غلبه الوجع. (أو مدّ عليه الوجع)، (أو إن النبي يهجر^(١)) وعندنا كتاب الله، (أو وعندكم القرآن)، حسبنا كتاب الله.

فاختلف من في البيت واختصموا، واختلفوا، أو كثر اللغط، بين من يقول: قريوا يكتب لكم، وبين من يقول: القول ما قال عمر..

فقال (ﷺ): قوموا عني، ولا ينبغي عندي. (أو عند نبي تنازع)^(٢).

١ - صرح بأن عمر قال: (إن النبي يهجر" في شرح الشفاء للخفاجي ج ٤ ص ٢٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٦٨ ولا بأس بمراجعة جميع الهوامش في مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٦٩٣ - ٧٠٢.

٢ - راجع فيما تقدم: سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٨ عن أبي يعلى بسند صحيح عن جابر وعن ابن عباس كذلك، وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ق ٢ ص ٣٧ وراجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٦ في هامشه عن: البخاري ج ١ ص ٣٩ و ج ٦ ص ١١ و ج ٧ ص ١٥٦ و ج ٩ ص ١٣٧ وفتح الباري ج ١ ص ١٨٥ و ج ٨ ص ١٠٠ و ١٠١ و ج ١٣ ص ٢٨٩ وعمدة القاري ج ٢ ص ١٧٠ و ج ٢٥ ص ٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٣٧ وابن سبأ ص ٧٩ وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٥٩ ومناقب آل أبي طالب (ط قم المقدسة) ج ١ ص ٢٣٥ عن ابن بطّة، والطبري، ومسلم، والبخاري، قال: واللفظ للبخاري ولم يسم الراوي عن ابن عباس. وبحار الأنوار ج ٢ ص ٤٦٨ و ج ٣٠ ص ٥٣١ و ٥٣٣ و ٥٣٥ عن إعلام الوري، = والإرشاد للمفيد، وص ٤٧٢ عن المناقب لابن شهرآشوب، و ج ٣٦ ص ٢٧٧ عن الغيبة للنعماني ص ٣٨ و ٣٩ عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم، عن علي (عليه السلام) "المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٣٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٨٤٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٢ والإرشاد للمفيد ص ٨٧ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٣٦ والشفاء للقاضي عياض ج ٢ ص ٤٣١ والدرر لابن عبد البر ص ١٢٥ و ٢٠٤ وكشف المحجّة ص ٦٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٧ و ٢٥١ والفائق للزخشري ج ٤ ص ٩٣ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٢٤١ و ٢٤٣ والأدب المفرد ص ٤٧ وشرح الخفاجي للشفاء ج ٤ ص ٢٧٧ وشرح القاري بهامشه ص ٢٧٧ والطرائف ص ٤٣٢ عن الجمع بين الصحيحين وغيره، وغاية المرام ص ٥٩٦ وشرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٥٤ عن الشيخين، وكذا ص ٥٥ و ج ٦ ص ٥١ عن الجوهري.

أضاف العلامة الأحمدي في مكاتيب الرسول: (لن تضلوا" كما في البخاري ج ٩ ص ١٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٣٧ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٣٦ والطرائف.

وفي البخاري ج ٧ ص ١٥٦ فقال عمر: (إن النبي (ﷺ) .." وكذا ج ٩ ص ١٣٧.

والطبقات، ومسلم، وابن شهرآشوب، وعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٣٨ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٢٤ والشفاء ج ٢ ص ٤٣١: (إن النبي قد اشتد به الوجع".

والطرائف ص ٤٣١ و ٤٣٢ وفي شرح الخفاجي ج ٤ ص ٢٧٨: (وفي بعض طرقه، = فقال عمر: إن النبي (ﷺ) يهجر".

وفي بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٦٨: فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفأ، فقال عمر: (ارجع، فإنه يهجر" و ص ٤٩٨ عن سليم: (فقال رجل منهم: إن رسول الله (ﷺ) يهجر" كما في الإرشاد أيضاً.

وفي شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٥١: (فقال عمر كلمة معناها: إن الوجع قد غلب على رسول الله (ﷺ) .."

وفي العبر وديوان المبتدأ والخبر: (وقال بعضهم: إنه يهجر، وقال بعضهم: (أهجر"؟ مستفهماً.

وقال الحلبي: فقال بعضهم أي: وهو سيدنا عمر: إن رسول الله (ﷺ) قد غلبه الوجع".

وفي بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٧٧ عن علي (عليه السلام): أنه قال لطلحة: (أليس قد شهدت رسول الله (ﷺ) حين دعا بالكفن ليكتب فيها ما

لا تضل الأمة بعده ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: (إن رسول الله يهجر"، فغضب رسول الله (ﷺ) وتركها؟

وفي الطرائف: وفي رواية ابن عمر من غير كتاب الحميدي قال عمر: (إن الرجل ليهجر).

وفي كتاب الحميدي قالوا: (ما شأنه هجر)؟

وفي نص آخر: منهم من يقول: القول ما قاله عمر، فتنازعوا، ولا ينبغي عند النبي التنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟! استفهموه.

فذهبوا يعيدون عليه، فقال رسول الله ﷺ: قوموا. لما

أكثرها اللغو والإختلاف عنده . دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه الخ..^(١) .
وعن ابن عباس قال: دعا رسول الله (ﷺ) بكتف، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعدي.
فأخذ من عنده من الناس في لغط، فقالت امرأة ممن حضر: ويحكم، عهد رسول الله (ﷺ) إليكم.
فقال بعض القوم: اسكتي، فإنه لا عقل لك.
فقال النبي (ﷺ): أنتم لا أحلام لكم^(٢) .

-
- ١ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٧ عن البخاري ومسلم، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٩٩ الإيضاح لابن شاذان الأزدي ص ٣٥٩ واليقين لابن طاووس ص ٥٢١ والبحار ج ٣٠ ص ٥٣١ و ٥٣٤ وفتح الباري ج ٨ ص ١٠٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٣١ والإكمال في أسماء الرجال ص ٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٣٦ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٠ والعبير وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٦٢ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٤٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٧ ومجمع النورين للمرندي ص ٢٠٢ وسفينة النجاة للسراي التنكابني ص ٢٠٥ .
- ٢ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٨ عن الطبراني، ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٦٩٨ عن غاية المرام ص ٥٩٨ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢١٥ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٣٠ .

فخرج ابن عباس وهو يقول: (الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه)^(١) لاختلافهم ولغظهم.
ونقول:

إن هذا المورد، وإن كان كسابقه، لا ذكر فيه لعلي (عليه السلام) صراحة أيضاً، ولكنه يعنيه بلا ريب. وفي الجزء ٣٢ من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (عليه السلام) تفاصيل كثيرة حول هذا الموضوع، فمن أراد التوسع فليراجع ذلك الكتاب..

لكننا نورد هنا لمحة مما له مساس مباشر بعلي (عليه السلام)، فنقول:
ما أشبه الليلة بالبارحة:

إن ما جرى يوم الخميس قد تضمن إساءات عديدة لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٧ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٦٩٥ وقال في هامشه عن: تشييد المطاعن (ط الهند) ج ١ ص ٣٦٦ عن البخاري في باب العلم و ص ٣٦٧ عن عبيد الله عنه في كتاب الجهاد، وكتاب الخمس عن سعيد، وباب مرض النبي (صلى الله عليه وآله) " كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني عن عبيد الله و ص ٣٦٨ عن كتاب الإعتصام، وعن مسلم بطرق كثيرة عن سعيد و ص ٣٦٩ عن سعيد أيضاً، وعن المشكاة عن عبيد الله عن ابن عباس و ص ٣٨٠ عن الملل والنحل، وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٥٣٢ بالإضافة إلى نصوص أخرى تقدمت.

منها: امتناعهم عن تلبية طلبه (ﷺ) بتقديم كتف ودواة له، ومنعهم غيرهم ممن حضر من ذلك أيضاً..
ومنها: رفع أصواتهم، وضجيجهم، ولغطهم في محضره..
ومنها: تنازعهم عنده، حتى طردهم رسول الله (ﷺ) من ذلك المجلس..
ومنها: إغضابهم لرسول الله (ﷺ) بتصرفاتهم غير اللائقة، ومنها قولهم لبعض النساء إنها لا عقل لها..
ومنها: اتخاذهم القرار المخالف لإرادة الرسول، حين قالوا: حسبنا كتاب الله.
ومنها: ما هو أعظم وأدهى، وأشر وأضر، وهو اتهامهم النبي (ﷺ) بالهجر والهديان..
وهذا يشبه كثيراً ما جرى في عرفة حيث ضج الناس، وصاروا يقومون ويقعدون، وبلغ من علو أصواتهم فوق صوت رسول الله (ﷺ)، أن صُمَّتِ الأذان عن سماع قول الرسول (ﷺ).. إلى غير ذلك مما تقدم..
تشابه آخر بين الحديثين:
والغريب في الأمر: أن النبي (ﷺ) لم يصرح لهم في عرفة بما سوف يقوله، ولكنهم هم الذين استبقوا الأمور، ومنعوه من التصريح به.
وهكذا كان في يوم الخميس، فإنهم فعلوا كل تلك المعاصي، حتى لقد

اتهموه بالهجر والهديان، والحال أن النبي (ﷺ) لم يصرح لهم بعد بالذي يريد أن يكتبه في ذلك الكتاب أيضاً، وقد منعه من ذلك بالفعل..

واللافت أيضاً: أن الذين تصدوا للنبي (ﷺ) في عرفات هم الفريق نفسه الذي تصدى له في يوم الخميس بأعيانهم وأشخاصهم!!

فما أشبه اليوم بالأمس، والليلة بالبارحة!!

ما الذي أراد (ﷺ) أن يكتبه؟!:

لا شك في أنه (ﷺ) لم يكن يريد أن يكتب في ذلك الكتاب أحكاماً ووصايا من قبيل: اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، ونحو ذلك، كما ربما يدعيه بعض الناس.

أولاً: لأن قول الرسول: لن تضلوا بعده صريح في أن ما يريد كتابته يرتبط بالضلالة والهدى. وهذا يمثل استمرار خط النبوة ونهجها من خلال مقام الإمامة.

ثانياً: إنه لا مبرر لحرص عمر على المنع من كتابة أمثال هذه الوصايا التي تصون الأمة من الضلال إلى الحد الذي يتهم فيه النبي (ﷺ) بالهجر والهديان!!

ثالثاً: إن كانت هذه الوصايا قد وردت في القرآن الكريم، فلا حاجة لكتابتها في كتاب، وإن لم تكن قد وردت فيه، فلا معنى لقول عمر: حسبنا كتاب الله..

رابعاً: إن الحافظ للأمة من الضلال لا بد أن يكون أمراً يمكن أن يؤثر في

كل قضايا الإسلام وحقائقه، واعتقاداته، وأخلاقياته، وشرائعه، وتوجيهاته، وتلك الوصايا المزعومة ليست كذلك.
نصوص تدل على مضمون الكتاب:

لقد ورد التصريح بمعلومية ما كان يريد النبي (ﷺ) أن يكتبه.. على لسان عمر نفسه، وصرح به أيضاً ابن عباس، والخفاجي، والكرماني، والدهلوي، بل النبي نفسه أيضاً، فلاحظ النصوص التالية:

١ - قال الخفاجي، والكرماني، والدهلوي: إنه (ﷺ) أراد أن يكتب ولاية علي (عليه السلام).^(١)

٢ - وقال عمر لابن عباس في حديث لهما عن علي (عليه السلام): (أراد أن يذكُرهُ للأمر في مرضه، فصددته عنه، خوفاً من الفتنة، وانتشار أمر الإسلام. فعلم رسول الله ما في نفسي، وأمسك. وأبى الله إلا إمضاء ما حتم)^(٢).

١ - راجع: شرح الشفاء للخفاجي ج ٤ ص ٣٢٥ وتشبيد المطاعن ج ١ ص ٤٢٦ عن شرح المشكاة للدهلوي، وعن الخفاجي، والكرماني في شرح البخاري، وعن فتح الباري ج ١ ص ١٨٦ و ج ٨ ص ١٠١ و ١٠٢ وعمدة القاري ج ٢ ص ١٧١.
٢ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٧٩ وراجع: غاية المرام (المقصد الثاني) فصل الفضائل، باب ٧٣ ص ٥٩٦ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٥٥٥ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٠٦.

٣. عن ابن عباس: أن عمر سأله عن علي (عليه السلام): (هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟) قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نص عليه؟ قلت: نعم.

وأزيدك: سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً. ولقد كان يربح في أمره وقتاً ما.

ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك، إشفافاً وحيطة على الإسلام. لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً^(١).

١ - شرح فتح البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٠ و ٢١ عن كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وراجع ج ١٢ ص ٧٩ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٤ و ٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٣٩٨ و ج ٧ ص ١٨٨ وبهج الصباغة ج ٦ ص ٢٤٤ و ج ٤ ص ٣٨١ وعن ناسخ التواريخ (الجزء المتعلق بالخلفاء) ص ٧٢ و ٨٠. وراجع: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٤٤ و ٥٥٦ و ج ٣١ ص ٧٥ و ج ٣٨ ص ١٥٧ ونفحات اللاهوت ص ٨١ و ١١٨ و ١٢١ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٥ وغاية المرام (ط حجرية) ص ٥٩٥ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٤٥٠ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٠٧ والدرجات الرفيعة ص ١٠٦ وكشف الغمة = = ج ٢ ص ٤٧ وكشف اليقين ص ٤٧٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٩١ و ٣٩١ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص ١٤٤ وسفينة النجاة للسراي التنكابني ص ٢٢٦.

٤ - وحين قال له ابن عباس: إن النبي (ﷺ) أراد الأمر لعلي (عليه السلام). أجابه عمر:
يا ابن عباس، وأراد رسول الله (ﷺ) الأمر له، فكان ماذا، إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟!
إن رسول الله (ﷺ) أراد أمراً، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى، ولم ينفذ مراد رسوله، أو كلما أراد رسول الله
(ﷺ) كان؟! (١).

٥ - إنه (ﷺ) كان قد أشار في بياناته الأخرى إلى ذلك الشيء الذي تحفظ به الأمة من الضلال، فقال: (يا
أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي) (٢).

-
- ١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٧٨ و ٧٩ وغاية المرام (المقصد الثاني) ص ٥٩٦ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٥٥٤. وراجع: مكاتيب
الرسول ج ١ ص ٦١٠ و ج ٣ ص ٧٠٧ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص ١٤٧.
٢ - راجع: حديث الثقلين للوشنوي تجد شرطاً وافياً من مصادر حديث الثقلين، والمراجعات ص ٤٩ و ٥٠.

ولكن هذا لا يعني أن يصبح الهدى أمراً مفروضاً، وجبرياً تكوينياً. بل هو مشروط بالأخذ بما يكتبه لهم، واختيارهم له.. ولكن الكتابة من شأنها لو تحققت بشروطها أن تحصن الناس من الشبهات والأضاليل. لعله أراد استخلاف أبي بكر:

وقد ادّعت عائشة: أن غرض النبي (ﷺ) من كتب الكتاب كان: الوصية لأبي بكر، لا لعلي (عليه السلام)، وأنه (ﷺ) قال لعائشة: ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، فإني أخاف أن يقول قائل، ويتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر^(١).

١ - راجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣٨٠ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٤٣٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٢٥٣ وكتاب الوفاة للنسائي ص ٢٦ والمعجم الأوسط ج ٦ ص ٣٤٠. ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧١٠ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ٢٤ ص ٢٤ وج ٣ ق ١ ص ١٢٧ و ١٢٨ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ١٨٠ والبخاري ج ٩ ص ١٠٠ باب الإستخلاف، وفتح الباري ج ١ ص ١٨٦ وج ١٣ ص ١٧٧ وعمدة القاري ج ٢ ص ١٧١ وج ٢٤ ص ٢٧٨ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص ١٢٥ و ٢٠٤ والمنتظم لابن الجوزي ج ٤ ص ٣٢ ومسلم ج ٤ ص ١٨٥٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨١ وكنز العمال ج ١١ ص ١٦٢ وج ١٢ ص ١٦٢ وج ١٤ ص ١٥٢ ومسند أحمد ج ٦ ص ٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤ و ١٤٦ والكامل لابن عدي ج ٦ ص ٢١٤٠ و ج ٢ ص ٧٠٥ ومنحة المعبود ج ٢ ص ١٦٩ والبداية والنهاية = = ج ٥ ص ٢٢٨ وج ٦ ص ١٩٨ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٦٣ وج ٥ ص ١٨١ وبلوغ الأماني ج ١ ص ٢٣٥ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٤. وراجع: بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٥١ وتشبيد المطاعن (ط هند) ج ١ ص ٤١١ و ٤٣١ ومجموعة الوثائق السياسية المقدمة الثالثة ص ١٨ وابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣ عن البخاري، ومسلم، وأنكره وج ١١ ص ٤٩ وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه (اثتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبدا فاختلفوا عنده وقال قوم منهم: قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله" وفي تشبيد المطاعن ج ١ ص ٤٣١ نقل الإنكار عنه وعن جامع الأصول.

ورواه البخاري بلفظ: لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول قائلون، أو يتمنى المؤمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.
ورواه مسلم بلفظ: قال لي رسول الله (ﷺ) في مرضه: ادع لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.
وقد ورد: أنه أراد أن يكتب كتاباً، ولم يذكر أبا بكر^(١).
وعن عائشة: لما ثقل رسول الله (ﷺ) دعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: ائتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه.

فذهب عبد الرحمن ليقوم. فقال: اجلس، أباي الله والمؤمنون أن يختلف

١ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٧.

١- راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٢٤٧ والأربعين البلدانية ص ١٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧١١ وفي هامشه عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٢٤ وج ٣ ق ١ ص ١٢٧ و ١٢٨ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ١٨٠ والبخاري ج ٩ ص ١٠٠ باب الإستخلاف، وفتح الباري ج ١ ص ١٨٦ وج ١٣ ص ١٧٧ وعمدة القاري ج ٢ ص ١٧١ وج ٢٤ ص ٢٧٨ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص ١٢٥ و ٢٠٤ والمنظّم لابن الجوزي ج ٤ ص ٣٢ ومسلم ج ٤ ص ٨٥٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨١ وكنز العمال ج ١١ ص ١٦٢ وج ١٢ ص ١٦٢ وج ١٤ ص ١٥٢ ومسند أحمد ج ٦ ص ٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤ و ١٤٦ والكامل لابن عدي ج ٦ ص ٢١٤٠ وج ٢ ص ٧٠٥ ومنحة المعبود ج ٢ ص ١٦٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٨ وج ٦ ص ١٩٨ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٦٣ وج ٥ ص ١٨١ وبلوغ الأماني ج ١ ص ٢٣٥ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٤. وراجع: بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٥١ وتشبيد المطاعن (ط الهند) ج ١ ص ٤١١ و ٤٣١ ومجموعة الوثائق السياسية، المقدمة الثالثة ص ١٨ وابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣ عن البخاري، ومسلم وأنكره وج ١١ ص ٤٩ وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه (أثتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبداً، فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم قد غلبه الوجد حسينا كتاب الله" وفي تشبيد المطاعن ج ١ ص ٤٣١ نقل الأنكار عنه وعن جامع الأصول.

ونقول:

أولاً: إن ما تقدم يدل على خلاف ذلك، ولا سيما ما نقلناه عن عمر نفسه.
ثانياً: إن عمر كان من أشد المتحمسين لولاية أبي بكر، وإبعاد الأمر عن علي (عليه السلام) طمعاً في وصول الأمر إليه.. حتى لقد ضرب الزهراء (عليها السلام) وأسقط جنينها، وفعل الأفاعيل في مختلف الإتجاهات من أجل ذلك، فلماذا يمنع النبي من كتابة ذلك..

ثالثاً: لو كان المقصود هو كتابة إسم أبي بكر، فقد حصل المطلوب، بوصول أبي بكر إلى الخلافة بالفعل بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلماذا كان ابن عباس بعد ذلك يبكي حتى يبيل الحصى، لأجل منع النبي من كتابة ذلك الكتاب يوم الخميس؟! الخميس؟! الخميس؟! الخميس؟!

رابعاً: إن روايتهم حول الكتابة لأبي بكر تصرح بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي عدل عن كتابة ذلك الكتاب، فلماذا يبكي ابن عباس؟! الخميس؟!

ثم لماذا يتقلب النبي في تصرفاته، ويغير آراءه؟! والحال أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!
خامساً: لقد أبت الزهراء، وعلي (عليه السلام)، وبنو هاشم وكثير آخرون خلافة أبي بكر، فهل لم يكن هؤلاء من المؤمنين؟! فكيف يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبي الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر..
واللافت: أن مضمون هذه الكلمة لم يتحقق، فإن الإختلاف لا يزال قائماً منذئذٍ وإلى يومنا هذا..

سادساً: لم يترتب على استخلاف أبي بكر صيانة الأمة من الإختلاف والضلال إلى يوم القيامة، بل تمزقت أوصالها، وظهرت الفتن فيها، وسفكت الدماء، وفشت الضلالات، وانتشرت الشبهات، وتحكم فيها فجارها، وقُهر بل قُتل خيارها وأبرارها وعلى رأسهم علي، والزهراء، والحسنان، وبقية الأئمة (عليهم السلام)..
صلاة أبي بكر بالناس:

ومن الأحداث التي جرت في مرض رسول الله (ﷺ): أنه لما ثقل (ﷺ)، حاول أبو بكر أن يصلي بالناس مكانه، فمنعه الرسول نفسه.. فعن عائشة: فلما دخل في الصلاة، وجد رسول الله من نفسه خفةً، فخرج يهادي بين رجلين: أحدهما (الفضل بن) العباس، لصلاة الظهر، كأني أنظر إلى رجله يخيطان الأرض من الوجع.
قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، بن مسعود: (فدخلت على ابن عباس، فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس!؟

قال: لا.

قال: علي بن أبي طالب^(١).

١ - آفة أصحاب الحديث ص ٥٨ و ٥٩ و ٨٥ والبخاري ج ١ ص ١٧٥ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٦٩ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٢١ و سنن النسائي ج ٢ ص ١٠٢ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٨١ و ج ٨ ص ١٥١ و معرفة السنن والآثار = ج ٢ ص ٣٥٩ و نصب الراية للزليعي ج ٢ ص ٥٢ و إمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٤٥٥ و مسند ابن راهويه ج ٢ ص ٥٠٥ و بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٤٢ عن جامع الأصول ج ١١ ص ٣٨٢ .
٣٨٣ و سنن الدارمي ج ١ ص ٢٨٨ و سفينة النجاة للسراي التنكابني ص ١٤٨ و ١٤٩ .

ولكن عائشة لا تقدر على أن تذكره بخير^(١)، أو لا تطيب له نفساً بخير^(٢).
وعن ابن عباس، أنه (ﷺ) قال: ابعثوا إلى علي فادعوه.
فقال عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر.
وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر.

-
- ١ - تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٣٣ وعمدة القاري ج ٥ ص ١٩٢ وفتح الباري ج ٢ ص ١٣١ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٨٧ والغدير ج ٩ ص ٣٢٤ و ٣٩٢ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٤١٥ .
- ٢ - مسند أحمد ج ٦ ص ٣٤ و ٢٢٨ وعمدة القاري ج ٥ ص ١٩٢ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٨٧ وفتح الباري ج ٢ ص ١٣١ والغدير ج ٩ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ وراجع: صحيح البخاري ج ١ ص ١٧٥ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٣٠ والمسترشد للطبري (الشيعة) ص ١٢٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٧٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٣٣ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٣١١ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٤٧٢ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣١ ص ٤٥ .

فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال (ﷺ)، انصرفوا، فإن تك لي حاجة ابعث إليكم، فانصرفوا.

وقال (ﷺ): أن الصلاة، قيل: نعم. إلخ^(١)..

٧ - وحسب نص ابن شهر آشوب عن ابن عباس:

لما مرض رسول الله (ﷺ) مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة، فقال: ادعوا لي علياً.

قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر.

قال: ادعوه.

قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر.

قال: ادعوه.

قالت أم الفضل: يا رسول الله، ندعو لك العباس.

قال: ادعوه.

فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً، فسكت.

فقال عمر: قوموا عن رسول الله (ﷺ)^(٢).

١ - راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٣٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٣٣ و ٣٥ وسفينة النجاة للتنكابني ص ١٤٩ ومناقب أهل

البيت للشيرازي ص ٣٩٧ والجمل للمفيد ص ٢٢٧.

٢ - مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٠٣ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٢١ عنه، ومسند أحمد = ج ١ ص ٣٥٦ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٩١

والمعجم الكبير للطبراني ج ١٢ ص ٨٩.

والظاهر هو أن قوله (ﷺ): ادعوه.. عن أبي بكر، وعمر، والعباس هو إرجاع للأمر إليهم، وجعلهم بالخيار في أن يفعلوا ما يحبون، إذ لو كان أمراً لهم بدعوتهم لكان قد كلمهم حين حضروا عنده، والروايات المتقدمة تصلح قرينة على ذلك..

علي (عليه السلام) يروي ويستدل:

وروى البلاذري عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: إن رسول الله (ﷺ) لم يمت فجأة، كان بلال يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله (ﷺ) رأوا أن رسول الله (ﷺ) قد ولاه أمر دينهم، فولوه أمر دنياهم^(١).

وروى البلاذري عنه قال: لما قبض رسول الله (ﷺ) نظرنا في أمرنا، فوجدنا النبي (ﷺ) قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لديننا من رضيه رسول الله (ﷺ) لدينا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله (ﷺ)

١ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣١٦ عن البلاذري، وكنز العمال ج ١١ ص ٣٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٤١ و ٤٤٣ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٩٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ١٢.

فيه؟! (١)

وروى الحسن البصري عن قيس بن عباد قال: قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: إن رسول الله (ﷺ) مرض ليالي وأياماً ينادى بالصلاة، فيقول: مروا أبا بكر يصلي بالناس.

فلما قبض رسول الله (ﷺ) نظرت، فإذا الصلاة علم الإسلام، وقوام الدين، فرضينا لدينانا من رضي رسول الله (ﷺ) لديننا، فبايعنا أبا بكر (٢).

وروى البلاذري عن أبي الجحاف قال: لما بويع أبو بكر، وبايعه الناس، قام ينادي ثلاثاً: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم.

فقال علي: والله لا نقتلك ولا نستقتلك، قدمك رسول الله (ﷺ) في الصلاة، فمن ذا يؤخرك؟! (٣).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣١٦ عن البلاذري، والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٢ ص ١٢٩ والغدير ج ٨ ص ٣٦ عن الرياض النضرة ج ١ ص ١٥٠ والوفاي بالوفيات ج ١٧ ص ١٦٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٢٦٥.

٢ - الإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣ ص ٩٧١ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٤٦ عنه، والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٢ ص ١٢٩ والغدير ج ٨ ص ٣٦ وعن صفة الصفوة ج ١ ص ٩٧ والوفاي بالوفيات ج ٧ ص ١٦٦.

٣ - سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣١٧ عن البلاذري، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٧٢ وج ٧ ص ١٧٢ وكنز العمال ج ٥ ص ٦٥٤ و ٦٥٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ٣١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٣ ص ٥٧٦ والعثمانية ص ٢٣٥ وراجع: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ج ١ ص ٢٠١ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٦٢١ وج ٤٩ ص ١٩٢ والغدير ج ٨ ص ٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٤ ص ٣٤٥ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٢٢ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٣٣ ومصباح الهداية في إثبات الولاية ص ٢٢١.

ونقول:

تقدم: أن عائشة وحفصة ترفضان تلبية طلب النبي (ﷺ) دعوة علي (عليه السلام) إليه، وتصران على دعوة أبي بكر وعمر، ويأتیان، فيرفض النبي (ﷺ) أن يكلمهما ويصرفهما عنه.

وهذا يعطي الإنطباع عن محاولاتهم إبعاد علي، والإستبداد بالأمر، من دون رضا من النبي (ﷺ). وقد تأكد ذلك بما جرى يوم الخميس، حيث اتهموا النبي (ﷺ) بالهذيان، ورفضوا تقديم كتف ودواة إليه ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً.

كما أنهم رفضوا المسير في جيش أسامة رغم لعن النبي (ﷺ) من تخلف عن ذلك الجيش، وتأكيده على تجهيزه ومسيره..

وحين علم النبي (ﷺ) بأن أبا بكر قد شرع يصلي بالناس، خرج رغم شدة وجعه، وعزله عن الصلاة، وصلى بهم بنفسه.

وقد ناقشنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ما ادعوه من أن النبي (ﷺ) نفسه هو الذي أمره بالصلاة، وقلنا: إن ذلك لا يمكن أن يتلاءم مع قولهم: إنه (ﷺ) قد عزله عن الصلاة.

وأثبتنا هناك فساد أقوالهم المختلفة في ذلك، فلا حاجة إلى تكرار ذلك هنا، ولكننا نذكر هنا إلماحات يسيرة إلى ما له ارتباط مباشر بعلي (عليه السلام)، فنقول:

أولاً: إن الإستدلال على صحة خلافة أبي بكر، الذي نسبوه إلى علي (عليه السلام) كما تقدم لا يصح، فإن من يصلح لإمامة الجماعة في الصلاة قد لا يصلح لإمامة الأمة، ولا لقيادة الجيوش، ولا للقضاء بين الناس إلخ.

ثانياً: لا يشترط في إمامة الصلاة عند هؤلاء الناس العلم والشجاعة في الإمام.. ولا غير ذلك من الشرائط المعتبرة في إمامة الأمة، بل لا يشترطون فيها حتى التقوى والعدالة، فقد رووا عن النبي (ﷺ)، أنه قال: صلوا خلف كل بر وفاجر^(١).

١ - راجع: سنن أبي داود كتاب الصلاة: الباب ٦٣ وجامع الخلاف والوفاق ص ٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج ٤ ص ٣٣١ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٢٦٨ ومغني المحتاج للشريبي ج ٣ ص ٧٥ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج ١ ص ٢٢٩ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ١ ص ١٥٦ والجواهر النقي للمارديني ج ٤ ص ١٩ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج ١ ص ٦١٠ وتلخيص الحبير ج ٤ ص ٣٣١ ونيل الأوطار ج ١ ص ٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ٢٥٤ والمسترشد للطبري والإفصاح للشيخ المفيد ص ٢٠٢ والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص ٥٤ والطرائف لابن طاووس ص ٢٣٢ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٩ وعمدة القاري للعيبي ج ١١ ص ٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٤٥ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٣ و ٣٤ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٩٧ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ١٥٦.

ثالثاً: إذا كان الوجع قد غلب على رسول الله (ﷺ) حتى صار يهجر، أو غلبه الوجع حتى أسقط كلامه عن الإعتبار، كما زعمه عمر، ووافقه عليه جماعة ممن هم معه، فلا قيمة لما يصدر عن النبي (ﷺ) في هذه الحال حسب قول عمر نفسه.

رابعاً: صرحت الروايات بأن أبا بكر قد عزل عن هذه الصلاة، ولا أقل من أن ذلك محتمل إحتمالاً قوياً، استناداً إلى الروايات الصحيحة فيه، فلا يصح الإستدلال بأمر بادر هو إليه، فعزله النبي (ﷺ) عنه.

خامساً: إنهم يذكرون أن علياً (عليه السلام) كان يقول: إن عائشة هي التي أمرت أباهما أن يصلي بالناس، فقد قال أستاذ المعتزلي:

(فلما ثقل رسول الله ﷺ) في مرضه أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار. فكان علي (عليه السلام) حينئذٍ بوصوله إلى الأمر . إن حدث برسول الله ﷺ) حدث . أوثق . وتغلب على ظنه: أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفواً عفواً، وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدَّ منازعته عليها..

فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة . بإرسالها إليه، وإعلامه بأن رسول الله ﷺ) يموت . ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف .

فنسب علي (عليه السلام) إلى عائشة: أنها أمرت بلالاً مولى أبيها . حسب زعمهم . أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله . كما روي . قال: ليصل بهم أحدهم، ولم يعين . وكانت صلاة الصبح؛ فخرج رسول الله ﷺ) وهو في آخر رمق، يتهادى بين علي والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب . كما ورد في الخبر . ثم دخل، فمات ارتفاع الضحى . فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه، وقال: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة .

ولم يحملوا خروج رسول الله ﷺ) لصرفه عنها، بل لمحافظة على الصلاة مهما أمكن.. فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي (عليه السلام) على أنها ابتدأت منها . وكان علي (عليه السلام) يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً، ويقول:

إنه لم يقل (ﷺ): إنكن لصويحبات يوسف إلا إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبيهما، وأنه استدركها بخروجه، وصرفه عن المحراب، فلم يجِد ذلك ولا أثر. مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر، ويمهد له قاعدة الأمر، وتقرر حاله في نفوس الناس، ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار..

فقلت له (ﷺ): أفنقول أنت: إن عائشة عينت أبها للصلاة، ورسول الله (ﷺ) لم يعينه؟! فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن علياً كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه. كان حاضراً، ولم أكن حاضراً.. الخ^(٩).

وتقول:

ونلاحظ: أن الفقرة الأخيرة أظهرت: أن المعتزلي فاجأ أستاذه اللمعاني بسؤاله، وربما يكون قد أخافه، فاضطر إلى أن يميز نفسه عن علي (عليه السلام) في هذا الأمر، مع إلماحه إلى أن علياً (عليه السلام) هو الذي يعيش الحدث، ويعرف تفاصيله، فقد كان علي حاضراً، ولم يكن اللمعاني حاضراً!!

ونحن تكفينا شهادة علي (عليه السلام) حول هذا الأمر، فقد قال رسول الله (ﷺ): (علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٦ - ١٩٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٦١٩.

كيفما دار) أو نحو ذلك^(١).

سادساً: إن علياً (عليه السلام) لم يزل يعلن سخطه وإدانته لأبي بكر في اغتصابه الخلافة منه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله). فكيف يستدل لصحة خلافة أبي بكر، ثم ينكر عليه أخذها منه؟!
سابعاً: بالنسبة لمناداة أبي بكر في الناس ليقيله الناس البيعة نقول: إن فيه مغالطة ظاهرة، فإن المطلوب هو أن يقبلهم هو بيعتهم له، وليس العكس.

١ - المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٤ والجامع الصحيح للترمذي ج ٣ ص ١٦٦ وكنوز الحقائق للمناوي ص ٦٥ و ٧٠ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ وجامع الأصول ج ٩ ص ٤٢٠ وراجع: كشف الغمة ج ٢ ص ٣٥ و ج ١ ص ١٤١. ١٤٦. والجمل ص ٣٦ وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٩ و ١٢٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وراجع نزل الأبرار ص ٥٦ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٩٧ و ج ١٨ ص ٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٤٩.

١	الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)
٥	الفصل الثاني:
٢٣	الفصل الثالث:
٧١	الفصل الرابع:
٩٧	الفصل الخامس:
١٢٧	الفصل السادس:
١٦٣	فصل السابع:
١٩٥	الفصل الثامن:
٢٥١	الفصل التاسع:
٢٧٥	الفصل العاشر:
٢٩٣	الباب الثالث عشر:
٢٩٥	الفصل الأول:
٣١٩	الفصل الثاني:
٣٥٣	الفهرس